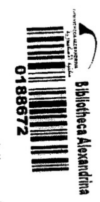
دكتور
الشحات السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

جهود المسلمين في توثيق الحديث



الفتح
للطباعة والنشر
خلف ٤٤ ش سوتير الشاطبي

إلى أستاذ الأجيال الوالد
الدكتور عبد العزيز برهام
إعزازا وتقديرا ومحبة
زغلول ٢/٧/١٩٩٥

دكتور
الشحات السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



جهود المسلمين في توثيق الحديث

الفتح
للطباعة والنشر
خلف ٤٤ ش سوتير الشاطبي

وقل رب زدني علما

صدق الله العظيم

مقدمة

عنى المسلمون بالحديث منذ أول الاسلام . وبذلوا كل ما لديهم من جهد لسماعه ، وفهمه ، ثم استيعابه ، وحفظه ، وكتابته ، ايمانا منهم بأن المحافظة على سلامته واجب حتمى .

وهذا « البحث » يلقى الضوء على هذه الجهود ، ويحاول أن يؤكد أن الحديث لم يترك للتقاليد الشفوية، حتى لايتعرض للتغيير والتبديل، وانما استوعبته صدور القوم ، واختزنته رءوسهم ، وسجلته صحائفهم، ثم احتوته كتبهم .

وقد قسمته الى بابين :

الباب الأول : « التثبت من الحديث فى عصر النبوة » .

وقد قسمته الى فصلين :

الفصل الأول : دراسة الحديث .

وقد تكلمت فيه عن المجالس الذى كان يعقدها الرسول (ص) للحديث بخاصة ، وما كان يأخذ به المسلمين فى تزويدهم به ، وتعليمهم اياه ، والترفق بهم فيه حتى لا يغرب عليهم ، ثم أشرت الى المنهج الذى اتبعه الرسول فى درسه ، وما بدا من حرص الصحابة فى ألا يفوتهم شىء منه، فقد كانت الوفود تأتى الى المدينة لتسمع من الرسول (ص) وتأخذ عنه ، وتتعلم منه ، وكان الرسول يوجه الصحابة الى نشر ما يسمعونه ، كما أرسل رسله الى الأمصار المختلفة ليحملوا الى أهلها العلم .

الفصل الثانى : توثيق الحديث « الحفظ ـ الكتابة » .

وقــد بينت فيه أن المسلمين كانوا يتذاكرون الحــديث ، وكانوا يجتهدون فى حفظه ، على ما سمعوه .

ثم عرضت لقضية كتابة الحديث ، فأوضحت أن الكتابة قد صارت ظاهرة حضارية فى عهد النبوة ، وناقشت الاحتمالات الواردة فى أحاديث النهى عن كتابة الحديث ثم أعقبتهــا بالأحاديث التى أجازت كتابته ، وأوردت شواهد من كتب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعرضــت لصحف الصحابة التى دونت حينئذ ، وبينت أنها كانت معتمد أصحاب التصانيف والكتب فيما بعد .

وقد استوقفنا البحث أمام الآراء التى تنفى كتــابة الحديث فى أول الاسلام ، فأوضحت ما فيها من مغالاة يرفضها الدرس المتأنى لأن التسليم بنتائجها فيه شر كبير ، وضرر خطير .

الباب الثانى : « التثبت من الحديث بعد عصر النبوة » .

وقد قسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ضوابط التلقى :

وقد عرضت فيه للأسباب التى وجهت المسلمين للعناية بالحديث بعد عصر النبوة ثم ذكرت الضوابط التى اشترطوها فى تلقيه ، فقــد تشددوا فى ذلك وقد كانوا يترددون فى قبول الحديث الا ممن كانت لهم صحبة ، وأن يكون الراوى قد سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة وكان لفرط رغبتهم فى الاستيثاق يشهدون على السماع ولم يكن ذلك يعنى أنهم لا يقبلون خبر الآحاد ، كما كانوا يعمدون الى تحذير الرواة لعظــم ما يحــدثون به ، ثم انهــم وضــعوا شروطا للرواة

فالحديث شهادة ، وقد قسموهم الى طبقات لتعرف أقدارهم ، ووضعوا معايير يعرفون بها الثقات والضعفاء كما وضـــعوا درجات فى التعديل والجرح يحكمون بها على الرجال •

الفصل الثانى : ضوابط التوثيق :

وقد بينت فيه وسائل القوم فى توثيق الحـــديث ، فقـــد كانوا يعضـــدونه بالقـــرآن ، وكانوا يتحرجون من الرواية لما فى التكثر من مزالق ، وحتى لا يصيب الافراط سلامة الحديث فى شىء ، ثم عرضت بعد ذلك للرحلة فى طلب الحديث ، ودورها فى توثيـــق نصوصه ، ثم ناقشت الرواية بين اللفظ والمعنى وعرضت لما يستدل به من يقولون باللفظ ، وما يستشهد به من يروون بالمعنى، وبينت أن الرواية بالمعنى ان جازت لبعض الصحابة ، فقد كان هؤلاء يملكون الأدوات التى تكفل لهم الاتيان بالحديث على وجهه ، أما غيرهم فان امكاناته تقصر به عن ذلك •

الفصل الثالث : « حفظ الحديث وكتابته » :

وقد أوضحت فيه أن القوم كانوا يتذاكرون الحديث ففى ذكره حياة له ، وكانت أقدارهم تقاس فيما تقاس بحفظهم له ولم يكن الحفظ يقف عند حد الاستظهار وانما كان الحديث يتحول الى سلوك يتبع •

ثم عالجت قضية كتابة الحديث وبينت أن تركيز القدماء على قوة الذاكرة العربية واعتماد أهلها عليها فى حفظ نصوصهم لا يجيز لنا أن ننفى عنهم تقديرهم لدور الكتابة فى هذا الصدد ، فقد تنبه المسلمون على مستوى الدولة والأفراد الى أهمية كتابة الحديث ، ولئن قامت أسباب حالت دون أن تتحمل الدولة مسئوليتها منـــذ وقت مبكر فان الأفراد قد كفوها هذا الأمر •

ولئن رأينا أن بعض الصحابة والتابعين كرهوا كتابة الحديث فقد وضح أن ذلك كان لأسباب عارضة، وما ان زالت حتى وجدناهم يجيزونها ويشيرون بها حتى كان عصر عمر بن عبد العزيز ، فبدأت الدولة تضطلع بمسئوليتها تجاه الحديث ، فيشير الخليفة بجمعه ويتحمل الزهرى هذه المسئولية .

وفى النصف الأول من القرن الثانى كثر القائمون بتدوين الحديث فى الأمصار الاسلامية بحيث يصعب الحكم لأحدهم بالسبق ، ثم تنوعت المناهج بعد ذلك ، وهى فى مجموعها انما قصدت الى المحافظة على حجية الحديث وسلامته .

ولعلى بذلك أكون قد أبرزت جهود المسلمين فى توثيق الحديث ليبقى محررا خاليا من الشوب .

الباب الأول

التثبت من الحديث فى عصر النبوة

الفصل الأول

دراسة الحديث

دراســـة الحديث

كان مسلمو عصر النبوة يحرصون على سماع الحديث ، وتلقيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، وكان يطيب لهم أن يلازموه ليأخذوا عنه ما استطاعوا .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجعل لدرس الحديث مجالس فى المسجد ، يقعد فيها ، ويحدث من معه من الصحابة فى أمور الدين ، وشئون الدنيا .

قال أنس بن مالك [1] : « جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم » .

وقال أبو سعيد الخدرى [2] : « كنا جلوسا فى المسجد اذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الينا فكأن على رءوسنا الطير لا يتكلم أحد منا » .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يطيل درسه . وانما كان يوزعه على الأيام حتى تظل النفوس نشطة ، وهى تستمع اليه ، وتتلقى منه ، لأنها اذا كلت ملت .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ كتاب الأشربة ص ٢٢٢ .

(٢) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٣٤ « مخطوط » .

أخرج البخارى بسنده عن ابن مسعود قال [٣] : كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا .

وكان يتخير من كل يوم وقتا مناسبا للدرس ، يفرغ فيه ، فيجلس الصحابة اليه حلقا حلقا ، يتلقون القرآن ، ويأخذون الحديث ، وكان يجعل ذلك فى الصباح حين يكون الذهن صافيا .

أخرج الحاكم فى المستدرك عن العرباض بن سارية ، قال [٤] : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون

وقال أنس : « انما كانوا اذا صلوا الغداة قعدوا حلقا ، يقرأون القرآن ، ويتعلمون الفرائض والسنن » [٥] .

كذلك كان يحدثهم فى المساء ، ليكون لهم فى بقية الليل متسع للحفظ والاستظهار .

قال عقبة بن عامر : « كانت علينا رعاية الابل ، فجاءت نوبتى ، فروحتها بعشى ، فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس ، فأدركت من قوله [٦] « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ،

---

(٣) العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص١٣٢ .
— القسطلانى : ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى جـ١ ص ٦٨ .
(٤) الحاكم : المستدرك جـ١ ص ٩٥ .
— ابن ماجة : سنن المصطفى جـ١ ص ٣٠ .
(٥) الهيثمى : مجمع الزوائد جـ١ ص ١٣٢ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ كتاب الطهارة ص ١١٨ .

ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرفق بالصحابة فى الدرس ، فكان يختار لهم موضوعات تناسب امكاناتهم ، ولا تعلو على مداركهم، كما لم يحدثهم بشيء هم فى غنى عنه ، وانما حدثهم بما كانوا فى حاجة اليه بأسلوب قريب منهم يمكنهم أن يأخذوه عنه ، ويفهموه منه ، قال أبو هريرة [٧] « جاء رجل من بنى فزارة الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان امرأتى ولدت غلاما أسود ، وانى أنكرته ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « هل لك من ابل » ، قال : نعم ، قال : « فما ألوانها ؟ » ، قال : حمر ، قال : « هل فيها من أورق ؟» ، قال : ان فيها لورقا ، قال : « : فأنى أتاها ذلك » ، قال : عسى أن يكون نزعة عرق ، قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » .

وقال [٨] : « اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعرب أو يشق عليهم » .

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى [٩] عن الأغلوطات وصعاب المسائل، وكان يستحثهم على اطراح المنكر والمستحيل من الأحاديث قال صلى الله عليه وسلم [١٠] « ما حدثتم عنى بما تعرفونه فخذوه ، وما

---

(٧) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٠ كتاب اللعان ص ١٢٣ .
الأورق : الذى فيه سواد ليس بصاف . والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب . ونزعة عرق : جذبه الشبه الى بعض أجداده بعامل الوراثة .
(٨) السيوطى : تدريب الراوى ص ٣٤٢ .
(٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥م .
(١٠) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٧٠ دار الكتاب العربى .

حدثتهم عنى مما تنكرونه فلا تأخـذوا به ، قال فانى لا أقول المنكر ولست من أهله » .

وكان الدرس الدينـي له صـــداه فى نفوس من يحضرونه من الصحابة ، فكانت مواعظ الرسول صلى الله عليه وسلم تتسامى بنفوسهم الى آفاق عالية ، ودوا لو دامت فلا يشغلهم عنها شىء ، قال حنظلة [11]: يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات .

ولقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فى درس الحديث المنهج الذى سار عليه فى درس القرآن .

قال ابن عباس [12]: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا هذا الدعاء كما يعلمنا السورة من القرآن : اللهـم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنـة المسيخ الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » .

---

(١١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٧ ص ٦٦ .
عافسنا الأزواج : حاولنا ذلك ، ومارسناه ، واشتغلنا به أى عالجنا معايشنا وحظوظنا .
الضيعات : جمع ضيعة وهى معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة .

(١٢) ابن ماجة : السنن : كتاب الدعاء جـ٢ ص ١٢٦٣ .
— النسائى : السنن : كتاب الجنائز جـ٤ ص ١٠٤ .
— الصنعانى : سبل السلام جـ١ ص ٣٦٣ .

وفى كتاب التوحيد يروى البخارى [١٣] أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كلها ، كما يعلم السورة من القرآن .

وقال سعد بن أبى وقاص [١٤] : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء الكلمات كما يعلم الكتاب » .

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمها هذا الدعاء [١٥] : « اللهم انى أسألك من الخير كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه ، وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم .... » .

وكان مما علمه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما نجده فى قوله لعبد الله بن قيس [١٦] : « ألا أعلمك كلمة هى من كنوز الجنة ، لا حول ولا قوة الا بالله » .

وطلب أبو بكر من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلمه دعاء يدعو به فى صلاته ، فقال له [١٧] قل اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لى من عندك مغفرة انك أنت الغفور الرحيم » .

---

(١٣) انظر حديث الاستخارة : صحيح البخارى جـ٦ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(١٤) صحيح البخارى : كتاب الدعوات جـ٨ ص ١٠٣ .
(١٥) ابن ماجة : السنن كتاب الدعاء جـ٢ ص ١٢٦٤ .
(١٦) صحيح البخارى : كتاب الدعوات جـ٨ ص ١٠٣ .
(١٧) صحيح البخارى : كتاب التوحيد جـ٩ ص ١٤٤ .
— ابن ماجة : السنن كتاب الدعاء جـ٢ ص ١٢٦١ .
— صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الذكر والدعاء جـ١٧ ص ٢٧ ، ٢٨ .

وقد روى عن ابن عباس وابن مسعود ، وأبى موسى الأشعرى وجابر بن عبد الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان [١٨] يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن ، وعن أبى محذورة أن النبى صلى الله عليه وسلم أقعده ، فألقى عليه الأذان حرفا حرفا ، وفى رواية عنه أنه قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذان •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى درسه حين [١٩] يحدث بالحديث يكرره ثلاث مرات لكى يفهم عنه ؛ ولا يفوت أحدهم بعض كلامه ، وكان لا يسرد الحديث ، ولا يعجل به حتى يتسنى للصحابة أن يأخذوه عنه ، ويقفوا على معانيه منه ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها [٢٠] أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه •

وقال ابن شهاب [٢١] : أخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت:

---

(١٨) ابن ماجة : السنن : جـ١ ص ٢٩٠ •
- النسائى : السنن جـ٣ ص ٤١ •
(١٩) ابن حزم : الاحكام فى أصول الأحكام جـ١ ص ١٢٤ •
- البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : مخطوط ص ٤٥ •
- الهيثمى : مجمع الزوائد جـ١ ص ١٢٩ •
- ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٩٨ •
(٢٠) صحيح البخارى جـ٤ باب صفة النبى ص ٢٣١ •
- صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٨ كتاب الزهد ص ١٢٩ •
(٢١) صحيح البخارى جـ٤ كتاب، باب صفة النبى ص ٢٣١ •

ألا يعجبك أبو فلان [٢٢] جاء فجلس الى جانب حجرتى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعنى ذلك . وكنت أسبح ، فقام قبل أن أقضى سبحتى ، ولو أدركته لرددت عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ، وفى رواية مسلم [٢٣] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم، وفى لفظ عند البيهقى : انما كان حديثه فصلا تفهمه القلوب.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كثر الجمع [٢٤] حوله يتخذ من يبلغ عنه حتى يصل حديثه الى كل سامعيه .

روى أبو داود والنسائى من حديث رافع بن عمرو . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلى يعبر عنه .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يفسح صدره للصحابة من حوله،

---

(٢٢) هو أبو هريرة : انظر مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٦ ص ١١٨ ط. المكتب الاسلامى .

(٢٣) السيوطى : تدريب الراوى ص ٣٣٨ .

— صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٦ كتاب فضائل الصحابة

— وفى رواية : « كان كلام النبى صلى الله عليه وسلم فصلا يفقهه كل أحد ، لم يكن يسرده سردا » أحمد بن حنبل : المسند جـ٢ ص ١٣٨ ط المكتب الاسلامى .

— وفى أخرى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسرد سردكم هذا، يتكلم بكلام بينه فصل، يحفظه من سمعه» أحمد بن حنبل: المسند جـ٦ ص ٢٥٧ ط المكتب الاسلامى .

(٢٤) السيوطى : تدريب الراوى ص ٣٣٨ .

ويقول لهم [٢٥] سوني عما شئتم . فلم يتحرجوا في سؤاله عما لا يعرفونه . ومسائل [٢٦] التي سألوه عنها . وبين لهم أحكامها بالسنة لا تكاد نحصي . ولكن انما كانوا يسألونه عما ينفعهم من الواقعات . فسألوه [٢٧] أي العمل أفضل ؟ وسألوه [٢٨] أي الاسلام خير ؟ وسألوه [٢٩] عن موعد الساعة ؟ وسألوه [٣٠] عن الميراث ؟ وسألوه [٣١] أي الأعمال أقرب الى الجنة ؟ ، وسألوه [٣٢] أي الذنب أعظم عند الله ؟ وسألوه [٣٣] عن وقت الصلاة ، وسألوه [٣٤] عن التوضؤ من ماء البحر .

(٢٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري
كتاب العلم جا ص ١٥٢ .

(٢٦) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جا ص٧١ .

(٢٧) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري
كتاب العلم جا ص ٦٥ .
الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٣٠ .

(٢٨) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري
جا ص ٦٩ .

(٢٩) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري
جا ص ١١٧ .

(٣٠) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري :
كتاب العلم جا ص ٢٤١ .

(٣١) مسلم : صحيح مسلم : كتاب الايمان جا ص ٩٠ ط الحلبي.

(٣٢) صحيح مسلم : كتاب الايمان جا ص ٩٠ .
— صحيح البخاري : كتاب التفسير ج٩ ص ٢٢ .
— البخاري خلق أفعال العبارد ص ١٩٤ .
— الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٠٠ .
صحيح مسلم : كتاب المساجد جا ص٤٢٧ .

فقال : هو الطهور ماؤه . الحل ميتته . وسألوه [٣٥] : أي الأعمال أحب الى الله ؟ ، وسألوه [٣٦] عن الأعمال التى تدخل الجنة ؟ وسألوه [٣٧] أي الصدقة أفضل ، وسأله عمر[٣٨] عن الغسل من الجنابة. وسألوه[٣٩] عن الحج ، فقال : الحج عرفة .

وقال حذيفة [٤٠] : « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى .

وفى حجة الوداع وقف [٤١] بمنى للناس يسألونه فى مناسكهم . وكانوا جمعا عظيما ، فما سئل عن شيء قدم ولا أخر الا قال : افعل ولا حرج . لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يشدد أو يضيق فى الأحكام ؛ وانما كان ييسر فالاسلام سمح . والشريعة لا تقوم على العسر .

---

(٣٤) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٨٧ .
(٣٥) البخارى : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٩٣ .
— النسائى : السنن جـ١ ص ٢٩٣ .
(٣٦) صحيح البخارى : باب الأدب جـ٨ ص ٦ .
(٣٧) صحيح البخارى : كتاب الوصايا جـ٤ ص ٥ .
(٣٨) النسائى : السنن جـ١ ص ٢٠٥ .
(٣٩) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٤ « مخطوط » .
(٤٠) صحيح البخارى : باب علامات النبوة جـ٤ ص ٢٤٣ .
(٤١) العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص١٤٧ .
— ابن ماجه : سنن المصطفى جـ٢ ص ١٠١٤ .
— النسائى : السنن جـ١ ص ٩٦ .

وقد حصد وى هذا الحشد فى عرفة . فبين كثيرا من الأحكام ، وأمر من سمعوه أن يبلغوه من غيرهم . فقال (٤٢) : ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

وكان من يستحى يأمر غيره بالسؤال ، روى البخارى عن على قال (٤٣) : كنت رجلا مذاء . فأمرت المقداد أن يسأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله ، فقال : فيه الوضوء .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يترك السائل ، وفى نفسه شيء وكان يفيض فى الاجابة حتى لا يترك لسامع حاجة ، بل انه كان (٤٤) يجيب السائل بأكثر مما سأله .

وكان من يسمع منهم خبرا ، ويحيك فى صدره شيء منه ، فيحول دون اقتناعه به ، لا يصبر عليه ، ويذهب من ساعته الى الرسول صلى

---

(٤٢) ابن هشام السيرة جـ٤ ص ٢٧٦ .
(٤٣) مالك : الموطأ بشرح السيوطى جـ١ ص ٩٣ ط. دار الكتب العلمية — بيروت .
— مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٦ ص٢ وانظر ص٤ . المكتب الاسلامى للطباعة والنشر .
— وقع اختلاف فى السائل : هل هو المقداد كما فى هذه الرواية . أو عمار كما فى رواية أخرى . أنظر النسائى : السنن جـ١ ص ٩٦ . ولا منافاة بين الروايتين لجواز أمره كلا من عمار ومقداد . انظر حاشية السندى على سنن النسائى جـ١ ص٩٧ وانظر مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٦ ص٥ .
(٤٤) العسقلانى . فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله ص ٢٤١ .

الله عليه وسلم ليسأله عنه ليزيل ما خالجه من شك ، وتطمئن نفسه بما سمع .

قال أنس [٤٥] : أتى رجل (من أهل البادية) فقال يامحمد ، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك . قال : صدق . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله . قال : فمن جعل فيها هذه المنافع ؟ قال : الله . قال : فبالذى خلق السماء والأرض . ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع ، آلله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا . قال : صدق . قال : فبالذى أرسلك . آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم. قال : وزعم رسولك أن علينا صدقة فى أموالنا . قال : صدق . قال فبالذى أرسلك . آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر فى سنتنا . قال صدق . قال : فبالذى أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا . قال : صدق . قال : فبالذى أرسلك : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قال . والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن . فلما مضى قال : لئن صدق ليدخلن الجنة .

أما فيما يختص بمعانى القرآن ، فقد سألوه فيما لم يعرفوه منها.

---

(٤٥) النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٥ .
- الرجل هو ضمام بن ثعلبة .
- والحديث أخرجه مسلم . راجع صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ كتاب الايمان ص ١٧٠ ، ١٧١ .
- راجع البخارى كتاب العلم (باب ما جاء فى العلم جـ١ ص١٩).
- أنظر الهيثمى : مجمع الزوائد جـ١ ص ٢٨٩ .

قالت عائشة :[46] أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار » قالت ، فقلت : أين الناس يومئذ يارسول الله ، قال : على الصراط » .

وقد كانت النساء يحرصن على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاستماع الى حديثه ، وكن [47] يسألنه ويستكثرنه ، ولما رأين أن الرجال قد غلبوهن على هذه المجالس ، وأن ظروف الحياة لا تتيح لهن أن يأخذن الحديث عن غيره شكون ذلك اليه . أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري قال[48] : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله ، فقال : اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا ، فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة الا كان لها حجابا من النار ، فقالت امرأة منهن : يارسول الله : واثنين ، قال فأعدتها مرتين ، ثم قال : واثنين ، واثنين ، واثنين .

وفي سنن النسائي[49] . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى العلم عند دار كثير بن الصلت ، فصلى «يوم عيد» ، ثم خطب ، ثم

---

(٤٦) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٦ ص ٢٣ طه المكتب الاسلامي للطباعة النشر .

(٤٧) البخاري : صحيح البخاري : باب الأدب جـ٨ ص ٣٨ طه الشعب .

(٤٨) البخاري : صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنه جـ٩ ص ١٢٤ .

(٤٩) النسائي : سنن النسائي : جـ٣ ص ١٩٣ ، ص١٩٣ .

أتى النساء فوعظهن ، وذكرهن وآمرهن أن يتصدقن ، فجعلت المرأة تهوى بيدها الى حلقها تلقى فى ثوب بلال .

وكانت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عندما تسمع منه شيئا لا تعرفه تسأل فيه ، ولم يكن هذا شأنها وحدها . وانما كان شأن الصحابيات جميعا ، فقد سألن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا فى شئونهن الخاصة ليعرفن موقف الاسلام منها ، وحكمه فيها . تقول عائشة (٥٠) : نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين ، سألته (٥١) امرأة عن غسلها من المحيض . وسألته أخرى كيف تصنع فى ثوبها الذى تحيض فيه .

وقد تلقت النساء بعامة عن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا مما يتعلق بشئون النساء فى حياتهن الخاصة ، وما يتصل بهن من فقه العبادات .

وقد كان الصحابة يحرصون على ألا يفوتهم شىء من الحديث . فكانوا يصرون على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم . ويداومون على ذلك ليسمعوا منه بآذانهم ، وليروا أفعاله بعيونهم .

---

(٥٠) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٢ ص ٢٨٤ .
— مسلم : صحيح مسلم جـ١ ص ٢١٦ ط . الحلبى .
— السيوطى : تدريب الراوى ص ٣٤٩ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم جـ١ ص ١٠٥ .

(٥١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ١ ص ٣٣ ، ص ٣٢٩ .
وانظر نماذج أخرى من الأسئلة جـ١ ص ٣٣١ ، ٣٣٤ .
— راجع صحيح مسلم جـ١ ص ٢٦٠ .

وليقفوا منه على الأحدث فالأحدث من أمره . غير أن بعضهم كانت تشغلهم مطالب الحياة ، وتعوقهم أعمالهم عن المواظبة على حضور تلك المجالس بانتظام ؛ فكانوا يتناوبون ذلك يوما بعد يوم حتى تتم لهم معرفة كل ما يقوله وما يعمله . قال عمر [٥٢] « كنت أنا وجار لى من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، واذا نزل فعل مثل ذلك ، وفى لفظ [٥٣] : فما أتى من حديث أو خبر أتانى به ، وأنا مثل ذلك » .

وكان مما عد من فضل أبى هريرة ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم من حرصه على الحديث ، فقد روى عنه أنه قال : [٥٤] « يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : ظننت يا أبا هريرة لا يسألنى عن هذا الحديث أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، ان أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة ، من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه » .

وقد تمثل حرص أبى هريرة فى أنه كان يعى ما يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويفيد منه .

---

(٥٢) ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٥٠ .
— وراجع صحيح البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة جـ٩ ص ١٠٩ ط. الشعب .

(٥٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ص ١٣٥ .

(٥٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٣٦٤ ط. دار صادر .
— الدارمى : الرد على المريسى : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٤٩٢ .

قال [٥٥] : صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لم أكن في سنى أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن •

وقد توفرت لأبى هريره أحاديث لم تتوفر لغيره ، فأخذ يحدث بها ويحمل الناس عليها ، فلما أخذ عليه الاكثار من الحديث قدم للمعترضين الأسباب التى هيأت له ذلك •

قال [٥٦] : لم يكن يشغلنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودى ولا صفق بالأسواق ، انما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلة يطعمنيها ، أو كلمة يعلمنيها • وفى رواية [٥٧] انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعد ، انى كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم •

وقال عبد الله بن عمر : كان أبو هريرة ألزمنا لرسول الله صلى

---

(٥٥) البخارى : الجامع الصحيح : ج٤ باب علامات النبوة ص٢٣٩ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٤ قسم ٢ ص ٥٤ •
(٥٦) الدارمى : الرد على المريسى : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٤٩٢ •
(٥٧) البخارى : الجامع الصحيح ج٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنه ص ١٣٣ •
— وصحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ باب فضائل أبى هريرة ص ٥٣ •
(٥٨) الدارمى . الرد على المريسى ص ٤٩٢ •

الله عليه وسلم ، وأعلمنا بحديثه ؛ أما عن عبد الله نفسه فقد كان حين تشغله ظروف حياته عن لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، والسماع منه[٥٩] يسأل من يحضر عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعل.

وكان من يعيشون بعيدا عن المدينة يقصدونها ليسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما عرض لهم من شئون الحياة ، وليتفقهوا [٦٠] أمور الدين ، ويحملوا عنه ما يتاح لهم من وصاياه ؛ أو خطبه ، أو أحاديثه ، وليتعلموا أحكام الاسلام ، ولا يمنعهم من ذلك طول الطريق ، وبعد المشقة ، ولا يردهم عنه أن الكفار يعترضونهم .

روى البخاري [٦١] عن ابن عباس أن وفد عبد القيس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من الوفد أو من القوم ، قالوا ربيعة ، فقال : مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى ، قالوا انا نأتيك من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، ولا نستطيع أن نأتيك الا فى شهر حرام ... الحديث » .

وقال عقبة بن الحارث[٦٢] : تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء ، فقالت أنى قد أرضعتكما، فأتيت [٦٣] النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته،

---

(٥٩) البغدادى : تاريخ بغداد جـ١ ص ١٧٢ مطبعة السعادة .

(٦٠) انظر خبر أهل اليمن عندما جاءوا الى الرسول صلى الله عليه.
— صحيح البخارى : كتاب التوحيد جـ٩ ص ١٥٢ .

(٦١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٤٩ .
مسلم جـ١ كتاب الايمان ص ١٨٣ — ١٩٣ .

(٦٢) النسائى : السنن جـ٦ ص ١٠٩ شرح النووى على صحيح
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٣٢٥ ط. دار الكتاب .

(٦٣) وفى رواية البخارى « فركب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسأله » . راجع ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٥٠ .

فقلت انى تزوجت فلانة بنت فلان ، فجائتنى امرأة سوداء ، فقالت انى قد أرضعتكما ، فأعرض عنى . فأتيته من قبل وجهه ، فقلت انها كاذبة ، قال : وكيف بها وقد زعمت أنها قد أرضعتكما ، دعها عنك .

وروى ابن ماجه (٦٤) عن أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف ... فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه .

كذلك قدمت وفود (٦٥) من بنى حنيفة وطىء وكنده ، وهمدان وبنى سعد .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع الراغبين فى العلم . ويهون عليهم وعثاء الطريق ، ويجيبهم على مسائلهم . قال (٦٦) : من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة . وقال زر بن حبيش (٦٧) : جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد متكىء له على برد له أحمر قال : فقلت : يارسول الله : انى جئت أطلب العلم ، فقال : مرحبا بطالب العلم ، ان طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضها بعضا حتى تعلو الى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب » فما جئت تطلب ، قال ، قلت يا رسول الله ، لا أزال أسافر بين مكة والمدينة ، فافتنى عن المسح على الخفين .

---

(٦٤) ابن ماجه : السنن : جـ١ ص ٤٢٧ .
(٦٥) ابن هشام : السيرة النبوية جـ٤ ص ٢٢١ .
(٦٦) ابن ماجه : سنن المصطفى جـ١ ص ٥٩ .
(٦٧) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٣٨ ، ٣٩ .
— ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل جـ١ ص ١٣ ط الهند سنة ١٩٥٢ .

وقد بشر الرسول صلى الله عليه وسلم طالب العلم بأن له أجرا على سعيه فى طلبه قال [٦٨] «من طلب علما فأدركه كتب الله له كفلين من الأجر ، ومن طلب علما فلم يدركه كتب الله له كفلا من الأجر » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يوجه من يسمعونه الى أن يحدثوا الناس بما تعلموه منه لينشروه بينهم ، فكان يقول لهم :

— [٦٩] « انى أحدثكم بالحديث فليحدث الحاضر منكم الغائب » .

— [٧٠] « ليبلغ الشاهد الغائب فرب [٧١] مبلغ أوعى من سامع » .

— [٧٢] « تعلموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا الفرائض ، وعلموها الناس فانى أمرؤ مقبوض » .

— [٧٣] « من أدى حديثا الى أمتى لتقام به سنة ، أو تثلم به بدعة فله الجنة » .

— [٧٤] « وعن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(٦٨) الهيثمى : مجمع الزوائد ج١ ص ١٢٣ .

(٦٩) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٧١ .

— الهيثمى : مجمع الزوائد ج١ ص ١٣٩ .

(٧٠) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص ١٣٠ .

— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٤٩ .

— البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٩ .

(٧١) وفى رواية : « فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه » راجع : صحيح البخارى : ج٥ باب قصة وفد طىء ص ٢٢٤ ط. الشعب .

(٧٢) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ١٨٦ .

(٧٣) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٤٤ .

(٧٤) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٦٣ .

خرج عليهم فقال لهم : « اللهم ارحم خلفائي : قلنا يارسول الله . من خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون أحاديثي وسنني . ويعلمونها للناس » .

وعن عبد الله بن عمرو . قال [75] : خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن سكوت ، لا نتحدث . فقال : ما يمنعكم من الحديث ؟ فلما سمعناك تقول : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، فخشينا أن نزيد أو ننقص . فقال : حدثوا عني ولا حرج .

وقال الحارث بن عمرو [76] : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى أو بعرفات ، ثم قال : أيها الناس ، أى يوم ذا ؟ وأى شهر ذا ؟ فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم ، وشهركم وبلدكم ، اللهم هل بلغت ، فليبلغ الشاهد الغائب .

وعن عبد الله بن مسعود ، قال [77] : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(75) ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل جـ٢ ص ٧ .
(76) ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل جـ٢ ص ٨ .
(77) الترمذى : السنن جـ١ ص ١٤١ .
— ابن ماجة : السنن جـ١ ص ٨٤ .
— ابن حنبل : المسند جـ٤ ص ٨٠ ، جـ٥ ص ١٩٣ .
— الحاكم : المستدرك على الصحيحين فى الحديث جـ١ ص ٨٦ ، ص ٨٧ .
— ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل جـ٢ ص ١٠ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٦٤ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٤٧ .
— البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ١٠ .
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٥ ط . دار الكتاب العربى .

وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتى فحفظها ، ووعاها ، وأداها ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه .

وعن ابن عباس . قال [٧٨] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع من الذين يسمعون منكم» .

وعن أبى هريرة قال [٧٩] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل حفظ علما فسئل عنه فكتمه الا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار » .

وقد بلغ عدد [٨٠] من روى عنه نحو ستين ألفا ، وكان [٨١] التبليغ عنه من عين تبليغ ألفاظه ، وما جاء به ، وتبليغ معانيه .

يمكننا أن نقول اذ ن ان الرسول صلى الله عليه وسلم عمل على نشر حديثه ، واعلام الناس به ممن لم يكن يتيسر لهم حضور مجالسه والتلقى عنه مباشرة ، فأمر من كانوا يجلسون اليه أن يتعلموا الحديث

---

(٧٨) الحاكم : المستدرك على الصحيحين فى الحديث جا ص ٩٥ .
— ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل ج٢ ص٨ .
— ابن حنبل : المسند ج٤ ص ٣٤٠ .
— ابن عبد أبر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٥١ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٢٠٧ .
(٧٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٤ .
— ابن عبد البر : الكفاية فى علم الرواية ص ٥٤ ط دار الكتاب العربى .
(٨٠) ابن كثير : الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث ص ٩٨ .
(٨١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ١٨٩ .

عنه . ويروونه لغيرهم لكى تذيع السنه ، وتزول البدعة ، بل انه أوجب العقاب على من يقصر فى ذلك .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو للوفود التى تفد عليه من أجل التفقه فى الدين أن يعوا ما يتلقونه عنه من الايمان والعلم، ويحملوه الى من وراءهم .

قال مالك بن الحويرث (٨٢) : « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا ، فظن أنا قد اشتقنا الى أهلنا ، فسألنا عما تركناه من أهلنا ، فأخبرناه ، فقال : ارجعوا الى أهليكم ، فأقيموا عندهم . وعلموهم ، ومروهم اذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس (٨٣) : « ارجعوا الى أهليكم فعلموهم » وفى رواية أحفظوهن وأخبروهن من وراءكم » .

أما من كانت ظروف حياته لا تمكنه من لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن الجلوس اليه ، والتلقى منه ، فقد كان يتجه الى أخذ الحديث عمن أخذه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد

---

(٨٢) النسائى : السنن جـ٢ ص ٩ .
— صحيح البخارى بحاشية السندى جـ٤ ص ٢ ٥٠
(٨٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى : جـ١ ص ١٤٩ .

استحثهم الرسول على ذلك . وحببه اليهم بقوله(٨٤) : من سلك طريق يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة .

روى الحاكم عن البراء بن عازب . قال(٨٥) : ما كل الحـديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا ، وكنا مشتغلين فى رعاية الابل . وأصحاب رسول لله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعونه من أقرانهم ، وممن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من يسمعون منه .

وكان هذا شأن كل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يمنعهم السعى على المعاش من أن يحظوا بالأخذ عنه ، فقد أقبلوا على طلب ما فاتهم سماعه من أقرانهم الذين مكنتهم ظروف حياتهـم من لقائه ، والجلوس اليه ، والاستماع منه ، وكانوا يتوخون أى هؤلاء أحفظ للحديث لتطمئن قلوبهـم اليه ، وليكونوا أقرب الى السلامة .

---

(٨٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جا ص ١٣١ .

(٨٥) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٤ .

المستدرك على الصحيحين فى الحديث جا ص ٩٥ .

— وفى رواية : « ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب » .

— راجع الرامهرمزى: المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٢٣٥ .

— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٢٤ ط. دار الكتـاب العربى .

— البغدادى : الجامع لأخـلاق الراوى وآداب السامع ص ١٣ «مخطوط» .

وكانوا يتشددون فى ذلك طلبا للاستيثاق ، وكان من تشددهم أنهم كانوا يتمسكون بأن يشهد مع من يحدثهم بحديث شاهد يكون قد سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ، وذلك لشدة احتياطهم فى قبوله ، ومن استيثاق على بن أبى طالب انه كان اذا فاته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ثم سمعه من غيره ، يحلف المحدث الذى يحدث به، فقد روى ابن ماجة عنه فى سننه قوله[86] : «كنت اذا سمعت من رسول الله حديثا ، ينفعنى الله بما شاء منه ، واذا حدثنى غيره استحلفته فاذا حلف صدقته .

وقد أخذ عمر بتلابيب[87] هشام بن حكيم عندما سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما يقرؤها ، ويأتى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيصوب كلا منهما ويقول : هكذا أنزلت . ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه .

وقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسلا الى الأمصار المختلفة ليعلموا من أسلم من أهلها القرآن والسنن ، وشرائع الدين وأحكامه يقول ابن حزم[88] : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا الى الجند (بفتح الجيم والنون) موضع باليمن ، وجهات أخرى وهى زبيده وغيرها ، وأبا بكر على الموسم مقيما للناس حجهم ، وأبا عبيدة الى نجران ، وعليا قاضيا على اليمن ، وكل من هؤلاء مضى الى جهة أسلمت

---

(٨٦) ابن ماجة : السنن جـ١ ص ٤٤٦ .
— الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٥ .
(٨٧) انظر صحيح البخارى جـ٢ ص ٢٢٧ ط. الشعب .
(٨٨) ابن حزم : الاحكام فى أصول الأحكام جـ١ ص ٩٨ ، ٩٩ .
— راجع : ابن حزم : جوامع السيرة ص ٢٣ .

بعدت منه أو قربت كأقصى اليمن والبحرين وسائر الجهات والأحياء والقبائل التى أسلمت ، بعث الى كل طائفة رجلا معلما لهم دينهم . ومعلما لهم القرآن . ومفتيا لهم فى أحكام دينهم ، وقاضيا فيما وقع بينهم ، وناقلا اليهم ما يلزمهم عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعهد هؤلاء الرسل بالتوجيه . ويزودهم بالنصائح ، ويبصرهم بمهامهم ، ويضع لهم خطة عملهم حتى يكونوا على مستوى المسئولية التى خرجوا من أجلها ، فينشروا الاسلام ويعلموا الناس تعاليمه .

قال لمعاذ (٨٩) : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك ، فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »

---

(٨٩) صحيح مسلم بشرح النووى: ج١ كتاب الايمان ص١٩٦ ، ١٩٧ .

الفصل الثاني

توثيق الحديث
الحفظ والكتابة

حفظ الحديث

أقبل المسلمون على حفظ الحديث . كما أقبلوا على حفظ القرآن منذ بدء الدعوة ، فكان من يسمع الحديث يعمد الى حفظه ، ويحرص على ذلك ؛ قال أنس [1] : كنا نكون عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وربما كنا نحوا من ستين انسانا ، فيحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقوم ، فنتراجعه بيننا ؛ هذا . وهذا . وهذا ، فنقوم وكأنما قد زرع فى قلوبنا .

وكان ابن عباس [2] وزيد بن أرقم يتذاكران السنة . كما كان أبو موسى [3] وعمر بن الخطاب يتذاكران حتى الصبح .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من جانبه يحبذ استذكار الحديث ، ويدعو المسلمين اليه .

يقول معاوية [4] : « كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم يوما ؛

---

(١) البغدادى : الفقيه والمتفقه جـ٢ ص ١٢٧ نشر دار الكتب العلمية بيروت .

— وفى رواية : « كنا نكون عند النبى صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث ، فاذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه » .

— البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٦ «مخطوط» .

(٢) أحمد بن حنبل : المسند جـ٤ ص ٣٧٤ .

(٣) البغدادى : الفقيه والمتفقه جـ٢ ص ١٣٨ .

(٤) الحاكم : المستدرك على الصحيحين فى الحديث : كتاب العلم جـ١ ص ٩٤ .

فدخل المسجد ، فاذا هو بقوم فى المسجد قعود ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما يقعدكم ؟ قالوا : صلينا الصلاة المكتوبة ، ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله اذا ذكر شيئا تعاظم ذكره » .

وفى غزوة تبوك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعوف بن مالك الأشجعى (٥) « يا عوف ، احفظ خلالا ستا بين يدى الساعة ... ثم يذكر الحديث » .

وكان عبد الله بن عمر (٦) يحفظ ما يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو هريرة (٧) مفرط الحرص على الحديث ، فدأت على أن يستذكر ما يسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : جزأت الليلة ثلاثة أجزاء ، ثلثا أصلى ، وثلثا أنام ، وثلثا أذاكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ألحت الرغبة فى حفظ الحديث على أبى هريرة ، فتوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بها ، قال (٨) : يارسول الله : انى أسمع

---

(٥) ابن ماجة : السنن : جـ٢ كتاب الفتن ص ١٣٤٢ .
(٦) البغدادى : تاريخ بغداد جـ١ ص ١٧٢ .
(٧) الدارمى : السنن : باب العمل بالعلم وحسن النية فيه جـ١ ص ٨٣ .
(٨) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى : جـ١ ص ١٧٤ .
— وراجع صحيح البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة جـ٩ ص ١٣٣ ، وباب علامات النبوة جـ٤ ص ٢٥٣ .
— راجع صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٦ باب فضائل أبى هريرة ص ٥٤ .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٤ ص ٣٣٠ طبعة دار صادر .

منك حديثا كثيرا أنساه ، قال : ابسط رداءك فبسطته ، قال : فغرف بيديه ، ثم قال : ضمه . فضممته ، فما نسيت شيئا بعده .

ولم تكن الرغبة فى حفظ الحديث مطلب أبى هريرة وحده ، وانما كانت عند الصحابة بعامة ، ففى المستدرك عن زيد بن ثابت ، قال [٩] : كنت أنا وأبو هريرة وآخر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم انى أسألك مثل ما سألك صاحباى ، وأسألك علما لا ينسى ، فأمن النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : ونحن يارسول الله كذلك ، فقال : سبقكما الغلام الدوسى .

وقد روى عن أبى هريرة [١٠] أنه حفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، ومراده أن محفوظه من الحديث لو كتب لملأ وعاءين، وقد عرف بهذه المنقبة ، قال الشافعى [١١] : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث .

وكان حفاظ الحديث بعامة معروفين بضبطهم له ، وكان الصحابة يتوجهون اليهم ليسمعوا منهم ما فاتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوضح ذلك ما سلف أن ذكرناه من قول البراء ابن عازب [١٢] : « ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا ، وكنا منشغلين فى رعاية الابل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عايه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعونه من أقرانهم ، وممن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من يسمعون منه » .

---

(٩) السيوطى : تدريب الراوى ص ٤٠٣ .
(١٠) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب العلم جا ص ١٧٥ .
(١١) السيوطى : تدريب الراوى ص ٤٠٣ .
(١٢) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٤ .

حفظ الحديث وكتابته

ان أمر ازدهار الكتابة فى عصر النبوة لم يعد موضع مناقشة . فالشواهد [١٣] الواقعية ، والنصوص المدونة بددت كل الشـــكوك التى أثيرت حول هذه القضية • ولا أريد أن أعرض هنا بالتفصيل الى ما يمكن أن يقوم دليلا على أن الكتابة أصبحت ظاهرة حضارية فى عصر النبوة ؛ ولكن ما أريد أن أنبه اليه هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل الكتابة فى شئون الدين ، وأمور الحياة معا ، وهو فى ذلك انما يستجيب لدواعى الاســـلام ، ويراعى ظروف الدولة الناشـــئة . وطرائقها فى المعايش •

فأما عن العامل الاول ، فلقد أخذ الاسلام من الكتابة موقف من يعرف لها مكانتهـــا ، ويدرك أثرها . فأنت تجـــد فى القـــرآن ذكرا لهـــا فى قوله تعـــالى [١٤] : « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها » كمـــا تجد فيه ذكرا لأدواتها الرئيسية من أقلام ومداد وكتب ، ففى سورة لقمان [١٥] : « ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفذت كلمات الله » ، وفى سورة الكهف [١٦] : « قل لو كان البحر مدادا لكمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » وفى سورة البقرة [١٧] : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » •

---

(١٣) راجع ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى ص ٦٨ـــ٧١ •
(١٤) سورة الفرقان : آية ٥ •
(١٥) آية ٢٧ •
(١٦) آية ١٠٩
(١٧) آية ٢ وانظر سورة هود آية ١ ، وانظر سورة يوسف آية ١ ؛ وسورة الرعد آية ١ . وسورة ابراهيم آية ١ ، وسورة الحجر آية ١ •

ونفى المعرفة بالقراءة والكتابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل على تأييد وحيية القرآن ، ورد اعجازه الى أنه كلام الله ؛ فهو لم يتلقه من بشر ، ولم يأخذه عن أحد . وعلى ذلك فليس لنا أن نصرفه الى أنه كان من سمات الشخصية المتميزة عندئذ . أو صـــفة النموذج الأمثل للانسان المسلم ، والآيات القرآنية تصـــحح هذا القول ، ففى سورة الكهف [١٨] : « واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك » ، وفى سورة العنكبوت [١٩] : « اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة » ، وفى موضع آخر منها [٢٠] : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » .

ثم ان القسم بأدوات الكتابة كان فيه رفعة لشأنهـــا واعتراف بقدرها ، كذلك وجد فيه المسلمون دافعا قويا استحثهم على الاقبال عليها والافادة منها ، فمن أقسام القرآن [٢١] . «والطور وكتاب مسطور» « حم والكتاب المبين » [٢٢] . « ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمه ربك بمجنون » [٢٣] .

ولئن [٢٤] رأيناها وقفت عند حدود الظاهرة الحيوية التى تفى ببعض الحاجات الأساسية فى الحياة فى العصر الجاهلى الا أن الدولة الاسلاميه

---

(١٨) سورة الكهف آية ٢٧ .

(١٩) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

(٢٠) سورة العنكبوت آية ٤٨ .

(٢١) سورة الطور : آية ٢ .

(٢٢) سورة الدخان : آية ٢ .

(٢٣) سورة القلم : آية ١ .

(٢٤) راجع : الدكتور يوسف خليف . دراسات فى الشعر الجاهلى ص ١٤ .

اعتمدت منذ قيامها على الكتابة فى توثيق وثائقها الوحيية من القرآن والسنة وفى هذا المقام لا أريد أن أتحدث بإسهاب عن كتابة للقرآن وعن كتاب الوحى الذين وقفهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابته فور نزوله على ما تيسر لهم من أدوات العصر ، وبما أتيح لهـم من وسائله ، فلقد وفيت [٢٥] هذا الجانب حقه من الدرس فى مواضع أخرى مما لا يدع ضرورة لاعادته .

وأما عن العامل الثانى فلقد خرجت الدعوة الى الاسلام من مكة حيث كانت التجارة غالبة ، وفى البيئات التجارية تكتسب الكتابة أهمية خاصة اذ تصبح ضرورة تفرضها شئون المال وأسواق المعاملات .

وأنت تجد فى القرآن توجيها صريحا الى الكتابة ، واتخاذها وسيله تنتظم بها الحياة ، وتقوم عليها العلاقات بين المسلمين وبخاصة فيما يمس الدين ، والحكمة بالغة فى أن تأتى الآية التى تتضمن دور الكتابة فى التعامل بين المتداينين والأمر بكتابة الدين صغر أو كبر حتى لا تعلق به الظنون على جانب من التفصيل والطول ، قال تعالى[٢٦] : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب ، وليملل الذى عليه الحق ، وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شـيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا ، أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين ، فرجل

---

(٢٥) راجع من كتب المؤلف ـــ الاتجـاهات الفكرية فى التفسير من ص ٢٤ ـــ ٢٨ .
ـــ أبى بن كعب من ص ٢٢ ـــ ٢٥ .
(٢٦) سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل احداهما ، فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله ، وأقوم للشهادة ، وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا اذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم » .

واذا كانت الآية قد بينت أن فى الكتابة حماية لحق الدائن ، واحتراسا من أن يشوب الدين شوب ، أو يداخله شك ، فان ذلك يوجب كتابة العلم فهو أولى بأن يصان ، وأجدر بأن يوثق . يقول البغدادى (٢٧)

« لما أمر الله تعالى بكتابة الدين حفظا له واحتياطا عليه ، واشفاقا من دخول الريب فيه ، كان العلم الذى حفظه أصعب من حفظ الدين أحرى أن تباح كتابته خوفا من دخول الريب والشك فيه » .

كذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم الكتابة فى تصريف شئون الدولة وفيما أبرمه من عهود وأحلاف ، وما كتبه من رسائل الى الملوك والأمراء بقصد (١) دعوتهم الى الاسلام ، واخبارهم بشعائره وفرائضه ، كما استخدمها فيما اتجه اليه من تنظيم ، وما أقبل عليه من احصاء المسلمين وعدهم ، روى ابن ماجة (٢٨) عن حذيفة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحصوا لى كل من تلفظ بالاسلام ، قلنا يارسول الله ، أتخاف عينا ، ونحن ما بين الستمائة الى السبعمائة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انكم لا تدرون ، لعلكم أن تبتلوا .

---

(٢٧) البغدادى : تقييد العلم ص ١٧ .

(٢٨) ابن ماجة : السنن : كتاب الفتن جـ١ ص ١٣٣٧ .

— وراجع صحيح البخارى : كتاب فضل الجهاد والسير جـ٤ ص ٨٧ ط . الشعب .

— وانظر صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب العلم جـ٢ ص ١٧٨ .

قال : فبايننا حتى جعل الرجل منا ما يصلي[٢٩] الا سرا » .

بل ذلك أصبح أمرا مقررا ، وفرغ الباحثون من نقاشه مما يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدرك أثر الكتابة في حياة الفـــرد وحياة المجتمع معا . وربما كان ذلك هو الذي وجه الى اشتراط أن يقوم أسرى بدر من المشركين ممن لا يملكون الفداء بتعليم بعض من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وربما كان أيضا وراء اتجاهه الى أن تكون بعض أزواجه على بصر بها فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن[٣٠] الشفاء بنت عبد الله ، قالت : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصه فقال لي : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة .

واذا كان [٣١] بعضهم قد حكم على الكتابة التي كانت مستعملة عندئذ

---

(٢٩) يقول النووي : لعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان بعضهم يخفي نفسه ، ويصلي سرا مخافة من الظهور والمشاركة في الدخول في الفتنة والحروب . أنظر شرح النووي على صحيح مسلم جـ٢ ص ١٧٩ .

(٣٠) أحمد بن حنبل : المسند جـ٦ ص ٣٧٢ .

(٣١) بلاشير : تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي ص ١٠٥

تتردد هذه العبارة عند الحديث عن الكتابة في العصر الجاهلي في كتب المؤرخين « وكانت الكتابة في العرب قليلة » .

أنظر تاريخ دمشق جـ٦ ص ٨٤ ، جـ٥ ص ٢١١ ، جـ٣ ص ٣٦ ؛ جـ٢ ص ٣٣٢ .

الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ : ٢ ، ١٤٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٩ ؛ ٧٧ ؛ جـ٦ ص ٣٦ .

ومن يردون ذلك يوسف العش وذلك حيث يقول : « ان ذوي العلم يعرفون أن الكتابة كانت قليلة في عرب الجاهلية ، ونشأة الاسلام ، وان من كان يكتب ، لم يكن يحسن الكتابة ، بل كان يبذل وقتا طويلا في عدد من الأسطر ينكب عليها فلا يفرغ منها الا وقد أقرن جهده معها » . تصدير كتاب تقييد العلم ص١٨ .

بأنها كانت ذليلة وهزيلة ، فان حكمه يجافى الإنصاف ، لأن مقياس الجودة مرهون بزمنه ، والحكم على ظاهرة ما يجب أن يكون فى ضوء عصرها ومحيطها .

ويرى الدكتور يوسف العش فى المقدمة التى كتبها لكتاب « تقييد العلم »[٣٢] أنه يجب تقسيم الأجيال التى مرت على تاريخ تقييد العلم « الحديث » بصورة تتفق ، وتطور العلم الاسلامى ، والسياسة والمجتمع ، والأجيال الى ما يأتى :

١ ــ عهد الرسول والصحابة الأولين وينتهى نحو سنة ٤٠هـ بوفاة آخر الخلفاء الراشدين .

٢ ــ عهد الصحابة المتأخرين والتابعين الأولين ، وينتهى حوالى سنة ٨٠هـ فى أواخر عهد عبد الملك بن مروان .

٣ ــ عهد التابعين المتأخرين وينتهى حوالى سنة ١٢٠هـ فى أواخر خلافة هشام ابن عبد الملك .

٤ ــ عهد الخالفين ، وينتهى حوالى سنة ١٦٠هـ .

وقد رد الدكتور صبحى الصالح[٣٣] فى كتابه «علوم الحديث» هذا التقسيم لأنه ان كان يوافق المدة التى يستطيع أن ينقطع فيها العالم فى حقل العلم ، ويوافق طبقات العلماء ، ونقلهم بعضهم عن بعض « ولكنه على كل حال تحديد زمنى محصور فى نطاق الزمن وحده ، فأقل ما يفترض فيه الدقة التامة ــ وهى غير ميسرة ــ فقد تخالف وفيات بعض الرواة هذا التحديد الزمنى فى فى قليل أو كثير ، فلا يسلم القول بهذا التقسيم .

---

(٣٢) البغدادى : تقييم العلم ص ٧١ .

(٣٣) ــ ص ٣٨ .

أما محمد أبو زهو[٣٤] فقد جعل تاريخ الحـــديث وتدوينه سبعة أدوار :

الدول الاول : السنة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم •

الدور الثانى : السنة فى عهد الخلافة الراشدة •

الدور الثالث : السنة بعد الخلافة الراشدة الى القـــرن الأول الهجرى •

الدور الرابع : السنة فى القرن الثانى •

الدور الخامس : السنة فى القرن الثالث •

الدور السادس : السنة من مبدأ القرن الرابع الى سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ •

الدور السابع : السنة من عام ٦٥٦هـ الى عصرنا الحاضر •

وواضح أن تقسيم الباحثين مراحل تدوين الحديث يغلب عليـــه التحديد الزمنى ، والظواهر العلمية والاجتماعية والأدبية بعامة لاتحدها الفواصل الزمنية ولا تخضع للتقسيمات المصطنعة •

ولئن ساد التقسيم الزمنى للعصور الأدبية عند كثير من الباحثين فى مجال الأدب فان ذلك قد يقبل لتسهيل الدرس والبحث وحدهما •

وأية ظاهرة قد تسود فى أكثر من جيل ، وربما تتداخل فى أكثر من دور ، مما يجعل قياسها وتتبعها فى ضوء الضوابط التاريخية أمرا صعبا ، ولذلك كان الأمر فيما نحن بصدده أقرب الى الصحة اذا اقتربنا من فكر القوم ، وسايرناهم فيما درجوا عليه من تقسيم ، فهم قد بعدوا عن

---

(٣٤) حدس... ، محدثون ص ٧ •

التقسيم الزمنى ، واتجهوا الى الأخذ بمبـــدأ التقسيم على الطبقات والعصور دون ارتباط بالتاريخ ، فهناك عصر النبوة ، ثم عصر الصحابة على طبقاتهم ، ثم عصر التابعين على منازلهم ، ويأتى فى النهاية عصر الخالفين •

والتصدى لدرس الحديث وفق هذا التقسيم يحقق السلامة من مزالق ربط ظواهر درسه بالفواصل الزمنية والمراحل المحددة ، كما أنه يتيح من جانب آخر مرونة فى تتبع هذه الظواهر خـــلال الأعصـــار ، ويساعد على معرفة أسباب الخلاف فيها ، وتغير مواقف الأفراد منها •

وفى العصر النبوى أمر الرســـول صلى الله عليه وســـلم بكتـــابة الحديث ، حرصا منه على أن يوثقه ، وخشية أن يضـــيع منه شىء ، وليستهدى به المسلمون فيما أجمله القرآن ، فعن أنس أنه قال [٣٥] : قيدوا العلم بالكتاب ، وعن عطاء عن عبد الله بن عمـــرو [٣٦] قال : قلت : يارسول الله ، أأقيد العلم ؟ قال : نعم ، قلت : وما تقييده ؟ قال: الكتاب •

وروى [٣٧] الترمذى عن أبى هريرة قال : كان رجل من الأنصار

---

(٣٥) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٨ •
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٦ •
— السيوطى : تدريب الراوى ص ٢٨٦ •
(٣٦) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٤ •
— الهيثمى : مجمع الزوائد : جـ١ ص ١٥٢ •
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٨ •
(٣٧) السيوطى : تدريب الراوى ص ٢٨٦ •

يجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمع منه الحديث ، فيعجبه ولا يحفظه ، فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال استعن بيمينك ، وأومأ بيده الى الخط .

وأسند [٣٨] الرامهرمزى عن رافع بن خديج قال : قلت : يارسول الله انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ، قال : اكتبوا ذلك ولا حرج .

والأمر الذى ورد بالكتابة هنا جاء عاما مما يشير الى أن القصد كان كتابة الحديث بعامة ، أما ما نجده من اشارة الى موضوعات معينة حدثتنا الروايات الصحيحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بكتابتها ، فان ذلك لا يعنى أنها وحدها التى كتبت فى عهده ؛ وانما علينا أن نستشف من كل موقف أسبابه ودواعيه لأنها هى التى حملت على النص على موضوعه .

ومن صحيح [٣٩] حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدال على كتابة الحديث ، ما روى عن أبى شاه اليمنى فى التماسه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له خطبته عام فتح مكة ، وقول الرسول له : اكتبوا لأبى شاه .

— البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : مخطوط ص ٥١ .

(٣٨) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٩ .

— الهيثمى : مجمع الزوائد : جا ص ١٥١ .

— البغدادى : تقييد العلم ص ٧٣ .

(٣٩) ابن الصلاح : مقدمة فى علوم الحديث ص ٨٨ .

روى البخارى [٤٠] عن أبى هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فركب راحلته ، فخطب ، فقال : ان الله حبس عن مكة القتل [٤١] « أو الفيل » ، وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ؛ ألا وانها لم تحل لأحد بعدى ، ألا وانها حلت لى ساعة من نهار ، ألا وانها ساعتى هذه ، حرام لا يختلى [٤٢] شوكها ، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها الا لمنشد ، فمن قتل (له قتيل) فهو بخير النظرين، اما أن يعقل [٤٣] ، واما أن يقاد أهل القتيل ، فجاء رجل من أهل اليمن ،

---

(٤٠) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٦٧ .
— صحيح البخارى بحاشية السندى جـ٣ ص ٦٥ .
— صحيح البخارى جـ٤ باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والنبوة ص ١٢٧ .
— أحمد بن حنبل : المسند جـ١٢ ص ٢٣٢ حديث ٧٢٤١ شرح الشيخ شاكر ط. دار المعارف سنة ١٩٥٣ .
— سنن أبى داود جـ١ ص ٤٦٥ .
— الصنعانى : سبل السلام جـ٢ ص ٣٣٨ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٣ .
(٤١) شك البخارى فى أنها القتل أو الفيل .
قال محمد بن يحيى ، وصحف أبو نعيم فيه : انما هو حبس عن مكة الفيل .
— الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٧٤ .
(٤٢) الخلا : العشب ، واختلاؤه قطعه : أى ولا يقطع شوكها .
(٤٣) أى يودى : أنظر صحيح البخارى جـ٩ كتاب الديات ص ٦ ط. الشعب .

فقال : اكتب لى يارسول الله — يريد أن يكتب له هذه الخطبة — فقال اكتبوا لأبى فلان [٤٤] . أى لأبى شاة .

وذكر البغدادى [٤٥] أن أبا شاة ممن لم يكن يحفظ ، غير أنه لما كان مميزا ، وأصغى الى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . صح سماعه اياها ، وأمر بكتبها له .

وروى البخارى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال (*) :

---

(٤٤) هو أبو شاة . وهو فارسى من فرسان الفرس الذين بعثهم كسرى الى اليمن .

(٤٥) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٧٣ ط . دار الكتاب

(*) صحيح البخارى : جـ٧ كتاب الطب ص ١٥٦ ط . الشعب .

— أنظر صحيح البخارى جـ٤ باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ص ٨٥ ، ص ١٢١ ط . الشعب ، جـ٦ باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر ص١١ ط . الشعب ، جـ٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ص ١٣٧ .

وانظر شرح الحديث : شرح النووى على صحيح المسلم جـ٢ ص ٤٣ .

— ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٨٥ — ١٨٧ .

— القسطلانى : ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٦٩ .

— راجع رواية أحمد بن حنبل بسنده عن طريق عائشة ، قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لعبد الرحمن بن أبى بكر : ائتنى بكتف أو لوح حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال : أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر . المسند جـ٦ ص ٤٧ ط . المكتب الاسلامى .

— وأنظر جـ٦ ص ١٤٤ .

— وراجع ابن سعد الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٤٤ ط . دار صادر بيروت .

« لما حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى البيت رجال فيهم عمر ابن الخطاب ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : هلم أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده. فقال عمر : ان النبى صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت . فاختصموا ، منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبى صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبى صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا ، قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم » .

وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن كتاب [٤٦] الصدقات ، والديات والفرائض ، والسنن ، وبعث به مع عمرو بن حزم.

وعن ابن شهاب فى الصدقات نسخة [٤٧] كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عند آل عمر بن الخطاب أقرأنيها سالم بن عبد الله فوعيتها على وجهها .

وروى ابن [٤٨] ماجة عن ابن شهاب ، قال : أقرأنى سالم كتابا كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصدقات قبل أن يتوفاه الله ، فوجدت فيه « فى خمس من الابل شاة . وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه . وفى عشرين أربع شياه . وفى خمس وعشرين بنت

---

(٤٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم ج١ ص ٨٥ .

(٤٧) الدارمى : الرد على المريسى ص ٤٨٩ .

(٤٨) سنن ابن ماجة : ج١ ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

مخاض، الى خمس وثلاثين فاذا لم توجد بنت مخاض[٤٩]فابن لبون[٥٠]، ذكر . فان زادت على خمس وثلاثين واحدة ، ففيها بنت لبون ، الى خمسة وأربعين. فان زادت، على خمس وأربعين، واحدة، ففيها[٥١] حقة الى ستين ، فان زادت على ستين واحدة ، ففيها جذعة ، الى خمس وسبعين ، فان زادت ، على خمس وسبعين ، واحدة ، ففيها ابنتا لبون الى تسعين . فان زادت على تسعين واحدة ، ففيها حقتان ، الى عشرين ومائة ، فاذا أكثرت ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين بنت لبنون .

وعن ابن شهاب[٥٢] ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأنى سالم كتابا كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصدقات قبل أن يتوفاه الله ، فوجدت فيه : فى أربعين شاة ، شاة ، الى عشرين ومائة ، فاذا زادت واحدة ، ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة ، فاذا كثرت ، ففى كل مائة ، شاة . ووجدت فيه « لايجمع بين متفرق ، ولا يفرق بين مجتمع » ، ووجدت فيه « لا يؤخذ فى الصدقة تيس ولا هرمة ، ولا ذات عوار » .

ولم تنحصر كتب الرسول صلى الله عليه وسلم فى نطاق بيان الحدود ، أو توضيح الأحكام ، وانما شغلت شئون الحياة المختلفة ، ولكنك تجد أنها تحوى قيما جديدة ، من شأنها أن تجعل روح الاسلام

---

(٤٩) بنت مخاض : التى أتى عليها الحول ودخلت فى الثانى وحملت أمها .

(٥٠) ابن اللبون هو الذى أتى عليه حولان ، وصارت أمه لبونا بوضع الحمل .

(٥١) حقة : هى التى أتت عليها ثلاث سنين .
جذعة : هى التى أتى عليها أربع سنين .

(٥٢) ابن ماجة : سنن ابن ماجة جا ص ٥٧٧ .

تسرى فى كل المعـاملات ؛ روى ابن ماجة [٥٣] عن عبـاد بن ليث أن عبد المجيد بن وهب حدثه فقال ، قال لى العداء بن خالد ابن هوذة : ألا نقرئك كتابا كتبه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال ، قلت : بلى ، فأخرج لى كتابا فاذا فيه ؛ هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . اشترى منه عبدا أو أمة ، لا داء ولا غائلة ، ولا خبثة . بيع المسلم للمسلم .

وقد استدعى قيام دولة مركزية فى المدينة أن تقوم علاقات بينه وبين قبائل العرب فى أنحاء شبه الجزيرة العربية ؛ وقد تجددت هذه العلاقات فى مجموعة من الصحف والرسائل والمعـاهدات [٥٤] ؛ وقد عنى الباحثون بهذه الوثائق منذ القرن الأول الهجرى باعتبارها آثارا للرسول الكريم ، الى جانب قيمتها التشريعية والتاريخية ؛ وقد اعتبرها الرواة ضربا من الحديث النبوى ، وكذلك أرفقوا ما رووه عنها بسلسلة من الأسانيد كثيرا ما تنتهى بالأسرة التى تحتفظ بالوثيقة المعنية .

---

(٥٣) ابن ماجة : السنن . جـ٢ كتاب التجارات ص ٧٥٦ .
— « عبدا أو أمة » هو شك من عباد بن ليث كما ذكره أبو الحسن الطوسى فى الأحكام فقال فى السند : فقال عباد : أنا أشك .
«لاداء» هو العيب الباطن فى السلعة الذى لم يطلع عليه المشترى .
«لا غائلة» فى النهاية الغائلة أن يكون مسروقا .
«لا خبثة » فى النهاية أراد بالخبثة الحرام .
وقال ابن العربى : الداء ما كان فى الجسد والخلقة ، والخبثة ما كان فى الخلق ، والغائلة سكوت البائع عما يعلم فى المبيع من مكروه .

(٥٤) الدكتور عوف قاسم : مقدمة نشأة الدولة الاسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ص ٩ .

وربما كان أخطر هذه الوثائق هذه الصحيفة التى كتبت فى السنه الأولى للهجرة ، وتضمنت حقوق المهاجرين والأنصار واليهود ومن ليس من العرب فى المدينه . وقد جاء نص الكتابه فى صدر هذه الصحيفة حيث تقول « هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم . وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس » .

ومما جاء فيها « انه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يأويه . وأن من نصره أو آواه ، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل» وفيها « أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوقع الا نفسه وأهل بيته » [٥٥] .

والى جانب هذه الصحيفة هناك كتب الرسول صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة [٥٦] ، وخزاعه [٥٧] ولبنى غفار [٥٨] وجهينة [٥٩] ، ثم

---

(٥٥) راجع الوثيقة كاملة عند الدكتور عون قاسم : نشأة الدولة الاسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم « دراسة فى وثائق العهد النبوى ص ٢٨٣ — ٢٨٧ » .

(٥٦) انظر نصوص هذه الكتب :

ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ١ ص ٢٥٨ — ٢٩٠ ط. دار صادر .

— انظر نص الكتاب عند : الدكتور عون قاسم :
نشأة الدولة الاسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم « دراسة فى وثائق العهد النبوى » ص ٢٨٩ .

(٥٧) المرجع نفسه ص ٢٩٠ .

(٥٨) المرجع نفسه ص ٢٩٣ .

(٥٩) المرجع نفسه ص ٢٩٤ .

هناك الوثيقة [٦٠] التى تضمنت صلح الحديبية ، كذلك لدينا رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم الى هرقل [٦١] والنجاشى [٦٢] والمقوقس [٦٣] وكسرى [٦٤] والحارث [٦٥] بن أبى شمر الغسانى وهوذه [٦٦] بن على الحنفى . وهناك الاتفاقيات [٦٧] التى عقدها مع اليهود والنصارى وكتبه [٦٨] الى قبائل الشام وقبائل اليمن [٦٩] ، وحضرموت [٧٠] .

وقد كان الصحابة ممن يعرفون الكتابة يعتمدون عليها فى تحصيل

---

(٦٠) المرجع نفسه ص ٢٩٦ .

(٦١) المرجع نفسه ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٦٢) المرجع نفسه ص ٣٠١ .
ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ - دار صابر .

(٦٣) المرجع نفسه ص ٣٠٤ .
ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٦٠ .

(٦٤) المرجع نفسه ص ٣٠٦ .
ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٦٥) المرجع نفسه ص ٣٠٧ .
ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٦١ .

(٦٦) المرجع نفسه ص ٣٠٨ .
ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٦٢ .

(٦٧) المرجع نفسه ص ٣٠٩ — ٣١٤ .

(٦٨) المرجع نفسه ص ٣٣٣ — ٣٤٥ .

(٦٩) المرجع نفسه ص ٣٤٦ — ٣٥٢ .

(٧٠) المرجع نفسه ص ٣٥٣ — ٣٥٦ .
ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٢٨٣ .

العلم فى عهد النبوة • ففى حديث عائشة [٧١] أن امرأة مسلمة توجهت الى الرسول صلى الله عليه وسلم بأسئلة دونتها فى كتاب ، وناولته له من وراء الستر •

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص « توفى سنة ٦٥هـ » ممن كتبوا الحديث باذن من النبى صلى الله عليه وسلم وأمره •

قال [٧٢] : استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابة ما سمعته منه ، قال : فأذن لى ، فكتبته •

وقال [٧٣] : يارسول الله ، انى أسمع منك أحاديث أحب أن أعيها . فأستعين بيدى مع قلبى ، يعنى أكتبها ؛ قال : نعم •

وقال [٧٤] : قلت يارسول الله ، أقيد العلم ؟ قال : نعم ، قلت : وما تقييده ؟ قال : الكتاب •

ويثبت من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن بكتابة الحديث بعامة ، كما يثبت أن المسلمين لم تقف جهودهم عند حد استظهار الحديث ، وانما تنبهوا فى وقت مبكر من حياتهم الى أثر استخدام الكتابة

---

(٧١) قالت عائشة : مدت امرأة من وراء الستر بيدها كتابا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبض النبى صلى الله عليه وسلم يده ، وقال : ما أدرى ، أيد رجل أو يد امرأة ، فقالت ، بل امرأة ، فقال : لو كنت امرأة ، غيرت أظفارك بالحناء • أحمد ابن حنبل : المسند جـ٦ ص ٢٦٢ • ط• المكتب الاسلامى •

(٧٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٤ ص ٢٦٢ ط• دار صادر • بيروت •

(٧٣) المصدر نفسه جـ٤ ص ٢٦٢ •

(٧٤) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص٣٦٤ •

فى المحافظة عليه . فضلا عن أنه يستحفظ الدين ويكتب . فهى ستتيح الفرصة لهم لمعاودة قراءته . وبذلك يثبت حفظه .

روى الامام أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال [٧٥] : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه ، فنهتنى قريش ، فقالوا : انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب . فوالذى نفسى بيده ما خرج منى الا الحق .

ومن هذا يتأكد لدينا أن الكتابة كانت عونا للحفظ . وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أذن بكتابة كل ما حدث به . ولم يستثن من ذلك شيئا .

وقد عد الصحابة اعتماد عبد الله بن عمرو على الكتابة من أسباب ما كان لديه من علـم ، وعلو درجته فيه ، والاعتراف له بالسبق فى

---

(٧٥) أحمد بن حنبل : المسند جـ٢ ص ١٦٢ ، ص ٢٠٧ ، ص ٢١٥ .
— راجع عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٥ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ٧٤ ، ٧٥ .
— البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٩ .
— السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٢٨٦ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ .

المحافظة على حفظه حديث . قال أبو هريره [٧٦] : ما كان أحدا أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الا عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب بيده ما سمع منه ، فأذن له .

ويرجح عندنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأذن لعبد الله ابن عمرو بن العاص وحده فى كتابة الحديث ، وانما كان هناك غيره ممن طلبوا هذا المطلب ، وأذن لهم به ، وكان هؤلاء يحضرون مجالس الحديث التى يعقــدها الرسول صلى الله عليه وســلم ، ويكتبون فى صحفهم ما يسمعونه منه .

ويزداد المرء قناعة بذلك حين يقرأ فى سنن الدارمى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال [٧٧] : بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المدينتين تفتح أولا : القسطنطينية أو رومية ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا ، بل مدينة هرقل أولا .

---

(٧٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص ١٦٧ ، ١٦٨ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ص ٨٤ .
— الدارمى : الرد على المريسى . رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٤٨٨ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ٧٩ — ٨٢ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٨ . ص ٣٦٩ .
(٧٧) الدارمى السنن ج١ ص ١٠٤ .

الصحيفة الصادقة :

وقد عرفت الصحيفة التى كتب فيها عبد الله بن عمرو حديثه بالصحيفة الصادقة ، وهو الذى سماها بهذا الاسم ، قال [٧٨] : الصادقة صحيفة استأذنت فيها النبى صلى الله عليه وسلم أن أكتب فيها ما أسمع منه فأذن لى .

وقد كان عبد الله لا يخفى اعتزازه بالصادقة ، وبما ضمته من أحاديث فقد أتيح له أن يأخذها عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، قال [٧٩] : « ان فى (الصادقة) ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه أحد » .

وقد بلغ من اعتزازه بها ، والتحديث بما فيها أنها جعلته راغبا فى

---

(٧٨) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٦ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ٨٤ .
— الدارمى : السنن جـ١ ص ١٢٧ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٦ .

(٧٩) البغدادى : تقييد العلم ص ٨٤ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٧ .
— (ومع هذا كان مغيرة لا يعبأ بصحيفة عبد الله بن عمرو ، وقال فى شأنها : كانت لعبد الله بن عمرو صحيفة تسمى الصادقة ، ما تسرنى ، أنها لى بفلسين) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٢٤ طـ دار الكتاب العربى .

الحياة ، مقبلا عليها . قال (٨٠) : « ما يرغبنى فى الحياة الا الصادقة ... والوهط . والوهط أرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها .

ومن الشـــواهد على الواقع التاريخى للصـــادقة خبر قال فيه مجاهد (٨١) : « رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة ، فذهبت أتناولها، فقال : مه ياغلام بنى مخزوم ، قلت : ما كنت تمنعنى شيئا ؟ قال : هذه الصادقة . فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بينى وبينه فيها أحد » .

ويؤكد هذا الخبر أن عبد الله كان معتزا بهذه الصحيفة ، وأنه كان حريصا عليها . ولم يكن يسمح لأحد أن يتناولها ، كما يؤكد أن عبد الله انما كتبها لهدف خاص ، وهو أن يحتفظ بها لنفسه ، ويجعلها مصدرا موثقا لما عنده من الحديث .

وربما كان عند عبد الله صحائف أخرى ، وربما كان يحدث من بعضها ، ويطلع تلاميذه عليها ، ولا يمنعها منهم . يقول أبو راشـــد

---

(٨٠) الدارمى : السنن جـ١ ص ١٢٧ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ٨٥ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٦٦ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٦ .
وراجع ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٤ ص ٢٦٢ ط. دار صادر .
(٨١) الرامهرمزى . المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٦٧ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ٨٤ .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٣٧٣ ط. دار صادر بيروت .

الحبراني [٨٢] : أتيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فألقى الى صحيفة ، فقال ، هذا ما كتب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فنظرت . فاذا فيها : ان أبا بكر الصديق قال : يارسول الله ، علمنى ما أقول اذا أصبحت ، واذا أمسيت • فقال : « يا أبا بكر ، قال اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا اله الا أنت ، رب كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شر نفسى ، وشر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءا ، أو أجره الى مسلم » •

وقد ذكر ابن الأثير أن الصادقة كانت تشتمل على ألف حديث ، غير أنها لم تصل الينا كما كتبها عبد الله بخطه بل وصلت [٨٣] الينا عن طريق الامام أحمد بن حنبل اذ وجدت محفوظة فى مسنده [٨٤] ، وقد علق الدكتور صبحى الصالح على ذلك بقوله [٨٥] : يصح أن نصفها بأنها أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث على عهده صلوات الله عليه •

---

(٨٢) البغدادى : تقييد العلم ص ٨٥ •
— راجع قول الدكتور صبحى الصالح فى شأن هذه الصحيفة : « ما هى بالصحيفة الصادقة ، ولا قطعة منها » علوم الحديث هامش ص ٢٩ •
(٨٣) راجع الدكتور محمد ضارى حمادى الحديث النبوى الشريف وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية هامش ص٢٢ ط• ١٩٨٢•
(٨٤) راجع مسند أحمد بن حنبل جـ٩ ص ٢٣١ — ٢٦٥ — جـ ١٠ ص ٣ — ٢٤١ جـ١١ ص ٣ — ٢٣١ جـ١٢ ٣ — ٥١٠ •
(٨٥) الدكتور صبحى الصالح : علوم الحديث ص ٢٧ •

كتب ابى هريرة :

انقطع أبو هريرة لأخذ الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات وقد عمد الى الاحتفاظ بما توفر لديه منه مكتوبا الى جانب اعتماده على ذاكرته فى حفظه ، وتم له من ذلك كتب كثيرة ، وكان عمرو بن أمية الضمرى ممن أتيح لهم رؤيتها قال [٨٦] : تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره فقلت : انى قد سمعته منك ، فقال : ان كنت سمعته منى . فهو مكتوب عندى ، فأخذ بيدى الى بيته ، فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك أنى ان كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى .

ولئن أضاع الزمن صحف أبى هريرة ، فانه أبقى على واحدة منها ، رواها عنه همام بن منبه ثم عرفت باسمه .

الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه [٨٧] :

وقد أوردتها ضمن ما كتب من الحديث فى عهد النبوة لأن هماما كتبها [٨٨] ورواها عن أبى هريرة «توفى سنة٥٨» ، غير أن من الباحثين من لا يسلك [٨٩] هذه الصحيفة فى عداد ما كتب فى العصر النبوى ، لأن حمادا ولد قبيل سنة ٤٠هـ وتوفى شيخه أبو هريرة سنة ٥٨هـ فلابد أن يكون تدوينه لهذه الصحيفة قبل وفاة شيخه — لأن سماعها منه بعد مجالسته اياه . أى فى منتصف القرن الهجرى الأول ، وتلك نتيجة علمية باهرة تقطع بتدوين الحديث فى عصر مبكر . وتصحح الخطأ الشائع أن الحديث لم يدون الا فى أوائل القرن الهجرى الثانى .

---

(٨٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٩ .

(٨٧) لقى أبا هريرة وروى عنه رواية كثيرة . ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ٥٤٤ .

(٨٨) راجع الدكتور الحسينى هاشم : أصول الحديث ص ١٥ .

(٨٩) الدكتور صبحى الصالح : علوم الحديث ص ٣٢ .

وأيا ما كان الأمر ، فقد وصلتنا [٩٠] هذه الصحيفة كاملة كما رواها ودونها همام عن أبى هريرة ، فقد عثر على هذه الصحيفة محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين فى دمشق وبرلين ، ومما يزيد ثقتنا بصحيفة همام أن الامام أحمد [٩١] بن حنبل قد نقلها بتمامها فى مسنده ، كما نقل البخارى عددا كثيرا من أحاديثها فى صحيحه فى أبواب شتى ، وأخرج منها مسلم [٩٢] فى صحيحه عن معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أحاديث منها • ويقول البيهقى [٩٣] : اتفق البخارى ومسلم على أحاديث من صحيفة همام وانفرد كل واحد منهما بأحاديث منها •

صحيفة أنس بن مالك :

كان لأنس بن مالك صحيفة ، وكان يظهرها حين يجتمع الناس حوله ، وكان يؤكد أن ما حوته من الأحاديث قد كتبها عن الرسول صلى

---

(٩٠) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٣٥٦ الطبعة الثالثة •

ـ الدكتور صبحى الصالح : علوم الحديث ص ٣٢ •

(٩١) انظر أحمد بن حنبل : المسند جـ٢ ص ٣١٢ ــ ٣١٩ طبع القاهرة سنة ١٨٩٥ •

(٩٢) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ ص ١٠٤ ، جـ٥ ، ص ١١٨ جـ١٤ ص ١٢٣ ، ٢٣٩ ، جـ١٥ ص ٤ ، ٦ ، ٤٩ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٢٦ ••• ومواضع أخرى •

(٩٣) انظر مسند أحمد بن حنبل جـ٢ ص ٣٢٢ ــ ٣١٩ ــ ط القاهرة سنة ١٨٩٥ •

الله عليه وسلم ، وعرضها عليه قال يزيد الرقاشى [٩٤] : كنا اذا أكثرنا على أنس بن مالك أتانا بمجال له فألقاها الينا ، وقال : هذه أحاديث سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتبتها وعرضتها •

وكان عند على بن أبى طالب صحيفة كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ذكرها فى خبر مؤداه أن [٩٥] جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت أشياء من الوحى خصهم النبى بها ، ولم يطلع غيرهم عليها ، فسأل أبو جحيفة عليا [٩٦] : « هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، الا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى

---

(٩٤) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص٢٦٩ •
— والخبر أورده الرامهرمزى عن هبيرة بن عبد الرحمن قال : كنا اذا أكثرنا على أنس بن مالك ألقى الينا مخلاة ، فقال : هذه أحاديث كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • المحدث الفاصل ص ٣٦٧ •
— وفى رواية « هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرضتها عليه » • البغدادى : تقييد العلم ص ٩٥ •

(٩٥) الصنعانى : سبل السلام : ج٣ كتاب الجنايات ص ١١٨٨ •

(٩٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ باب كتابة العلم ص ١٦٥ • راجع فى شأن صحيفة على بن أبى طالب •
البخارى : الجامع الصحيح ج٤ باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والنبوة ص ٨٤ ، ص ١٢٣ ، و ج١ كتاب العلم ص ٢٠٤ •
ابن ماجة : السنن ج٢ ص ٧٨٧ •

هذه الصحيفة » ، وفى رواية [٩٧] « ما كتبنا عن النبى صلى الله عليه وسلم الا القرآن ، وما فى هذه الصحيفة » .

ومن الباحثين [٩٨] من يظن أن عليا يشير بذلك الى الصحيفة التى تضمنت دستور المدينة ، وربما كان السبب فى هـذا الوهم ما رواه أبو جعفر [٩٩] محمد بن على من أنهم وجدوا [١٠٠] فى قراب سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة كتب فيها : « ملعون من سرق تخوم الأرض ، ملعون من تولى غير موانيه ، أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه ، ولعل عليا [١٠١] أخذ هـذه الصحيفة من جفن السيف ، وربما كانت هى نفسها جزءا من وثيقة المدينة . اذ أن [١٠٢] القراءة المتأنية للنص ، واخضاع فقراته المختلفة للتمحيص الدقيق

---

(٩٧) البخارى : الجامع الصحيح ج٤ باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والنبوة ص ١٢٤ .
وفى رواية ابن عبد ابر : قال أبو جحيفة : « قلت لعلى بن أبى طالب : هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء سوى القرآن ؟ قال : لا والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه وما فى هذه الصحيفة » . جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٨٥ مطبعة العاصمة .

(٩٨) الدكتور صبحى الصالح : علوم الحديث ص ٣٠ .

(٩٩) ولد سنة ثمانين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة . انظر ترجمة السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٧٢ .

(١٠٠) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ص ٨٦ .

(١٠١) راجع ابن سعد : الطبقات الكبرى ج١ ص ٤٨٦ .

(١٠٢) الدكتور عون قاسم : نشأة الدولة الاسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم « دراسة فى وثائق العهد النبوى » ص ٢٥ .

تبين أنه لا يشتمل على معاهدة واحدة ، بل بعكس ذلك ، تبرز في ثناياه سلسلة من المعاهدات المنفصلة . فدليل النص يشهد بأن ما يعــرض علينا كوثيقةواحدة متكاملة هو في الواقع مجموعة من الوثائق المتعددة، ضمت بعضها الى بعض وجمعت في مكان واحد .

ولم يكن ما تضمنته صحيفة على محصورا في محيط معين ، وانما كان معروفا لدى الكافة مما ينبه الى أنه كان مكتوبا الى جانب روايته والاعتماد على المشافهة في نقله ، ففي أخبارها ما يرويه محمد بن الحنفية في قوله [103] « جاءت سعاة عثمان الى على يشكونه ، فقال لي : خذ هذه الصحيفة ، فان فيها سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذهب بها الى عثمان ، قال : فذهبت بها الى عثمان ، فقال : لا حاجة لنا فيها ، وأتيت بها عليا وأخبرته ، فقال : « ضعها مكانها » ، وانما قال عثمان « لا حاجة لنا في الصحيفة » على معنى أننا نعرفها ، ونحسن ما فيها .

وفي وسعنا أن نقف على جانب مما تضمنته هذه الصحيفة مما رواه ابراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا على بن أبي طالب فقال [104] :

---

(١٠٣)الدارمي : الرد على المريسي : رسالة نشرت ضمن كتاب : عقائد السلف ص ٤٨٧ .

(١٠٤)مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووي جـ٩ كتاب الحج — فضل المدينة ص ١٤٤ .

— عير : جبل بناحية المدينة ، ويحتمل أن ثورا كان اسما لجبــل هناك — شرح النووي على صحيح مسلم جـ٩ ١٤٣ .

— البخاري الجامع الصحيح جـ٨ كتاب الفرائض ص ١٩٢ ط. الشعب ، وانظر جـ٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ص ١٢٠ .

— راجع شرح الحديث عند القسطلاني : ارشاد الساري الى شرح صحيح البخاري جـ١ ص ١٦٦ — ١٦٧ والعسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١ ص ١٨٣ .

— البغدادي حلة في طلب الحديث ص ١٣٠ .

من زعم أن عندنا شيئا نقرأه الا كتاب الله وهذه الصحيفة. «قال وصحيفة معلقة فى قراب سيفه » فقد كذب . فيها أسنان الابل وأشياء من الجراحات وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم :

- المدينة حرم ما بين عير الى ثور . فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا .
- وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم .
- ومن ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا .

وكان فيها (١٠٥) :

- لعن الله من ذبح لغير الله .
- ولعن الله من سرق منار الأرض .
- ولعن الله من لعن والده .

وفيها (١٠٦) :

---

(١٠٥)مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووى ج١٣ كتاب الأضاحى ص ١٤٢ .

- أحمد بن حنبل : المسند ج١ ص ١٠٨ ص ١١٨ ، ١٥٢ .
- منار الأرض : العلامات التى توضع للتحديد فيها .

(١٠٦) البخارى : الجامع الصحيح ج٩ كتاب الديات ص ١٤ ، ١٦ ط. الشعب .

ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٨٥ .

الصنعانى : سبل السلام ج٣ ص ١١٨٨ .

الدارمى : الرد على المريسى رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٤٨٧ .

قوله «العقل» أى الدية ، وانما سميت به لأنهم كانوا يعطون فيها الابل ، ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو الحبل .

ـ العقل ، وفكاك الأسير ، وألا يقتل مسلم بكافر ٠

ـ وفيها [١٠٧] فرائض الصدقة ، أخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ـ وكان فيها :

ـ [١٠٨] المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ألا ، لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد بعهده ، من أحدث حدثا فعلى نفسه ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ٠

وقد ذهب ابن حجر العسقلانى [١٠٩] الى أنه فى الامكان الجمع بين هذه الروايات التى أشارت كل منها الى جانب مما جاء فى هذه الصحيفة وبرر هذا الخلاف بأن الصحيفة كانت واحدة ، وكان ذلك مكتوبا فيها ، فنقل كل واحد من الرواة ما حفظه ٠

ولو رجعنا الى هذه الروايات لوجدنا تداخلا بينها ، وتكرارا لفقراتها ويبدو ذلك فى هذه الفقرات :

×× « فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ٠

« من أحدث حدثا فعلى نفسه ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ٠

---

(١٠٧) البغدادى : تقييد العلم ص ٨٩ ٠

(١٠٨) سنن النسائى جـ٨ ص ١٨ ٠

(١٠٩) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٥٦ ٠

×× « وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم » .

« المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم » .

×× « ألا يقتل مسلم بكافر » .

« ألا يقتل مؤمن بكافر » .

وقد يحملنا هذا التداخل فى الروايات ، وما أوردناه من تكرار فى بعض فقراتها الى القول بأن هذه الصحيفة تمثل فى واقعها مجموعة من الوثائق جمعت فيها .

واذا قارنا هذه الروايات التى جاءت فى صحيفة على بما ورد فى وثيقة المدينة نجد أن بعض فقراتها تتشابه مع ما جاء فيها .

× ففى صحيفة على « لا يقتل مؤمن بكافر » .

× وفى وثيقة المدينة (١١٠) « ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر » .

×× وفى صحيفة على « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم » .

×× وفى وثيقة المدينة (١١١) « وأن ذمة الله واحدة يجبر عليهم أدناهم » .

×× وفى صحيفة على : « المدينة حرم ما بين عير الى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » .

---

(١١٠) راجع : الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الاسلامية ص ٢٨٤ .

(١١١) راجع الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الاسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم « دراسة فى وثائق العهد النبوى » ص ٢٨٤ .

×× وفى وثيقة المدينة (١١٢) : « ان يثرب حرام جوفها ... وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محــدثا أو يأويه ، وأن من نصره أو آواه ، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل » .

صحيفة جابر بن عبد الله :

كان لجابر بن عبد الله (١١٣) الأنصارى صحيفة ، فيها أحاديث ، وكان يحدث منها ، ويذكر الذهبى (١١٤) أنها كانت فى مناسك الحج ، ولكن يبدو أن ذلك ما علمه عنها ، فقد أخرج النسائى (١١٥) بسنده عن عاصم ، قال : قرأت على الشعبى كتابا فيه عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، قال : سمعت هذا عن جابر .

وقد كتبها عنه (١١٦) سليمان بن قيس اليشكرى ، فلما توفى لقيت الصحيفة عند امرأته ، فروى أبو الزبير (١١٧) وأبو سفيان والشعبى وقتادة أكثر مروياتهم عن جابر من هذه الصحيفة مع أنهم سمعوا منه .

---

(١١٢) المصدر نفسه ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(١١٣) أحد الستة الذين أسلموا من الأنصار ، أول من أسلم منهم بمكة ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ، وتوفى سنة ٧٨هـ وليس له عقب : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٣ ص ٥٧٤ ط. دار صادر .

(١١٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ١ ص ٤٣ .

(١١٥) النسائى : السنن جـ٦ باب النكاح ص ٩٨ .

(١١٦) الجرح والتعديل جـ٢ ص ١٢٦ .

(١١٧) هو أبو الزبير محمد بن تدرس الأسدى المكى روى عن جابر وابن عمر وثقة ابن المدينى وابن معين والنسائى مات سـنة ١٣٨هـ . السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٥١ .

كذلك أخذ منها الليث بن سعد ما عنده من الحديث ، قال [١١٨] :
قدمت مكة فجئت أبا الزبير فدفع الى كتابين فانقلبت بهما ، ثم قلت فى نفسى : لو عاودته فسألته هل سمع هذا كله من جابر ؟ فقال : منه ما سمعت ، ومنه ما حدثت عنه : فقلت له : علم لى على ما سمعته • فأعلم لى على هذا الذى عندى •

وقد قال قتادة[١١٩] فى شأن صحيفة جابر هذه : لأنا بصحيفة جابر أحفظ منى من سورة البقرة •

وقد أشار السيوطى الى تعلق قتادة بصحيفة جابر هذه وحفظه لها بقوله [١٢٠] : « وقرىء عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها » •

وقال التيمى [١٢١] : ذهبوا بصحيفة جابر الى الحسن فرواها ، وذهبوا بها الى قتادة فرواها وأتونى بها فلم أروها •

وهناك صحف أخرى كتبها الصحابة منها :

ـ صحيفة سعد بن عبادة الأنصارى [١٢٢] ، وكان سعد فى الجاهلية يكتب [١٢٣] بالعربية •

ـ صحيفة أبى رافع [١٢٤] مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فيها استفتاح الصلاة •

---

(١١٨)ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ٩ ص ٤٤٢ •
(١١٩)البخارى : التاريخ الكبير جـ٤ ص ١٨٢ •
(١٢٠)السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٤٨ •
(١٢١)الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١١٠ •
(١٢٢)الترمذى : السنن : كتاب الأحكام ، باب اليمين مع الشاهد •
ـ أحمد بن حنبل : المسند جـ٥ ص ٢٨٥ •
(١٢٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٣ ص ٦١٣ ط• دار صادر •
(١٢٤)ابن معين : التاريخ جـ٢ ص ٧٠٤ •

قال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام [١٢٥] ، دفع الى أبو رافع كتابا فيه استفتاح الصلاة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة ، كبر ، فقال : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين » •

وكان ابن عباس يأتى أبا رافع فيقول [١٢٦] : ما صنع النبى صلى الله عليه وسلم يوم كذا ، ومع ابن عباس من يكتب ما يقول •

ــ أحاديث أنس بن مالك : كتبهــا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٢٧] ، وربما نجد اشارة اليها فيما روى عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٢٨] : « لا يشهد أحد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فيدخل النار أو تطعمه ، قال أنس : فأعجبنى هذا الحديث ، فقلت لابنى : اكتبه ، فكتبه •

صحيفة سمرة بن جندب الفزارى «توفى سنة ٦٠هـ» : جمع فيها أحاديث كثيرة ، وقد رواها عنه ابنه سليمان ، وقد قال ابن سيرين فى شأنها [١٢٩] : « ان فى صحيفة سمرة علما كثيرا » •

---

(١٢٥) البغدادى: الكفاية فى علم الرواية ص ٣٣٠ نسخة مصورة من منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة •
ــ أحمد بن حنبل . المسند جـ٤ ص ١٤١ •

(١٢٦) ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٥ ص٣٢٣•

(١٢٧) الرامهرمزى . المحدث الفاصل بين الروای والواعى ص ٣٦٧•

(١٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ كتاب الايمان ص ٢٤٤ •

(١٢٩) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ٤ ص ٢٣٦ •
ابن عبد البر الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ٢ ص٦٥٣ •

وربما كشف البحث عن صحف أخرى لم نذكرها . وان قيل أن عدم وجود أغلب هذه الصحف لا يجعل لذكرها فى موضوعنا قيمة ، فانه يكفينا أنها كانت واقعا تاريخيا فاما ما تضمنته من الأحاديث فقد وسعته المؤلفات التى جاءت بعدها .

ومع هذا فقد ساد عند كثير من المفكرين فى القديم والحديث أن الحديث لم يكتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه ظل موكولا الى حوزة التقاليد الشفوية ، وأن تدوينه تأخر حتى عصر ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ ، وأن الذين صنفوا الكتب كانوا جميعا ممن تجاوزوا النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ومما يثير العجب أن هذه الفكرة قد لقيت صدورا اتسعت لها فى الماضى والحاضر ، وسكنت اليها ربما عن اقتناع بها ، وربما عن غير بصر بمخاطر الركون اليها ، فالتسليم بها مهما دللنا على قوة الذاكرة العربية يعنى أن السنة ظلت فترة طويلة تروى شفاها من الذاكرة فحسب ، وربما عمل النسيان فيها ، فجازت الظنية فى ثبوتها .

وقد رد الدارمى على من ذهب الى أن الحديث لم يكتب على عهد النبى وأصحابه بقوله [130] : « زعمت أنه صح عندك أنه لم يكتب الآثار وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء بعده الى قتل عثمان رضى الله عنه ، فكثرت الأحاديث ، وكثر الطعن على من رواها ؛ فيقال لهذا المعارض : دعواك هذه كاذبة لا يشوبها شىء من الصدق ، فمن أين صح عندك أن الأحاديث لم تكن تكتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء بعده الى قتل

(١٣٠) الدارمى: الرد على المريسى : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

عثمان . ومن أنبأك بهذا ؟ فهلم أسنده وإلا فأنت من المسرفين على نفسك القائلين بما لا يعلمون . فقد صح عندنا أنها كتبت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده .

وعمدة الاحتجاج (١٣١) عند من يقولون بعـــدم كتـــابة الحديث ما رواه مسلم فى صحيحة عن أبى سعيد الخدرى ، قال (١٣٢) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، فقد رد عليه العلماء ، وأوضحوا أنه لا يعارض ما نقوله من كتابة الحديث فى عصر النبوة والصحابة .

فمن جهة كتابة غير القرآن ، فقد علم أن النبى صلى الله عليه وســـلم كان يكتب لأمراء السرايا ، من ذلك أنه كتب (١٣٣) لعبد الله

---

(١٣١)أنظر رواية عن أبى هريرة ، وأخرى عن زيد بن ثابت فى عدم الاذن بكتابة الحديث : البغدادى : تقييد العلم ص ٣٣ ، ٣٤ .

(١٣٢)صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٨ ص ١٢٩ .

— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٦٣ .

— ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٥ .

— راجع الروايات المختلفة لحديث أبى سعيد الخدرى فى النهى عن كتابة الحديث : البغدادى : تقييد العلم ص ٢٩ — ٣٢ .

— وراجع أحاديث أخرى لأبى سعيد الخدرى تفيـــد عدم اذن الرسول صلى الله عليه وسلم له بالكتـــابة ، ومنهـــا قوله : استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لى . البغدادى : تقييد العلم ص ٣٢ .

(١٣٣)ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٢٦ .

ابن جحش فى السنة الثانية للهجرة . قبل وقعـــة بدر كتـــابا ، وكذلك كتب [١٣٤] لرؤساء الدول من ذلك كتابه لعظيم البحرين .

ومن جهة التعارض الظاهرى بين حديث أبى سعيد الخدرى فى النهى عن الكتابة والأحاديث التى أجازتها ، فقـــد تكفل العلماء على ازالته ، يقـــول ابن قتيبه [١٣٥] (توفى ٢٧٦هـ) : « ان فى هـــذا معنيين «أحدهما» أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى فى أول الأمر عن أن يكتب قوله ــ ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ أن تكتب وتقيد «والمعنى الآخر» أن يكون خص بهذا عبد الله بن عمرو لأنه كان قارئا للكتب المتقدمة ، ويكتب بالسريانية والعربية ، وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم الا الواحد والاثنان ، واذا كتب لم يتقن ، ولم يصب التهجى ، فلما خشى عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك أذن له .

فى رأى ابن قتيبة أن حكم النهى عن كتابة الحديث كان فى أول الاسلام ثم حدثت متغيرات نقضته ، فقد كثرت السنن ،وتفوت الحفظ ، فكأن الاذن بالكتابة .

وربما خص النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بالكتابة لمعرفته التامة بالكتابة ، وكان النهى لغيره ممن لا يتقنونها .

ويقول الرامهرمزى «توفى سنة ٣٦٠هـ»[١٣٦] : « وحديث أبى سعيد حرصنا أن يأذن لنا النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتابة فأبى ، فأحسبه

(١٣٤)ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جا ص ١٢٧ .

(١٣٥)ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ١٩٣ .

(١٣٦) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص٣٨٥ .

أنه كان محفوظا فى أول الهجرة . وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن » .

ويفهم من ذلك أن النهى عن كتابة الحديث كان فى أول الاسلام خشية أن يشغل المسلمون به ، والرسول صلى الله عليه وسلم عندئذ كان يصرف كل اهتمامه لكى تعمر قلوبهم بالقرآن ، وتفرغ عقولهم له ، وتمتلىء حياتهم به .

ويقول ابن عبد البر (توفى ٤٦٣هـ) وهو يعلل كراهة كتابة الحديث عند من قالوا بذلك (١٣٧) : « من كره كتابة العلم انما كرهه لوجهين ، أحدهما ألا يتخذ مع القرآن كتابا يضاهى ولئلا يتكل الكاتب على ما كتب فلا يحفظ فيقل الحفظ » .

ثم يبدى رأيه بوضوح فى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من كتابة الحديث فيقول (١٣٨) : وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابة العلم ، ورخص فيه جماعة من العلماء ، وحمدوا ذلك .

ويقول البغدادى (توفى سنة ٤٦٣هـ) بعد أن أورد الأحاديث التى أذنت بالكتابة (١٣٩) : قد أوردت من مشهور الآثار ، ومحفوظ الأحاديث والأخبار عن رسول رب العالمين ، وسلف الأمة الصالحين ، صلى الله عليه ورضى عنهم أجمعين فى جواز كتابة العلم وتدوينه ، وتجميل ذلك الفعل وتحسينه : ما اذا صادف بمشيئة الله قوى شك رفعه ، أو عارض ريب قمعه ودفعه » .

---

(١٣٧) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ص ٨٢ .
(١٣٨) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله ص ٨٤ .
(١٣٩) البغدادى : تقييد العلم ص ١١٥ .

وقد حمل ابن حجر العسقلانى (توفى ٨٥٢هـ) حديث أبى سعيد فى النهى على احتمالات عدة ، قد تصلح كلها ، فلكل احتمال ما يرجحه، ثم انها لا تتعارض مما يجعل الجمع بينها ممكنا وواردا ، والأمر فيها أنه حينما تحققت [١٤٠] علة النهى منعت الكتابة ، وحينما زالت هذه العلة كان الاذن بها .

يقول [١٤١] : « ان النهى خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره ، والاذن فى غير ذلك ، أو أن النهى خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن فى شئ واحد ، والاذن فى تفريقها ، أو النهى متقدم ، والاذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس ، وهو أقربها مع أنه لا ينافيها ، وقيل النهى خاص بمن خشى منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والاذن لمن أمن منه ذلك ، أو [١٤٢] أن النهى كان بالنسبة لكتاب الوحى خاصة حتى يتفرغوا لمهمتهم .

والمراد هنا هو الخوف من أن يختلط القرآن بغيره وتشتبه على المسلمين آياته ويخطئ بعضهم فيضيف شيئا من الحديث اليه .

---

(١٤٠)محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٣٠٩ .

(١٤١)ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٦٨ .
- النووى : التقريب ص ٢٨٥ .
- السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص٢٨٦ .
- شرح الأبى على صحيح مسلم جـ٧ ص ٣٠٥ .
- شرح السنوسى على صحيح مسلم جـ٧ ص ٣٠٥ .

(١٤٢)راجع فى هذه الجزئية : الدكتور الحسينى هاشم : أصـول الحديث النبوى ص ١٩ .

ومنهم من أعل حديث أبى سعيد ، وقال [١٤٣] : الصواب وقفه على أبى سعيد . غير أن من الباحثين [١٤٤] من لا يسلم بذلك ، لأنه ثبت عند الامام مسلم ، فهو صحيح ويؤيد صحته ، ويعضده قول أبى سعيد [١٤٥] : « استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث، فأبى أن يأذن لى » .

ومع ذلك فالموقف لا يتغير لأن الواقع التاريخى يشير الى أن ذلك كان فى الزمن الأول ، وحين كان لا يؤمن الاشتغال بالحديث عن القرآن، أو اختلاطه به فلما زال ذلك نسخت أحاديث الاباحة هذا الحكم .

وقد عرض أحمد شاكر لهذه القضية [١٤٦] ، وخرج من تحقيقها بأن حديث أبى سعيد « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » ، منسوخ بأحاديث الاباحة وأنه كان فى أول الأمر حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن ، ثم انتهى الى أن الأحاديث التى تفيد الاذن بالكتابة جاءت متأخرة .

---

(١٤٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جا ص ١٢٦ .

— السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٢٨٧ .

(١٤٤) دكتور محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٣٠٦ .

(١٤٥) تقييد العلم ص ٣٢ ، ٣٣ .

(١٤٦) انظر : الباعث الحثيث : ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

— راجع فى القول بنسخ الحديث .

شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٨ كتاب الزهد ص ١٣٠ .

وأما ما رواه المطلب بن عبد الله بن حنطب قال [١٤٧] : دخل زيد ابن ثابت على معاوية فسأله عن حديث ، فأمر انسانا يكتبه ، فقال له زيد « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديث » فمحاه .

فيمكن حمل ذلك على التخصيص فزيد بن ثابت كان أحد كتاب الوحي ومن هنا فان قصد الرسول صلى الله عليه وسلم هو ألا يكتب أحد من هؤلاء حديثه خشية أن يختلط القرآن بغيره ، وربما كان القصد ألا يكتبوا الحديث والقرآن في صحيفة واحدة ، فكثير من الأعراب ممن دخلوا في الاسلام لم يكن القرآن قد استقر في نفوسهم بحيث يمكنهم أن يميزوه عن غيره .

وأما ما رواه عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال [١٤٨] : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نكتب الأحاديث فقال : « ما هذا الذي تكتبون » قلنا : « أحاديث نسمعها منك » ، قال : « كتاب غير كتاب الله ، أتدرون ما ضل الأمم قبلكم الا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى » قلنا : « أنحدث عنك يارسول الله ؟ » قال : « حدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . فملاك الأمر فيه هو القرآن . والرغبة في ألا يقوم الى جانبه كتاب آخر ، ربما ينصرف المسلمون اليه ، وينشغلوا به عنه ، ثم أن سابقة المدينة في الدين والتدين وتجربة يهودها مع كتابهم قد يكون

---

(١٤٧) البغدادي : تقييد العلم ص ٣٥ .

— راجع : أبو داود : السنن ج٤ ص ١٨٤ ، ج٤ ص ٦١ ، ج٤ ص ١٨٤ .

(١٤٨) البغدادي : تقييد العلم ص ٣٣ .

لها أثرها فى ارتفاع حدة الخوف على القرآن لو أن كتابا آخر قام الى جانبه . غير أن سياق الحديث يتم عن أن ذلك كله كان فى أول الاسلام حيث ظهرت الحاجة الى المحافظة على حجية الحديث مبكره ، وأنهم أصبحوا على بصيرة بما يحقق لهم هذا المقصد ، ولم يجدوا من سبيل الى ذلك الا الكتابة .

وأرى أن الفائدة تكون أتم لو أننا أوجزنا ما بسطناه فى كلمات ليكون فى الامكان الالمام به ، والوقوف عليه .

أولا : ان النهى عن الكتابة كان متقدما ، وربما اقتصر على كتاب الوحى ، وهو يرجع الى :

١ ــ الخشية من أن يشتغل المسلمون بالحديث عن القرآن .

٢ ــ الخوف من أن يلتبس القرآن بغيره حين يكتب غير القرآن مع القرآن فى شىء واحد .

٣ ــ عدم أتقان بعض الصحابة الكتابة ، وخطؤهم فيما يكتبون .

٤ ــ الخوف من الاعتماد على الكتابة دون الحفظ .

ثانيا : ان الاذن بالكتابة جاء متأخرا ، وهو يرجع الى :

١ ــ الأمن من الانصراف عن القرآن واختلاطه بغيره .

٢ ــ أن بعض الصحابة كانوا لا يحفظون .

٣ ــ أن السنن كثرت بحيث يعسر حفظها .

٤ ــ أن بعض الصحابة كانوا يتقنون الكتابة مما أدى الى الوثوق فى كتابتهم .

٥ ــ وجود بعض الكاتبين من غير كتاب الوحى ممن كانت كتابة الحديث لا تشغلهم عن التفرغ لكتابة القرآن .

هذا ما كان من أمر القدماء فى شأن كتابة الحديث . ولئن بدا أن بعضهم خالف عن القول بأن الحديث كتب فى عصر النبوة ، فانهم جميعا يؤولون فى النهاية الى غاية واحدة هى المحافظة على حجية الحديث ولا فرق عندهم فى أن يكون سبيل ذلك الحفظ أو الكتابة ، وان كان رأينا أن حافظة الحافظين ، وصحف الكاتبين قد تعاونت على تحقيق هذا الأمر .

لكن ما بال المحدثين حين يقولون هذا القول ، وهم يعرفون خطورته ، فهم بما يقولون يفتحون الباب على مصراعيه للظنية فى الحديث ، والشك فى كل ما يقوم عليه من أحكام .

فيقول ديورانت [(١٤٩)] : « ان المسلمين امتنعوا عن تدوين الحديث فى القرن الأول من الهجرة » .

ويقول أحمد أمين [(١٥٠)] : « لم يدون الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن » « ونشأ عن هذا أنه كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب مدون هو القرآن ، وأحاديث غير مدونة تروى عن رسول الله وكانت تروى فى الغالب من الذاكرة لا من صحيفة » .

كذلك عرض الدكتر يوسف خليف لأمر الحديث ، وهو يتناول قضية تدوين الشعر الجاهلى فذكر أن القرن الأول لم يشهد محاولة جادة لجمع الشعر الجاهلى وتدوينه ، وانما ظل الاعتماد على الرواية الشفوية كما كان الأمر من قبل ، ولم يكن الشعر — فى الحقيقة — بدعا بين

---

(١٤٩)ديورانت : قصة الحضارة: المجلد الرابع الجزء الثانى ص١١٧ .
(١٥٠)أحمد أمين :فجر الاسلام ص ٢٠٨ . ٢٠٩ الطبعة الثالثة عشرة دار الشباب للطباعة .

سائر جوانب الثقافة العربية ، فقد اعتمدت كلها على الرواية الشفوية . وكان هذا طابع العصر الغالب عليه . أو طبيعة هذه المرحلة فى تاريخ الثقافة العربية حتى الحديث النبوى ـ على قداسته وأهميته فى التشريع الاسلامى لم يدون فى هذا العصر ، وانمـا ظل رواته من التابعـين يأخذونه عن الصحابة كما كان الصحابة يأخذونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [151] .

ويقول أبو ريه [152] : ان كتابة الحديث لم تقع الا فى القـرن الثانى ، أى بعد انتقال النبى الى الرفيق الأعلى بأكثر من مائة سنة .

وقد اشتهر بين [153] عامة الناس من غير ذوى التتبع والاستقصاء أن الحديث أو ما يطلق عليه علماء الحديث لفظ « العلم » ظل أكثر من مائة سنة يتناقله العلماء حفظا دون أن يكتبوه .

وقد غلب هذا الرأى حتى أصبح وجه الغرابة أن يقال بغيره . وأن يؤخذ بسواه ، ولذلك فانى أقدر صعوبة التحدث الى أصحابه بغير ما يرون ، ولو أن الأمر كان خلافا على ظاهرة حضارية أو أدبية لهان شأنه ، ولكن الخطورة فى التسليم بهذا القول تتمثل فى الظنية التى ربما تثور حول الحديث ونصوصه ، وما يترتب بعد ذلك على الشك فى حجيتها ، ومكانة السنة فى الاسلام معروفة ومقـدرة ، فهى وحى لا يصلى به ، وهى المصدر الثانى لشرائع الاسـلام وأحكامه ، لذلك

---

(١٥١)الدكتور يوسف خليف : دراسات فى الشعر الجاهلى ص ٢٦ ط دار غريب للطباعة .

(١٥٢)محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية : المقدمة ص٩ .

(١٥٣)يوسف العش : تصدير كتاب تقييد العلم ص ٥ .

عظمت العناية بها ، والاهتمام بأمرها ، وكان من ذلك الاتجـاه الى كتابتها فى عصر النبوة •

وليس لأحد (١٥٤) أن يتطلب أن تأتى كتابة الحديث على نهج كتابة القرآن ، وأن يخصص الرسول صلى الله عليه وسلم له كتابا يقومون على كتابته عند سماعهم له أو مشاهدتهم لحصوله •

ولكن الذى نعنيه أن الصحابة الكاتبين قد دونوا مسموعاتهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، يحدوهم الى ذلك توجيه النبى لهم ، وحرصهم على أن تتعاون صحف الكاتبين مع صدور الحافظين فى المحافظة على حجية الحديث وسلامته •

وما نود أن نلفت اليه هو أن المسلمين شرعوا فى كتابة الحديث فى

---

(١٥٤) راجع قول أبى رية :
« ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل لحديثه كتابا يكتبونه عندما كان ينطق به ، كما جعل للقرآن الحكيم ، وتركه ينطلق من غير قيد الى أذهان السامعين تخضعه الذاكرة لحكمها القاهر• أضواء على السنة المحمدية المقدمة ص ٩ راجع تكراره للفكرة نفسها فى قوله : « ان أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكتب فى عهده ، كما كان يكتب القرآن ، ولا كان لها كتاب يقيدونها عند سماعها منه ، وتلفظه بها ، كمـا كان للقـرآن كتاب معروفون يقيدون آياته عند نزولها ص ١٩ أضواء على السية المحمدية •
— ممن يذهبون الى هذا الرأى : أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ٣ ص ٢٠٨ •

وقت مبكر من حياة الجماعة الاسلامية ولئن تحملت الدولة فى عهد النبى
مسئولية المحافظة على القرآن فكان مجموعا فى سوره فى دار النبوة
فاننا نستطيع أن نقول فى اطمئنان بالغ أن جهـود المسلمين الذاتيـة
اضطلعت بعبء كتابة الحديث لأن ذلك كان مطلبا شعبيا ودينيا فى الوقت
نفسه ولقد حبذت الدولة وجماعة المسلمين هذا الاتجاه بعد عصر النبى
صلى الله عليه وسلم كما سنبينه فى الصفحات التالية .

الباب الثاني

التثبت من الحديث بعد عصر النبوة

الفصل الأول

ضوابط التلقى

ضاعف المسلمون من عنايتهم بالحديث بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقد تظاهرت الأسباب التى وجهتهم الى هذا الأمر ، ونستطيع أن نعد منها :

أولا : الاستجابة لتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم برواية الحديث : فقد حض على نشره ، وحذر من حبسه حتى يكون المسلمون جميعا على بينة ، بأمور دينهم ، وأحكام شريعتهم :

قال ابن عباس(١) : سمعت على بن أبى طالب يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم أرحم خلفائى ، قال : قلنا يارسول الله ، ومن خلفاؤك قال صلى الله عليه وسلم : الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى ، ويعلمونها الناس •

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(٢) : نضر الله أمرأ سمع حديثا وحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه •

ثانيا : أهمية الحديث ، وضرورة الاشتغال به وطلبه ، فهو علم القوم ، لأنه يشتمل(٣) : على أصول التوحيد . وبيان ما جاء عن الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين ، والاخبار عن صفة الجنة والنار ، وما خلق الله فى الأرضين ، والسماوات ••• وذكر الملائكة المقربين ، وفى الحديث قصص الأنبياء ، وأخبار الزهاد والأولياء ••• وشرح مغازى الرسول وسراياه ، وجمل أحكامه وقضاياه ، وخطبه وعظاته •••

---

(١) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ١٧ •

(٢) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ١ قسم ١ ص ١١ •

(٣) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٣ ، ٤ •

وفيه تفسير القرآن العظيم ... وأقاويل الصحابة في الأحكام المحفوظة عنهم ، وتسمية من ذهب الى قول كل واحد منهم من الأئمة الخالفين والفقهاء المجتهدين .

ثالثا : الحرص على معرفة وقائع حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته ، في دقائقها وتفاصيلها ، فهو المثل الأعلى ، وهو القدوة الحسنة : قال تعالى(٤) : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه .

رابعا : الالتزام بما أمر به النبى ﷺ ، والانتهاء عما نهى عنه ، والسير على السنة في كل الأحوال : قال تعالى(٥) : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهو» وقد اعتبرت طاعة الرسول من طاعة الله : قال تعالى (٦) : «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وقال (٧) : «وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله» كذلك حث القرآن على الاستجابة لما يدعو الرسول اليه ، قال تعالى : «ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» .

وقد حذر الرسول ﷺ من يبلغه حديث عنه ، ولا يعمل به ، فقال(٨) : يوشك بأحدكم يقول : هذا كتاب الله ، ما كان فيه من حلال أحللناه ، وما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا من بلغه عني حديث

---

(٤) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٥) سورة الحشر : آية ٧ .

(٦) سورة النساء : آية ٨٠ .

(٧) سورة النساء : آية ٦٤ .

(٨) سورة الأنفال : آية ٣٤ .

فكذب به . فقد كذب الله ورسوله والدى حدثه . وقال ﷺ :[9] «لأعرفن ما يبلغ أحدكم من حديثى شىء . وهو متكىء على أريكته . فيقول ما أجد هذا فى كتاب الله تعالى» •

وكان الصحابة يتمسكون بالحديث ، ويعملون بموجبه ، ولا يرضون رأيا غيره ، مهما كان قدر صاحبه ومنزلته [10] •

رأى عبادة بن الصامت الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير وكسر الفضة بالدراهم ، فقال لهم[22] : « أيها الناس انكم تأكلون الربا سمعت رسول الله ﷺ يقول «لاتبتاعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل، لا زيادة بينهما . ولا نظرة ، فقال له معاوية ، يا أبا الوليد لا أرى الربا فى هذا الا ما كان من نظرة ، فقال عبادة ، أحدثك عن رسول الله ﷺ . وتحدثنى عن رأيك ، لئن أخرجنى الله لا أساكنك بأرض لك على فيها امرة فلما قفل لحق بالمدينة . فقال له عمر بن الخطاب ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ فقص عليه القصة .. وما قال من مساكنته ، فقال : ارجع يا أبا الوليد الى أرضك ، قبح الله أرضا لست فيها وأمثالك ، وكتب الى معاوية لا امرة لك عليه ، واحمل الناس على ما قال ، فانه هو الأمر •

---

(٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٣٢ •
— راجع ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ١ ص ٥ •
البيهقى : السنن جـ ١ ص ٦ •
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٣ — ٢٦ •
(١٠) أحمد بن حنبل : المسند جـ ٦ ص ٨ ط • المكتب الاسلامى •
(٢٢) ابن ماجه : سنن المصطفى جـ ١ ص ٧ •

خامسا : مكانة السنة من القرآن :

بعث الله الرسول ﷺ ، وأنزل عليه القرآن ، ووكل اليه أمر بيــانه •

قال تعالى[١٢] : وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم •

وقال[١٣] : وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه فالرسول ﷺ[١٤] هو المبين عن الله عز وجل أمره ، وعن كتابه معانى ما خوطب به النــاس ، وما أراد الله عــز وجل به ، وعنــى فيــه وما شرع من معنى دينه وأحكام ، وفرائضه ، وموجباته ، وآدابه ومندوبه ، وسننه التى سنها ، وأحكامه التى حكم بها وآثرها التى بثهــا •

فالسنة تفسر القرآن ، وتفصل مجمله ، وتخصيص ما جاء فيه عاما وتقيد مطلقه ، وتوضح مبهمه ، كما أنها تضمنت أحكاما لم يرد لها ذكر فيه •

١ ــ فمن تفصيل المجمل أن فرض الصلاة ورد فى القرآن فى حين أن السنة بينت أوقاتها وأركانها ، وعدد ركعــاتها وكيفيتها ، فقــال ﷺ[١٥] : صلوا كما رأيتمونى أصلى •

كذلك فرض الله الحج فى القــرآن ، وبين الرسول مناســكه ، وقال [١٦] : « خذوا عنى مناسككم » •

---

(١٢) سورة النحل : آية ٤٤ •

(١٣) سورة النحل : آية ٦٤ •

(١٤) ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل : تقدمة الجرح والتعديل ص ٢

(١٥) انظر صحيح البخارى بحاشية السندى جـ ١ ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ، جـ ٤ ص ٥٢ •

(١٦) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٩٤٣ حديث ٣١٠ •

ــ ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٣٣ •

وقد أتى رجل الى عمـــران بن حصـــين فسأله عن أمر فحدثه فقال الرجل : حدثوا عن كتاب الله عز وجل ، ولا تحدثوا عن غيره ، فقال له : انك امرؤ أحمق ، أتجد فى كتاب الله الظهر أربعا لاتجهر فيها بالقراءة ، ثم عد عليه الصلاة والزكاة ، ونحو هذا ، ثم قال : أتجد هذا فى كتاب الله مفسرا ، ان كتاب الله أبهم هذا ، وان السنة تفسر ذلك [17] .

وقيل لعبد الله بن عمر [18] : لاتجد صلاة السفر فى القرآن ، فقال ابن عمر : ان الله عز وجل بعث الينــا محمدا ﷺ ولا نعلم شيئا ، فانما نفعل كما رأينا محمدا ﷺ يفعل .

٢ ـ ومن تخصيص العام ما جاء فى بيـــان قوله تعالى [19] : «يوصـــيكم الله فى أولادكم للذكر مثــل حظ الأنثيين» فقد خصصت السنة المورث بغير الانبياء ، قال ﷺ [20] «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صـــدقة» ، كما خصصت الولد بغـــير القاتل لأبيـــه ، قال ﷺ [21] «ليس للقاتل من الميراث شىء» .

---

(١٧) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٣٤ .
القرطبى : الجامع لاحكام القرآن جـ ١ ص ٣٩ .

(١٨) أحمد بن حنبل : المسند جـ ٨ ص ٦٨ حديث رقم ٥٣٦٨
جـ ٧ ص ٢٠٩ رقم ٥٣٣٣ .

(١٩) سورة النساء : آية فتح البارى بشرح صحيح البخارى
جـ ٦ ص ٢٨٩ ، ٢٣٥ .
وانظر صحيح مسلم جـ٣ ص ١٣٧٨ ـ ١٣٨٣ .
وانظر مسند الامـــام أحمد بن حنبل جـ ٦ ص ١٤٥ ط المكتب الاسلامى .

(٢١) الصنعانى : سبل الســـلام جـ ٣ باب الفرائض ص ٩٥٩
حديث رقم ٩٠٠ .

ومما جاء في السنة مقيدا لمطلق القرآن ماورد في بيين قوله تعالى[٢٢] : «ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهم ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين» ويؤدي هذا الحكم أن الوصية تخرج من ميراث المتوفى مهما كان مقدارها ولكن السنة قيدتها بالثلث ففي حديث سعد بن أبي وقاص قال[٢٣] قلت يارسول الله : أنا ذو مال ، ولا يرثني الا ابنة لي واحدة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : «لا» قلت : أفأتصدق بشطره ؟ قال : «لا» قلت : أفأتصدق بثلثه ؟ قال : «الثلث ، والثلث كثير» .

وقال الصنعاني[٢٤] : «في الحديث دليل على منع الوصية بأكثر من الثلث لمن له وارث . وعلى هذا استقر الاجماع» .

وقال تعالى[٢٥] : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم» فقد جاء لفظ اليد في الآية مطلقا ، واستنادا لذلك تقطع يد للسارق كلها ، ولكن السنة قيدت

---

(٢٢) سورة النساء : آية ١٢ .

راجع ورود لفظ الوصية مطلقا دون تقييد أو تحديد في قوله تعالى .

— من بعد وصية يوصى بها أو دين : سورة النساء آية ١١ .

— من بعد وصية يوصين بها أو دين : سورة النساء : آية ١٢ .

— من بعد وصية توصون بها أو دين : سورة النساء آية ١٢ .

— من بعد وصية يوصى بها أو دين : سورة النساء آية ١٢ .

(٢٣) الصنعاني : سبل السلام جـ ٣ ص ٩٦٥ حديث رقم ٩٠٥ .

(٢٤) الصنعاني : سبل السلام جـ٣ ص ٩٦٦ .

(٢٥) سورة المائدة : آية ٣٨ .

القطع بأن يكون من مفصل الكف . فمن حديث عمرو بن شعيب[٢٦] :

« أتى النبى ﷺ بسارق فقطع يده من مفصل الكف » .

وقال تعالى[٣٧] : « وليطوفوا بالبيت العتيق» . وهذا الأمر يوجب الطواف مطلقا دون اشتراط الطهارة . وقيدته السنة بها : فلا يقوم بالطواف بالبيت الحرام الا من كان على طهارة ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت[٢٨] : لما جئنا سرف حضت ، فقال النبى ﷺ افعلى ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تطهرى» .

يقول الصنعانى : وفى الحديث[٢٩] دليل على أن الحائض يصح منها جميع أفعال الحج غير الطواف بالبيت وهو مجمع عليه .

توضيح المبهم :

: اشتملت بعض الآيات على ألفاظ مبهمة ، بين الرسول ﷺ المراد بها للمسلمين من ذلك قوله تعالى[٣٠] : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون» فعندما نزلت هذه الآية فهم الصحابة كلمة ظلم على أنها التقصير فى حق من حقوق الله عليهم . وشعر بعضهم باليأس وقالوا : أينا لم يظلم نفسه » ، فبين لهم الرسول ﷺ أن الظلم المقصود ليس الذى يعنون ، وانما

---

(٢٦) الصنعانى سبل السلام جـ ٤ ص ١٣٠٩ .

(٢٧) سورة الحج : آية ٢٩ .

(٢٨) الصنعانى : سبل السلام جـ ١ ص ١٧٢ حديث رقم ١٣٥ مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ٢ ص ٣٩ ط المكتب الاسلامى .

(٢٩) الصنعانى : سبل السلام جـ ١ ص ١٧٣ .

(٣٠) سورة الأنعام : آية ٨٢ .

المراد به فى الايه الشرك ودلل على ذلك بقوله تعالى : «ان الشرك لظلم عظيم» وبهذا أزال ماران على نفوسهم من اليأس ، وبصرهم بالمعنى الصحيح للآية .

وقالت عائشة[٣١] : يارسول الله فى هـذه الآية « الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون » ، يارسول الله أهو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله ، قال : لا يابنت أبى بكر . يابنت الصديق ولكنه الذى يصلى ويصوم ، ويتصـدق وهو الذى يخاف الله عز وجل ، وفى رواية [٣٢] وهو يخاف ألا يقبل منه » وقالت عائشة[٣٣] سألت رسول الله ﷺ عن الحسـاب اليسير فقلت يارسول الله ما الحساب اليسير ، فقال الرجل تعرض عليه ذنوبه ، ثم يتجاوز له عنها ، انه من نوقش الحساب هلك ولا يصيب عبدا شوكة فما فوقها الا قاص الله عز وجل بها من خطاياه .

ومما جاء فى السنة ولم يأت فى القرآن .

تحريم كل ذى ناب من السبع .

---

(٣١) أحمد بن حنبل : المسند جـ ٦ ص ١٥٩ المكتب الاسلامى .
(٣٢) أحمد بن حنبل : المسند جـ ٦ ص ٢٠٥ ط . المكتب الاسلامى
(٣٣) أحمد بن حنبل : المسند جـ ٦ ص ١٨٥ المكتب الاسلامى .
— وفى رواية قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ من حوسب هلك . قالت : قلت يارسول الله أليس لقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، قال يا عائشة ، ذاك العرض من نوقش الحساب فقد هلك . جـ ٦ ص ٢٠٦ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال[٣٤] : «كل ذى ناب من السباع فأكله حرام».

كما حرم الرسول ﷺ الحمر الأهلية .

عن جابر رضى الله عنه قال[٣٥] : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية .

وحرم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[٣٦] : «لايجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها».

وقد عرف الصحابة للسنة مكانتها ؛ فعنوا بأمرها ؛ وبذلو أقصى جهودهم فى توثيقها .

---

(٣٤) الصنعانى : سبل السلام جـ٤ كتاب الأطعمة ص ١٣٨٥ حديث رقم ١٢٣٧ .

— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٣٣ مطبعة العاصمة .

— القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٨ .

(٣٥) الصنعانى : سبل السلام جـ ٤ كتاب الأطعمة ص ١٣٨٧ حديث رقم ١٢٣٩ .

— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية : تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٢٣ مطبعة العلوم — بيروت .

(٣٦) الصنعانى : سبل السلام جـ ٣ كتاب النكاح ص ٩٩٨ حديث رقم ٩٢٩ .

قال ابن القيم(٣٧) فاذا جعل الله من لوازم الايمان أنهم لايذهبون مذهبا اذا كانوا معه الا باستئذانه ، فأولى أن يكون من لوازمة ألا يذهبوا الى قول ولا مذهب علمى الا بعد استئذانه واذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه ٠

التثبت من الحديث فى عصر الصحابة ٠

التشدد فى التلقى ٠

تطور الأمر فى شأن الرواية فى عصر الصحابة ، فلم تعد مجرد نقل للحديث وانما أصبحت علما له أسسه ووسائله ، وله شرائطه وضوابطه، فقد اتجه الصحابة الى التثبت من الأحاديث ، وتشددوا فى ذلك : والتزموا ما وجههم اليه الرسول ﷺ فى قوله لعبد الله بن عمر(٣٨) : «يا ابن عمر ، دينك . دينك ، انما هو لحمك ودمك ؛ فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ، ولا تأخذ عن الذين مالوا ٠

وقد أصبح هذا التوجيه مبدأ عاما ، وأصلا يقاس عليه ، قال على

---

(٣٧) أعلام الموقعين جـ ١ ص ٥٨ ٠

راجع قوله تعالى : «انما المؤمنـون الذين آمنـوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامـع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، ان الله غفور رحيم » سورة النور : آية ٦٢ ٠

(٣٨) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٤٩ دار الكتاب العربى ٠

ابن أبى طالب[٣٩] «انظروا عمن تأخذون هذا العلم فانما هو الدين» ؛ فصار كل مسلم يدقق فيما يسمع وساعدهم على ذلك أن الحياة الدينية كان النقاء لايزال غالبا عليها ، كما كان الحرص على الأحاديث مما يشغل بال القوم ؛ وهم يودون لو أنهم حفظوا لها حجيتها مما جعلهم يتخذون من الوسائل ما يعينهم على الاستيثاق ممن يحدثهم وما يجب[٤٠] أن يكون عليه من الضبط والتيقظ . والمعرفة بأداء الحديث وشرائطه ، والتحرز من أن يدخل عليه ما لم يسمعه . يقول الشافعى[٤١]: «ولايستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه الا بصدق المخبر وكذبه

يقول حذيفه فى حديثه عن الفتنه[٤٢] : حدثته (أى عمر) حديثا ليس بالأغاليط . وهو[٤٣] يريد أنه حدثه حديثا صدقا محققا ليس هو من صحف الكتابيين ، ولا من اجتهاد ذى رأى بل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ظل التيقظ فى أخذ العلم والتثبت فيه دأب طلاب الحديث طوال عهد التابعين والخالفين .

قال شعبه[٤٤] (٨٢هـ ــ ١٦٠هـ) كنت أنظر الى فم قتادد (٦٠هـ ــ ١١٧) فاذا قال للشىء حدثنا عنيت به ، فوقفته عليه ، واذا لم يقل حدثنا لم إعن به .

---

(٣٩) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٤٩ دار الكتاب العربى .

(٤٠) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١١٦ .

(٤١) الشافعى : الرسالة ص ٣٩٩ .

(٤٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ كتاب الايمان ص ١٧٤ .

(٤٣) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤٤) ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل ج ٢ ص ٣٤ .

وقال يحيى بن سعيد[٤٥] : ينبغى لكتبة الحديث أن يكون ثبت الأخذ ، ويفهم مايقال له ، ويبصر الرجل — يعنى المحدث — ثم يتعاهد ذلك منه ؛ — يعنى نطقه — يقول حدثنا أو سمعت أو يرسله •

التردد فى قبول الحديث الا من كانت لهم صحبة :

أدت شدة الحرص على الحديث النبوى ، وتحرى صحة نصه الى ألا يقبل حديثا قال[٤٦] راويه فيه عن رجل من الصحابة أو حدثنى من صحب رسول الله ﷺ الا حتى يسميه ، ويكون معلوما ، بالصحبة الفاضلة وتشددوا فى ذلك ، حتى رأى بعضهم أن أسم الصحابى لايصح الا على من طالت صحبته للنبى ﷺ ، وكثرت مجالسته له على الطريق التبع له . والأخذ عنه ، فكان[٤٧] سعيد بن المسيب لايعد الصحابى الا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين ، وربما تخفف بعضهم فقال[٤٨] : ان من رأى رســـول الله ﷺ وقد أدرك الحلم وأسلم ، وعقل أمر الدين ورضيه ، فهو ممن صحب النبى ﷺ . ولو ساعة من نهار ، ولكن أصحابه على طبقاتهم

---

(٤٥) ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٣٤ •
التردد فى قبول الحديث : الا ممن كانت لهم صحبة •

(٤٦) ابن حزم . الاحكام فى أصول الأحكام جـ ١ ص ١٣٥ •

(٤٧) مقدمـة ابن الصلاح تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٤٢٤•
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٦٩ ط • دار الكتاب العربى •

(٤٨) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٦٩ •
— أو هو من لقى النبى ﷺ ، مؤمنا به ، ومات على الاسلام • انظر : شرح نخبة الفـكر فى مصطلح أهـل الأثر ص ٢٨ وانظر ص ١٩ •

والمقياس فى ذلك السبق[٤٩] الى الاسلام . والهجرة ، وشهود المشاهد .

اشتراط ان يكون الراوى قد سمع الحديث من الرسول :

وقد أدى التشدد فى التحرى الى اشتراط أن يكون الراوى قد سمع الحديث من رسول الله ﷺ مباشره .

أخرج مالك[٥٠] عن السائب بن يزيد أنه سمع سفين بن أبى زهير وهو رجل من أزد شنوده من أصحاب رسول الله ﷺ يقول : من اقتنى كلبا لا يغنى عنه زرعا ، ولاضرعا نقص من أجر عمله كل يوم قيراط ، قال : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، فقال : أى ورب هذا المسجد .

وعن عبد الله بن معقل بن مقرن قال[٥١] : دخلت مع أبى على عبد الله بن مسعود ، فقال : أنت سمعت النبى ﷺ يقول : الندم توبة ؟ قال : نعم .

وعن ابن أبى عمار قال[٥٢] : سألت جابر بن عبد الله عن الضبع فأمرنى بأكلها ، قلت : أصيد هى ، قال : نعم قلت : أسمعته من رسول ﷺ ، قال : نعم .

أخرج البخارى بسنده عن عمرو عن أبى وائل عن عبد الله رضى

(٤٩) مقدمة ابن الصلاح تحقيق الدكتوره عائشة عبد الرحمن ص ٤٣٢ .

(٥٠) الموطأ بشرح السيوطى : جـ ٣ كتاب الجامع ص ١٣٨ .

— ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ٢ : كتاب الصيد ص ١٦٩ .

(٥١) أحمد بن حنبل : المسند حديث رقم ٣٥٦٨ وأنظر ص ١٩٥ .

— ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ٢ كتب الزهد ص ١٤٢ .

(٥٢) النسائى : سنن جـ ٥ كتاب مناسك الحج ص ١٩١ .

الله عنه . قال[٥٣] : لا أحد أغير من الله . ولذلك حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن ، ولا شيء أحب اليه المدح من الله . ولذلك مدح نفسه ، قلت : سمعته من عبد الله ، قال : نعم ، قلت : ورفعه ، قال : نعم .

وأخرج مسلم عن زبيد عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال : رسول الله ﷺ[٥٤] «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» قال زبيد فقلت لأبى وائل أنت سمعته من عبد الله يرويه عن رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم .

وسمع مسلمة بن عبد الرحمن وأبو عبد الله الأغرمولى الجهنيين أبا هريرة يقول[٥٥] صلاة فى مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فان رسول الله ﷺ آخر الأنبياء ، ومسجده آخر المساجد ، قال أبو سلمة وأبو عبد الله لم نشك أن أبا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ﷺ فمنعنا أن نتثبت أبا هريرة فى ذلك الحديث حتى اذا توفى أبو هريرة ذكرنا ذلك وتلاومنا أن لا تكون كلمنا أبا هريرة فى ذلك حتى يسنده الى رسول الله ﷺ ان كان سمعه منه . فبينا نحن على ذلك جالسنا عبد الله بن ابراهيم ابن قارظ فذكرنا ذلك الحديث والذى فرطنا فيه من نص أبى هريرة ، فقال لنا عبد الله بن ابراهيم : أشهد أنى سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ ، فانى آخر الأنبياء ، وانه آخر المساجد .

(٥٣) البخارى : الصحيح جـ ٦ كتاب التفسير ص ٧٢ وانظر ص ٧٤ .

(٥٤) مسلم : الجامع الصحيح : جـ ١ كتاب الايمان ص ٨١ هذه الطبعة .

(٥٥) النسائى : سنن : جـ ٢ كتاب المساجد ص ٣٥ .

وكان السماع من رسول الله ﷺ دالا وباعثه .. فى ثقة المحدث بما يحدث به ، واعتزازه بما يرويه .

عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار فى مرضه الذى مات فيه ، فقال[56] له معقل انى محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ . سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : مامن عبد استرعاه الله رعية ، فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة .

وقال[57] ابن شريح لعمرو بن سعيد. وهو يبعث البعوث الى مكة : أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبى ﷺ يوم الفتح[58] سمعته أذناى . ووعاه قلبى . وأبصرته حين تكلم به : حمد الله وأثنى عليه ، قال : ان مكة حرمها الله . ولم يحرمها الناس ، ولايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما . ولا يعضد بها شجرة ، فان أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له . ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم . فانما أذن لى ساعة من نهار . ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب .

وقال أنس بن مالك[59] : ألا أحدثكم حديث سمعته من رسول الله

---

(٥٦) البخارى : الصحيح : جـ ٩ كتاب الأحكام ص ٨٠ ط الشعب

(٥٧) البخارى : خلق أفعال العباد ص ١٨٢ .
النسائى : سنن النسائى : جـ ٥ كتاب مناسك الحج ص ٢٠٥ .

(٥٨) وردت هذه العبارة فى أكثر من اسناد لتوثيق الحديث وبيان صحته راجع البخارى : جـ ٨ كتاب الرقاق ص ١٢٥ ط الشعب جـ ٩ كتاب الأحكام ص ٨٨ .

(٥٩) ابن ماجة : سنن جـ ٢ كتاب الفتن ص ١٣٤٣ .
وانظر كتاب الزهد ص ١٣٧٥ .
— وانظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٢٢١ المطبعة المصرية .

ﷺ لا يحدثكم به أحد بعدى سمعته منه .. « ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويذهب الرجال ، ويبقى النساء » .

وانما قال ذلك لأن الصحابة[٦٠] كانوا انقرضوا ولم يبق منهم غيره فانه توفى بالبصرة سنة ٩٣ وهو ابن مائة وعشرين .

وقد تشدد بعض الصحابة فرأوا ألا يحدث أحدهم بحديث الا اذا كان قد تكرر سماعه له من الرسول ﷺ .

قال عمرو بن عنبسة بعد أن روى حديثا[٦١] «لقد كبرت سنى، ورق عظمى ، واقترب أجلى ، وما بى حاجة الى أن أكذب على الله ، ولا على رسول الله ﷺ ، لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة أو مرتين أو ثلاثا ، حتى عد سبع مرات ، ماحدثت به أبدا ، ولكنى سمعته أكثر من ذلك .

ولا يعنى هذا أنهم كانوا يكذبون من تلقوا الحديث من غير الرسول ﷺ ، وانما هى الحيطة البالغة فى تحمل الحديث ، والرغبة المخلصة فى تلقيه نقيا خالصا كما تحدث الرسول ﷺ به .

ومع أن الناس كانوا على يقين من صدق المحدثين فيما يحدثون به ، اذ لم يكن بعضهم يكذب على بعض يومئذ الا أن بعضهم تشدد وحرص ــ اذا سمع حديثا لم يسمع من يحدث به عن الرسول ﷺ مباشرة ــ أن يتتبع رواته ، حتى يصل به فى النهاية الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(٦٠) راجع شرح الأبى على مسلم جـ١٧ ص ١٠٧ .
وشرح السنوسى على مسلم جـ٧ ص ١٠٧ .

(٦١) صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ٦ كتاب صلاة المسافرين ص ١١٨ ط المطبعة المصرية .

الاشهاد على السماع :

تشدد أبو بكر فى قبول الحديث ، وكان من تشدده أنه حين كان يسمع حديثا ليس عنده يتمسك بأن يشهد مع من يرويه شاهد يكون قد سمعه من الرسول ﷺ مباشرة ، فقد جاءت جدة اليه تلتمس أن تورث ، فقال لها [٦٢] ما أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا ؛ فارجعى حتى أسأل الناس العشية ، فلما صلى الناس الظهر ، قام فى الناس يسألهم ، فقال المغيرة بن شعبة : سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس ، قال أبو بكر رضى الله عنه : هل سمع ذلك معك أحد ، فقام محمد بن مسلمة ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس ، فأنفذ ذلك لها أبو بكر رضى الله عنه : وبذلك وضع أبو بكر الأساس العلمى للمنهج الاسلامى فى التثبت من الرواية [illegible] [illegible] صحتها ، فهو لم يقبل حديث الجدة من المغيرة بن شعبة الا [illegible] التى شاهد سمعه ، وفى الشهادة على السماع بينة مقنعة

---

(٦٢) الحاكم [illegible] معرفة علوم الحديث ص ١٥ .

— الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢ ط . دار احياء التراث العربى .

— ابن ماجة : سنن المصطفى ج ٢ ص ٩١٠ الحديث رقم ٢٧٢٤ .

— مالك : الموطأ بشرح السيوطى : ج ٢ كتاب الفرائض ص ٥٤ .

— ابن عبد البر : تجريد التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ص ١٤٨ .

— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٣ دار الكتاب العربى .

وقد سن عمر للمحدثين التثبت من النقل فكان يخيفهم فى الله حتى لا يقول أحد الا ما يعلم مع أن الانقسامات لم تكن قد ظهرت فى زمنه ؛ وتابع أبا بكر فى تشدده فى قبول ما لم يكن عنده من الحديث ، فعندما أخبره أبو موسى الأشعرى بحديث السلام طالبه بأن يأتى معه بشاهد يكون قد سمعه من الرسول ﷺ مباشرة .

أخرج مسلم [٦٣] عن بكير بن الأشج أن بسر بن سعيد حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : كنا فى مجلس عند أبى بن كعب ، فأتى أبو موسى الأشعرى مغضبا حتى وقف ؛ فقال ؛ أنشدكم الله ، هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول : الاستئذان ثلاث فان أذن لك ، والا فارجع ، قال أبى : وما ذاك ، قال : استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات فلم يؤذن لى ، فرجعت ، ثم جئته اليوم فدخلت عليه ، فأخبرته أنى جئت أمس ، فسلمت ثلاثا ، ثم انصرفت ، قال : قد سمعناك ، ونحن حينئذ على شغل فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك ، قال : استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ ، قال : فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا ، فقال أبى بن كعب : فوالله لايقوم معك الا أحدثنا سنا ، قم يا أبا سعيد ، فقمت حتى أتيت عمر ، فقلت : قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا .

وتضيف برواية البخارى [٦٤] ، فقال عمر : خفى على هذا من أمر النبى ﷺ ، الهانى الصفق فى الأسواق .

(٦٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٤ كتاب الآداب ص ١٣٢ .
(٦٤) البخارى : الجامع الصحيح ج ٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ص ١٣٣ ط الشعب .
وأنظر ج ٨ كتاب الاستئذان ص ٦٧ .
— الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦ .
— مالك : الموطأ ج ٥ ص ٩٦٤ .
— البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٥٠ .

وهناك حادثة أخرى تشير الى تثبت عمر من الحديث ، وتشدده فى قبوله فقد جاء عن المغيرة بن شعبة قوله[٦٥] سأل عمر بن الخطاب عن املاص المرأة . فقال : أيكم سمع من النبى ﷺ فيه شيئا ؟ فقلت : أنا ، فقال : ماهو ؟ قلت : سمعت النبى ﷺ يقول : فيه غرة عبد أو أمة ، فقال : لاتبرح حتى تجيئنى بالمخرج فيما قلت ، فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة ، فجئت به ، فشهد معى أنه سمع النبى ﷺ يقول : فيه غرة : عبد أو أمة .

ولا يدمل تصرف عمر على أنه كان يهم أبا موسى فى روايته ، أو يشك فيما أخبر المغيرة به ، لكنه فعل ذلك احتياطا لحفظ السنن ، والترهيب فى الرواية ، وحتى يشعر الناس أن الحديث عن الرسول ﷺ عظيم ، فلا يتجرأ أخذ منهم عليه .

وقد تابع عثمان عمر فى مسلكه فى التثبت فى الحديث :

قال بسر بن سعيد[٦٦] : أتى عثمان المقاعد فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ثلاثا ، ويديه ثلاثا ثلاثا ، ثم مسح برأسه

---

(٦٥) البخارى : جـ ٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ص ١٢٦ .
— مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١١ كتاب القسامة ص ١٧٩ .
— املاص المرأة : هى التى يضرب بطنها فتلقى جنينا .
وذكر ابن الأثير : أن املاص المرأة الجنين : هو أن تزلق تزلق الجنين قبل وفاة الولادة انظر النهاية جـ ٤ ص ١١٣ .
كذلك ذكر أن أصل الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ، وانما تجب الغرة فى الجنين اذا سقط ميتا .
انظر النهاية جـ ٣ ص ١٧٤ .

(٦٦) أحمد بن حنبل : المسند جـ ١ ص ٣٧٢ .

ورجليه ثلاثا ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ هكذا يتوضأ يا هؤلاء (لنفر من الصحابة) ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

واتبع على بن أبى طالب منهجا متشـــددا مع الرواة ، فلم يكن يتلقى حديثا لم يسمعه من النبى ﷺ الا استحلف الراوى أنه سمعه منه ، وشاهد ذلك قوله[٦٧]: «كنت اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله بما شاء منه ، واذا حدثنى عنه محدث استحلفته فان حلف لى صدقته .

وكان بحث الصحابة ، وهم ينشـــدون توثيق الحديث موضـــوعيا بحتا ، فكانوا حين يســتحلفون الراوى يتجـــردون من كل هـــوى ، ويحصرون هدفهم فى الاستيثاق ممن يحدثهم لينبهوه ان كان قد وهم أو وهل ، وليجعلوه يتذكر ان كان قد نسى ، وليحذروه أن كان قد شبه له . ولم تكن مكانة الراوى فى الاسلام ، ومنزلته بين المسلمين لتصرفهم عن قصدهم فقد روى على حديثا فاذا بعبيدة السلمانى يواجهه بقوله : يا أمير المؤمنين الله الذى لا اله الا هو أسمعت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ فقال : اى والله الذى لا اله الا هـــو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له .

ولم يكن الاشهاد على السماع ، أو استحلاف المحدث ، أو اشتراط راو معه يكون قد أخذ الحديث عن رسول الله ﷺ بلا واسطة أمرا محتما

---

(٦٧) راجع : النيسابورى : مقدمة معرفة علوم الحديث (ب) . ص ١٥ .
البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص٤٤ ط. دار الكتاب العربى و ص ١٠٥ من المصدر نفسه .
الترمذى : سنن الترمذى جـ ٢ ص ١٩٦ ، جـ ١١ ص ١٣٣ جـ ٢ ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ .

لقبول كل الأحاديث وانما كان القصد من ذلك التثبت من الرواية ، والاستيثاق من الخبر ، والاطمئنان اليه ، والاحتياط فيه ، والرغبة فى أن يكون الخليفة قدوة لغيره فى تلقى الحديث والعمل به •

وعلى ذلك فان التوقف فى أخبار[68] الآحاد لم يكن منهجا عاما فى

---

(٦٨) هى مايرويه الواحد عن الواحد حتى ينتهى به الى النبى أو من انتهى به اليه دونه •

انظر الشافعي : الرسالة ص ٣٦٩ •

— ويقول ابن جماعة : « وأما أخبار الآحاد فهو كل مالم ينته الى حد التواتر ، وقيل هو مايفيد الظن ، ثم هو قسمان : مستفيض وغيره •

فالمستفيض مازاد نقلته عن ثلاثة ، وقيل غير ذلك •

وغير المستفيض : هو خبر الواحد أو الاثنين أو الثلاثة على الخلاف فيه •

ابن جماعة : المنهل الروى فى علوم الحديث النبوى ص ٩١

أى أن ابن جماعة يجعل خبر الآحاد أربعة أقسام •

أ) المستفيض : وهو خبر أكثر من ثلاثة •

ب) المشهور وهو ما تفرد بروايته ثلاثة •

جـ) العزيز : وهو أن ينفرد بروايته اثنان •

د) الغريب : وهو ما انفرد واحد بروايته •

راجع السيوطي : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣٧٥ •

السخاوى : فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى جـ٣ ص ٢٨ — ٣٤ •

ابن الصلاح : المقـدمة ص ٣١٥ تحقيق الدكتوره عائشة عبد الرحمن ص ٣٩٥ •

تلقى أبى بكر وعمر وغيرهما . وانما الأمر كله مداره الأحتياط والتوقى ، والزيادة فى التثبت ، فالمسألة تمس حكما لم ينص عليه القرآن ، وكلا الخليفتين يود أو يتأكد من أنه يحكم فيما يعرض عليه من مسائل بقضاء رسول الله ﷺ .

وقد سبق الغزالى[٦٩] الى مناقشة موقف أبى بكر ، فأداره على وجوه عدة ، قال : أما توقف أبى بكر فى حديث المغيرة فى توريث الجدة ، فلعله كان هناك وجه اقتضى التوقف ، وربما لم يطلع عليه أحد ، أو لينظر أنه حكم مستقر أو منسوخ ، أو ليعلم هل عند غيره مثل ماعنده ليكون الحكم أوكد ، أو خلافه فيندفع ، أو توقف فى انتظار استظهار بزيادة ، كما يستظهر الحاكم بعد شهادة اثنين على جزم الحكم ان لم يصادف الزيادة ، لا على عزم الرد ، أو أظهر التوقف لئلا يكثر الاقدام على الرواية عن تساهل ، ويجب حمله على شىء من ذلك ، اذ ثبت منه قبول خبر الواحد ، وترك الانكار على القائلين به» .

وكذلك الأمر فى موقف عمر من حكم الاستئذان فى حديث أبى موسى ، فهو لا يخرج بحال عما ذكر ، ولاسيما أن الاستئذان أمر يتكرر ، فالمعهود أن تعرف أحكامه وتشيع ، فلما أخبره أبو موسى بما لايعرفه أراد ان يتثبت احتراسا من الخطأ والوهم .

وقد سبق الشافعى الى ذلك وهو يعرض لموقف عمر من هذه المسألة فقال[٧٠] : أما فى خبر أبى موسى فالى الاحتياط لأن أبا موسى ثقة

---

(٦٩) الغزالى : المستصفى جـ ١ ص ١٥٤ .

(٧٠) الشافعى : الرسالة ص ٤٣٤ .

— راجع مالك : الموطأ جـ ٢ ص ٩٦٤ .

— أبو داود : السنن حديث رقم ٥١٨٣ . ٥١٨٤ .

أمين عنده ان شاء الله ، فان قال قائل : مادل على ذلك ؟ قلت : قد رواه مالك بن أنس عن ربيعة عن غير واحد من علمائهم من حديث أبى موسى ، وأن عمر قال لأبى موسى : أما انى لم أتهمك ، ولكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ .

ومع هذا ، فان لابن حزم رأيا فى هذه القضية ، فقد ذكر[71] أن عمر كان يرى عدم الأخذ برأى الصحابى الواحد ، فلما عاتبه ابنه انثنى عن ذلك ، وصار يقبله .

ليس صوابا اذا أن أبا بكر وعمر لم يقبلا من الحديث الا مارواه اثنان فأكثر ، كما أنه ليس صوابا أن منهج على فى قبول الحديث قام على تحليف الراوى ، ولم تكن هذه شروطا وضعوها فى تلقى الحديث ، والعمل به .

فقد قبل الصحابة أحاديث الأحاد ، واستندوا فى ذلك الى أن رسول الله ﷺ ندب [72] الى استماع مقالته ، وحفظها وأدائها امرءا يؤديها ، والأمرؤ واحد ، فدل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه الا ما تقوم به الحجة على من أدى اليه لأنه انما يؤدى عنه حلال يؤتى ، وحرام يجتنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة فى دين ودنيا .

ووضعوا عددا من الضوابط من شأنها أن تسد منافذ التقول ، وتجنبهم مزالق السهو والخطأ ، وتصون الحديث من عثرات الذاكرة ،

---

(٧١) ابن حزم : الاحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ١٤٠ .
(٧٢) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٦ دار الكتاب العربى .
— الشافعى : الرسالة ص ٤٠٢ .

من ذلك[٧٣] أن يكون من حدث به ثقة فى دينه ، معروفا بالصدق فى حديثه عاقلا لما يحدث به ، عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ ، وأن يكون ممن يؤدى الحديث بحروفه كما سمع ، لايحدث به على المعنى ... حافظا ان حدث به من حفظه ، حافظا لكتابه ان حدث من كتابه . اذا شرك أهل الحفظ فى الحديث وافق حديثهم ، بريا من أن يكون مدلسا ، يحدث عمن لقى ما لم يسمع منه ، ويحدث عن النبى ما يحدث الثقات خلافه عن النبى» .

وقد قدم الشافعى فى «الرسالة» أدلة كثيرة على أن المسلمين قبلوا خبر الآحاد فى حياة الرسول ﷺ ، من ذلك أن أهل قباء تحولوا عن التوجه الى الشام فى الصلاة ، واستداروا الى الكعبة بخبر واحد كان عندهم من أهل الصدق ، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك بخبر واحد الا عن علم بأن الحجة تثبت بمثله اذ كان من أهل الصدق[٧٤] .

---

(٧٣) الشافعى : الرسالة : ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

— لم يرد أحاديث لأحاد سوى اسماعيل بن عليه وأبو على الجبائى من المعتزله .

يقول السيوطى : «وقد قال باشتراط رجلين عن رجلين فى شرط القبول ابراهيم بن اسماعيل بن علية وهو من الفقهاء المحدثين الا أنه مهجور القول عند الأئمة لميله الى الاعتزال» .

انظر : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص

(٧٤) راجع الرسالة للشافعى ص ٤٠٤ — ٤٥٣ .

— انظر فى حجية خبر الآحاد .

١ — ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٣ ص ٢٣١ — ٢٤٤ .

وكن أنس بن ما لك يسقى أب طلحه وأبا عبيدة بن الجراح وأبى ابن كعب شرابا من فضيخ وتمر ، فجاءهم آت ، فأخبرهم أن الخمر قد حرمت ، فأمر أبو طلحة ، فكسرت جرارها ، ولم ينظروا حتى يلقوا رسول الله ﷺ مع قربه منهم أو يأتيهم خبر عنه .

وقد فرق النبى ﷺ عمالا علـى جهات مختلفـة ليعلموا أهلها الشرائع ، فبعث قيس بن عاصم ، والزبرقان بن بدر ، وغيرهما الى عشائرهم ليفقهوهم فى الدين لأنهم عرفوا بالصدق عندهم ، فدل ذلك على أن الحجة تقوم بمثلهم على من بعثهم اليهم .

وقد قبل أبو بكر خبر (٧٥) عائشة فى كفن رسول الله ﷺ .

وانتهى عمر(٧٦) فى أمر الوباء الذى وقع بالشـام الى ما قاله عبد الرحمن بن عوف «ان عندى من هـذا علما ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا فرارا منه» ورجع بالناس .

وقبل رواية عبد الرحمن بن عوف عن النبى ﷺ فى أخذ الجزية من المجوسى ، وعمل به ، ولم يرده غير عبد الرحمن ، فقد ذكر عمر المجوسى(٧٧)، فقال ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم ، فقال له عبد الرحمن

---

(٧٥) ابن حزم : الاحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ١٢ .

(٧٦) صحيح مسـلم جـ ٤ ص ١٧٤٠ ، الشـافعى : الرسالة ص ٤٢٩ .

(٧٧) الشافعى : الرسالة ص ٤٣٠ .
راجع الموطأ جـ ١ ص ٢٦٤ .
— البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٥٠ .
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٣٠ دار الكتـاب العربى .
— ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١٦ ص ٣٦٢ ، جـ ٦ ص ١٨٦ .
— ابن تيمية : رفع الملام عن الأئمة الاعلام ص ٨ .

ابن عوف : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سنوا بهم سنة أهل الكتاب .

ومن قول عمر في غير هذه المسألة لعبد الرحمن بن عوف(٧٨) : أنت عندنا العدل الرضا ، وروى أن عمر كان يقول (٧٩) : الدية للعاقلة ، ولاترث المرأة من دية زوجها شيئا ، حتى أخبره الضحاك ابن سفيان أن رسول الله كتب اليه : أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديته فرجع اليه عمر .

وقال عمر لابنه عندما أنكر على سعد بن أبى وقاص المسح على خفين(٨٠) اذا حدثك سعد عن رسول الله ﷺ شيئا فلا تسأل عنه غيره .

وقضى عثمان(٨١) بخبر الفريعة بنت مالك عن عدتها لوفاة زوجها ، وكان قد خرج فى طلب أعبد له فقتلوه، قالت فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع الى أهلى، فان زوجى لم يترك لى مسكنا يملكه ولانفقة، فقال : «نعم» فلما كنت فى الحجرة نادانى ، فقال : «امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» قالت : «فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا : قالت : «فقضى به بعد ذلك عثمان .

---

(٧٨) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٣٠ دار الكتاب العربى .

(٧٩) الشافعى : الرسالة ص ٤٢٦ .

(٨٠) أحمد بن حنبل : المسند جـ ١ ص ١٩٢ .

(٨١) الصنعانى : سبل السلام جـ ٣ ص ١١٣٣ .
الشافعى : الرسالة ص ٤٣٨ — ٤٣٩ .

ذكر ابن عبد البر أن عمر[٨٣] قضى به أيضا بمحضر من المهاجرين والأنصار وقبل على[٨٤] خبر المقداد بن الأسود فى حكم المذى •

وانما رد عمر خبر فاطمة بنت قيس فى اســـقاط نفقتها وسكناها لمـــا طلقها زوجها ثلاثا مع أسلامها واستقامة طريقتها لأنه رأى أن ما قالته خالف القرآن ، فخشى أن تكون قد أخطأت أو نسيت •

قال أبو اسحاق[٨٥] « كنت فى المسجد الجامع مع الأسود . فقال : أتت فاطمة بنت قيس عمر بن الخطاب فقال : ماكنا لنتبع كتاب ربنا ، وسنة نبينا لقول امرأة لاتدرى أحفظت أم لا •

لقد قصد عمر من رد هذا الخبر الى تحرير الســـنة من كل وهم شابها ، «فقد[٨٦] أصبح معلوما أن خبر الواحد لايقبل فيما ينافى حكم العقل ، وحكم القرآن الثابت المحكم ، والســـنة المعـــلومة ، والفعل الجارى مجرى السنه ، وكل دليل مقطوع به •

كانت ضوابط رد خبر الواحد تقوم اذا على منافاته المنطق ، أو معارضته لمـــا ورد فى القرآن ، وما جاءت به السنة ، وقد وضحت هذه الضـــوابط فى القواعد التى استخلصها الآمدى من استقرائه لما رده

---

(٨٣) الصنعانى : سبل السلام جـ ٣ ص ١١٣٤ •

(٨٤) العسقلانى : فتح البـــارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ ص ٢٩٤ •

— صحيح مسلم : جـ ١ ص ٢٤٧ •

(٨٥) البغدادى : الكفاية فى عـــلم الرواية ص ١٠٥ ط • دار الكتاب العربى •

(٨٦) البغدادى : الكفاية فى عـــلم الرواية ص ٤٧٢ ط • دار الكتاب العربى •

المسلمون من أخبار الآحاد • قال[٨٧] «وما ردوه من الأخبار أو توقفوا فيه انما كان لأمور اقتضت ذلك من وجود معارض أو فوات شرط ؛ لا لعدم الاحتجاج بها فى جنسها مع كونهم متفقين على العمل بها ، ولهذا أجمعنا على أن ظواهر الكتاب والسنة حجة وان جاز تركها ، والتوقف فيها لأمور خارجة عنها •

وقد أضاف الشافعى الى هذه القواعد أسبابا تتصل بحال الراوى ، وعدالته ، وحفظه ، قال :[٨٨] ان خبر الواحد لايجوز الا من جهة أن يكون عنده حديث يخالفه ، أو يكون ما سمع ومن سمع منه أوثق عنده فمن حدثه خلافه ، أو يكون من حده ليس بحافظ ، أو يكون متهما عنده، أو يتهم من فوقه ممن حدثه ، أو يكون الحديث محتملا معنيين فيتأول، فيذهب الى أحدهما دون الآخر •

تحذير الرواة :

كان التحذير وبيان المسئولية التى يتحملها من يتصدون للرواية من الوسائل التى اتبعت لتوثيق الحديث ، وحمل الرواة على ألا يحدثوا الا بماهم على يقين من صحته مما سمعته آذانهم ووعته قلوبهم دون تزيد أو تنقص ، ودون وهم أو نسيان ، وقد حذر معاوية من التحديث الا بمـــا كان على عهـــد عمر بن الخطاب ، قال عامر اليحصبى[٨٩] : سمعت معاوية يقول : اياكم وأحاديث الا حديثا كان فى عهد عمر ،فان عمر كان يخيف الناس فى الله عز وجل •

---

(٨٧) الآمدى : الاحكام فى أصول الأحكام جـ ١ ص ١٧٧ •

(٨٨) الشافعى : الرسالة ص ٤٥٨ تحقيق أحمد شاكر •

(٨٩) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٢٧ •

روى الوليد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال[٩٠] : من صلى على جنازة فله قيراط ، ومن صلى عليها وتبعها فله قيراطان ، فقال عبد الله بن عمر : انظر ما تحدث ، فانك تكثر الحديث عن النبى ﷺ ، فأخذه بيده فذهب به الى عائشة فسألها عن ذلك فقالت : صدق أبو هريرة ، ثم قال : يا أبا عبد الرحمن انه والله ما كان يشغلنى عن رسول الله ﷺ الصفق فى الأسواق انما كان يهمنى كلمة من رسول الله ﷺ يعلمنيها أو لقمة يطعمنيها .

قال أبو امامة الباهلى[٩١] : سمعت عمرو بن عبسه يقول : قلت يارسول الله : كيف الوضوء . قال : أما الوضوء فانك اذا توضأت فغسلت كفيك فأنقيتهما خرجت خطاياك من بين أظفارك وأناملك . فاذا مضمضت واستنشقت منخريك : وغسلت وجهك ويديك الى المرفقين ومسحت رأسك، وغسلت رجليك الى الكعبين. اغتسلت من عام خطاياك . فان أنت وضعت وجهك لله عز وجل خرجت من خطاياك كيوم ولدتك أمك ، قال أبو أمامه فقلت يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول . أكل هذا يعطى فى مجلس واحد ، فقال أما والله ، لقد كبرت سنى ، ودنا أجلى ، وما بى من فقر فأكذب على رسول الله ﷺ ، ولقد سمعته أذناى ، ووعاه قلبى من رسول الله ﷺ .

وعن شرحبيل بن السمط عن عمرو بن عبسة ، قال[٩٢] : قلت يا عمرو بن عبسة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه

---

(٩٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٤ ص ٣٣٢ ط . دار صادر .
(٩١) النسائى : سنن النسائى : جـ ١ كتاب الطهارة جـ ١ ص ٩١ ص ٩٢ .
(٩٢) النسائى : سنن النسائى جـ٦ كتاب الجهاد ص ٢٧ ، ٢٨ .

نسيان ولا تنقص ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من رمى بسهم فى سبيل الله فبلغ العدو أخطأ أو أصاب كان له كعدل رقبه ، ومن اعتق رقبة مسلمة كان فداء كل عضوء منه عضوا منه من نار جهنم ؛ ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة •

وعن شرحبيل بن السمط قال لكعب بن مرة [٩٣] : يا كعب حدثنا عن رسول الله ﷺ واحذر ، قال : سمعته يقول : من شـــاب شيبة فى الاسلام فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة •

وكان من يسمع حديثا ، وبداخله شك فى شيء فيه يرجع الى رواية يستبرىء ليقطع دابر الكذابين والوضاعين •

قال عبد الله [٩٤] مولى أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه أرسلتنى أسماء الى عبد الله بن عمر فقالت : بلغنى أنك تحرم أشياء ثلاثة : العلم فى الثوب، وميثر الأرجوان «الميثرة بالكسر لبدة الفرس» وصوم رجب كله ، فأنكر ابن عمر أن يكون حرم شيئا من ذلك وهكذا لم تشأ أسماء حين حدثها بالكذب من شغل بالها حديثه عن ابن عمر أن تسكت عليه ، وانما أبت الا أن تستبرئه فتعرف الحقيقة ، وقد صح كذب ذلك المخبر ، أوجبوا الا يقبل الحـــديث الا من عرف اســـمه وعرفت عدالته وحفظه •

وكانت الرغبة فى التثبت من الحديث ، والمحافظة على نصه ، تفرض على القوم أن يتجهوا به الى الثقات ،ويعرضو ا عليهم ما عساه يكون قد اشتبه عليهم ، ويقفوا منهم على أسباب ورود الحديث وغيره مما

---

(٩٣) النسائى : سنن النسائى ج٦ كتاب الجهاد ص ٢٧ •

(٩٤) ابن حزم : الاحكم فى أصول الأحكام ج ١ ص ١٣٥ •

يكون له أثر فى بيان مقصده ومعرفة معناه . وكان هؤلاء لا ينو نون فى ذكر ما يصحح الحـديث ويوثقه ذكر لعائشـة أن عبد الله بن عمر يقول[٩٥] : ان الميت ليعذب ببكاء الحى عليه ، قالت عائشة : يغفر الله لأبى عبد الرحمن ، أما أنه لم يكذب . ولكنه نسى أو أخطأ . انما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكى عليها ، فقال : انهم يبكون عليها ، وانها لتعذب .

وقال شرح[٩٦] : أتيت عائشـة ، فقلت ياأم المـؤمنين . سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاءالله كره الله لقاءه ، ولكن ليس منا أحد الا وهو يكره الموت ، قالت ، قد قاله رسول الله ﷺ ، وليس بالذى تذهب اليه ، ولكن اذا طمح البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

وقد عرض الزركشى لموقف عائشة فقال[٩٧] : « واعلم أن تعذيب الميت ببكاء أهله عليه رواه عن النبى ﷺ جماعة من الصحابة منهم عمر وابن عمر ، وأنكرته عليهمـا عائشة ، وحـديثها موافق لظاهـر القرآن ، وهو قوله سبحانه «ولاتزر وازرة وزر أخـرى ، وموافق للأحاديث الاخر فى بكاء النبى ﷺ على جماعة من الموتى واقراره على

---

(٩٥) النسائى : السنن : جـ٤ كتاب الجنائز ص ١٧ . ١٨ .
— راجع صحيح البخارى جـ٣ ص ٤٠٢ .
وصحيح مسلم جـ ٦ ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .
وسنن الترمذى جـ ٤ ص ٢٢٦ — ٢٢٢ .
(٩٦) النسائى : السنن : جـ ٤ كتاب الجنائز ص ١٠ .
(٩٧) الزركشى : الاجـابة فيمـا استدركته السيدة عائشة على الصحابة ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

البكاء عليهم ، وكان ﷺ رحمة للعالمين . فمحال أن يفعل مايكون سببا لعذابهم ، أو يقر عليه ، وهذا مرجح آخر لرواية عائشة ، وعائشة جزمت بالوهم .

ومن هذا الموقف يبدو لنا أن الصحابة كانوا يعرضون للجرح والتعديل بقصد التصويب واصلاح الخطأ ، وتدرى الدقة فى التثبت وأنت ترى أن الجرح يرجع الى النسيان والخطأ ، وربما يرجع الى وهم وهمه الصحابى أو لأنه لم يسمع الحديث أو لم يسمع بنسخه .

وروى النسائى[98] بسنده عن ابن محيريز أن رجلا من بنى كنانة يدعى المخدجى سمع رجلا بالشام يكنى أبا محمد يقول : الوتر واجب ، قال المخدجى فرحت الى عبادة بن الصامت فاعترضت له وهو رائح الى المسجد ، فأخبرته بالذى قال أبو محمد ، فقال عبادة : كذب أبو محمد سمعت رسول الله ﷺ يقول : خمس صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة .

شروط الراوى :

كان من مظاهر عناية المسلمين بالحديث أنهم اشترطوا فى الراوى الذى أجازوا التلقى عنه ، والاستماع اليه ، والاحتجاج بروايته أن تتوفر فيه صفات تقتضى قبول روايته ، وفى مقدمة تلك الصفات أن يكون عدلا ضابطا سالما من الجرح .

ومرادهم بالعدل[99] أن يكون مسلما بالغا ، عاقلا ، سليما من أسباب الفسق ، وخوارم المروءة .

---

(٩٨) النسائى : السنن جـ١ كتاب الصلاة ص ٢٣٠ .
(٩٩) النواوى : التقريب ص ١٩٧ .

والمراد بالسلامة من الفسق[١٠٠] ألا يكون مرتكبا لكبيرة ـ مصر على الصغيرة واشترطوا منه[١٠١] ألا يدعو الى بدعة ، ولا يعلن من أنواع المعاصى ما تسقط به عدالته •

وقالوا [١٠٢] : ان من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلهم ، فهو من كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته» •

وقالوا[١٠٣] : يتصف العدل بخمس خصال ، يشهد الجماعة ؛ ولا يشهد هذا الشراب ، ولا يكون فى دينه خربة ، ولا يكذب ، ولا يكون فى عقله شىء •

وتثبت عدالة الراوى[١٠٤] باشتهاره بالخير والثناء الجميل عليه ، كما تثبت [١٠٥] بتنصيص عدلين عليها أو بالاستفاضة ، فمن اشتهرت

---

(١٠٠) التهانوى : قواعد فى علوم الحديث ص ١٩٨ •

(١٠١) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٥٣ •

(١٠٢) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٠٠ ط • دار الكتاب العربى •

(١٠٣) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، ص ١٠١ ط • دار الكتاب العربى •

(١٠٤) ابن كثير : الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث ص ٣٨ ط • دار التراث العربى •

(١٠٥) ابن الصلاح المقدمة : تحقيق الدكتوره عائشة عبد الرحمن ص ٢١٨ •
— راجع النواوى : التقريب ص ١٩٨ ، ١٩٩ •
السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ١٩٨ — ١٩٩ •

عدالته بين أهل النقل أو نحوهم من أهل العلم ، وشاع الثناء عليه بالثقة والأمانة ، استغنى فيه بذلك عن بينة شاهدة بعدالته تنصيصا .

وملاك الأمر أن العدالة قوامها سلامة الدين ، وحسن الخلق والصدق فى الحديث ، والأمانة فى الأداء ، فعلى الراوى أن يؤدى ما سمع بدقة ، فيتحرى المعنى ، ويدقق فى اللفظ دون زيادة ، ودون نقصان .

وقد اعتبرت رواية الحديث شهادة على الله ، فأجروا عليها حكم الشهادة على الخلق ولئن كانوا قد اشترطوا[١٠٦] فى الشاهد على الناس العدالة فهم فى أمر الراوى أولى بأن يكونوا أكثر تشددا يقول ابن دقيق العيد[١٠٧] : «ومدار الصحيح بمقتضى أصول الفقهاء والأصوليين على عدالة الراوى العدالة المشترطة فى قبول الشهادة على ماقرر فى الفقه .

ويجب اللفت هنا الى أن أقوال الصحابة فى بعضهم لا تحمل على

---

(١٠٦) شهد رجل عند عمر بن الخطاب بشهادة فقال له :
لست أعرفك ، ولا يضرك أن لا أعرفك ، ائت بمن يعرفك ، فقال ، رجل من القوم : أنا أعرفه ، قال : فبأى شىء تعرفه ؟ قال : بالأمانة والعدل ، قال فهو جارك الأدنى الذى تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه ؟ قال : لا قال : فمعاملك بالدينار والدرهم اللذين يستدل بهما على الورع ؟ قال : لا ، قال : فرفيقك فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ، قال : لا ، قال : لست تعرفه ، ولا يضرك ألا تعرفه ، ثم قال للرجل ائت بمن يعرفك» .

البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٨٤ ط . الهند .

(١٠٧) ابن دقيق العيد : الاقتراح فى بيان الاصطلاح ص ١٥٢ .

الجرح . فالناس لم يكونوا[108] يكذبون يومئذ ، وانما مـردها الى الخطأ والنسيان وعدم الاحتياط قال عمران بن حصين[109] «والله ان كنت لأرى أنى لو شئت لحدثت عن رسول الله ﷺ يومين متتابعين ، ولكن بطأنى عن ذلك أن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ سمعوا لما سمعت وشهدا كما شهدت ، ويحدثون أحاديث ما هى كما يقولون وأخاف أن يشبه لى كما شبه لهم .

ويعقب ابن قتيبة على ذلك بقوله : فأعلمك أنهم كانوا يغلطون لا أنهم كانوا يتعمدون » .

وعن حمران[110] مولى عثمان قال : أتيت عثمان بن عفان بوضوء ، فتوضأ ثم قال : ان ناسا يتحـدثون عن رســول الله ﷺ أحاديث لا أدرى ما هى الا أنى رأيت رسول الله ﷺ توضــأ مثل وضوئى هذا ، ثم قال : من توضأ هكذا غفر له ماتقدم من ذنبه .

ثم انه ليس لاحد حق أن يقيم الموازين ، ويتعلق بما قاله بعض الصحابة فى بعضهم ويتخذ منه سندا لتدريمهم والمثيل من عدالتهم .

يقول ابن عبد البر[111] وقد كان بين أصحاب رسول الله ﷺ ،

---

(١٠٨) العبارة من حديث للبراء من عازب أنظر المحدث الفاصل للرامهرمزى ص ٢٣٥ .

(١٠٩) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٤٩ .

(١١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ١١٣ .

(١١١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٩٠ .

وجلة العلماء عند الغضب كلام هو أكثر من هذا ، ولكن أهل الفهم والعلم والميز لا يلتفتون الى ذلك لأنهم بشر يغضبون ويرضون ، والقول فى الرضا غير القول فى الغضب .

وأما عن الضبط ، فالمراد به التيقظ والحفظ والاتقان ، وأن يكون[112] حفظ الراوى لما يسمعه أرجح من عدم حفظه ، وذكره له أرجح من سهوه ، فلا يضره طروء النسيان والسهو والوهم أحيانا فان هذا لايخلو منه أحد .

ويقول ابن الصلاح[113] : يعرف كون الراوى ضابطا بأن تعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان ، فان وجدنا رواياته موافقة ، ولو من حيث المعنى لرواياتهم ، أو موافقة لها فى الأغلب ، والمخالفة نادرة ، عرفنا حينئذ كونه ضابطا ثبتا ، وان وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم يحتج بحديثه .

ويثبت ضبط الراوى [114] اذا كان متيقظا غير مغفل ، حافظا ان حدث من حفظه ، فاهما ان حدث على المعنى .

وكان التعامل مع الراوى واختبار حاله ، وتتبع أفعاله سبل القوم للحكم على توفر هذه الشرائط .

---

(١١٢) التهانوى : قواعد فى علوم الحديث ص .
— الآمدى : الاحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ١٠٦ ط . دار المعارف سنة ١٣٣٢ هـ .

(١١٣) ابن الصلاح : المقدمة ، تحقيق الدكتوره عائشة عبد الرحمن ٢١٩ — ٢٢٠ .
— النواوى : التقريب ص ٣٠١ .
— السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣٠١ .

(١١٤) ابن كثير : الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث ص ٣٨ ط . دار التراث العربى .

يقول البغدادى[115] : «ولا نعلم الصحابة قبلوا خبر أحد الا بعد أختبار حاله ، والعلم بسداده ، واستقامة مذهبه ،ومعرفة طرائقه .

وكان التابعون يتشددون فى قبول الحديث فكان ابن سيرين[116] وابراهيم النخعى ، وغير واحد من التابعين يذهبون الى أن لا يتقبلوا الحديث الا عمن عرف وحفظ ، وما رأيت أحدا من أهل العلم بالحديث يخالف هذا المذهب .

قال ابن سيرين[117] : ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم .

وأخرج النسائى بسنده[118] أن عمر بن عبد العزيز أخر العصر شيئا ، فقال له عروة أما ان جبريل عليه السلام قد نزل فصلى امام رسول الله ﷺ ، فقال عمر ، اعلم ماتقول ياعروة ، وفى رواية[119] : أعلم ماتحدث به ياعروة ، فقال : سمعت بشير بن مسعود يقول : سمعت أبا مسعود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزل جبريل

---

(١١٥) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٠٥ ط . دار الكتاب العربى .

(١١٦) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٦١ دار الكتاب العربى .

(١١٧) مسلم : مقدمة الصحيح : جـ ١ ص ٨٤ .

ـــ البغداد : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : محفوظ ص ١٧ .

(١١٨) النسائى : السنن جـ١ كتاب المواقيت ص ٢٤٥ .

ـــ البخارى : الصحيح جـ ٤ كتاب بدء الخلق ص ١٣٧ ط . الشعب .

(١١٩) مالك : الموطأ بشرح السيوطى جـ ١ ص ١٨ .

فأمنى ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات •

ومقصود عروة [١٢٠] أن أمر الأوقات عظيم قد نــزل لتحديدها جبريل ، فعلمها النبى ﷺ بالفعل ، فلا ينبغى التقصير فى مثله •

وأما مقصد عمر من قوله : «أعلم ماتقول ياعروة» فهو أمر من العلم أى كن حافظا ، ضابطا له ، ولا تقله عن غفلة •

ومدار الأمر فى هذا الموقف عند البغدادى أن عروة بن الزبير[١٢١] لما أنكر على عمر بن عبد العزيز تأخير الصلاة ، وأرسل له خبر أبى مسعود الأنصارى عن النبى ﷺ فى صلاة جبريل استثبته عمر بن عبد العزيز لحاجته الى اســتعمال الخبر ، وقــال له : أعلم ماتقول ياعروة ، فأبان له اسناده ليقطع بذلك عذره ، وكان ابتداء عمر بالخبر على سبيل المذاكرة والتنبيه ليسأل عمر عنه ، فلما احتج الى استعماله استثبته عمر فيه فأسنده له •

وقد تجنبوا السماع من أهل الأهواء والبدع ، وممن لا يعرف أحكام الرواية • وان كان مشهودا بالصلاح والعبادة ، كذلك كرهوا السماع من الضعفاء ، وفمن عرف بالفسق ، ويثبت فسقه [١٢٢] بأن

---

(١٢٠) راجع حاشــية السندى على ســنن النسائى جـ ١ كتاب المواقيت ص ٢٤٥ وانظر الســيوطى : تنوير الحــوالك جـ ١ ص ١٨ •

(١٢١) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٣٥ دار الكتاب العربى •

(٢٢) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع مخطوط ص ١٧ •

يعرف عنه وضع متون الأحاديث على رسـول الله ﷺ ؛ أو أسانيد المتـون .

وقسم المحدثون الرواة الى طبقات تصحح عليها أقدارهم عنـد الرواية عنهم ؛ والحكم على مروياتهم وكان لهم فى ذلك نظر ثاقب ، فجعلوا أول (١٢٣) الصحابة من أسلموا بمكة ، يليهم أصحاب الندوة ، فالمهاجرة الى الحبشة ؛ ثم أصحاب العقبة الأولى والثانية ، ثم أول المهاجرين الذين وصلوا الى رسول الله وهو بقباء . ثم(١٢٤) أهل بدر . كذلك صنفوا التابعين الى طبقات(١٢٥) . فمن الطبقة الأولى سعيد بن المسيب ، وقيس بن أبى حازم ، ومن الطبقة الثانية الأسود بن يزيد ، وعلقمة بن قيس ، ومسروق بن الأجدع ، والطبقة الثالثة من التابعين ، عامر بن شرحبيل الشعبى وشريح بن الحـارث ، وهم خمس عشرة طبقة ، ثم ذكروا أتباع التابعين ففيهم(١٢٦) جماعة من أئمة المسلمين ، وفقهاء الأمصار مثل مالك بن أنس ، وعبد الرحمن بن عمرو الأوذاعى ، وسفيان بن سعيد الثورى ، وشعبة بن الحجاج ، ويعد فى هؤلاء جماعة من تلاميـذ هؤلاء الأئمة مثل يحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن المبـارك .

وقد جنبتهم معرفتهم بالصحابة والتابعين والخالفين أن يخلطوا بينهم فيما يروونه عن الرسول ﷺ .

---

(١٢٣) أنظر الحاكم النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٢٢ .
(١٢٤) انظر بقية المراتب : الحاكم النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٢٣ ، ٢٤ .
(١٢٥) الحاكم النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٤٣ .
(١٢٦) الحاكم النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٤٦ .

ولئن عدوا الصحبة أولى مراتب التعديل ، فان ذلك باعتبار[١٢٧] النظر الى العدالة ، أما بالنظر الى الضبط والحفظ فلا مدخل للصحبة فيه فقد استفاض أن بعض الصحابة أفضل من بعض ، وأن بعضهم نسى ، وقد يكون غير الصحابى أحفظ من الصحابى .

التمييز بين الرواة وبيان مراتبهم :

اعتمد المسلمون على النقـــل والرواية فيما اعتمدوا عليه فى نقل الحديث لذلك اتجهت عنايتهم الى معــرفة الرواة ، والوقـــوف على أحوالهم : فميزوا[١٢٨] بين عدول الناقلة وثقاتهم ، وأهل الحفظ والثبت والاتقان منهم وبين أهل الغفلة والوهم ، وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة .

كذلك تحروا مذهب الراوى ، فمن كان على مذهب مبتدع ، أنكروا حديثه ، فلم يرووا عن[١٢٩] أبى شيبة القاضى لأنه رجل مذموم فى مذهبه ، وحذروا[١٣٠] من الجلوس الى المرجئة .

وقد نشأن عن ذلك علم الرجال ، أو علم الجرح والتعديل ، يقول الحاكم وهو يعرض لأنواع الحديث[١٣١] : «ان من هذا العلم معرفة صدق المحدث ، واتقانه : وثبته وصحة أصوله ، وما يحتمله سنه ،

---

(١٢٧) راجع تعليق عبد الفتاح أبو عدة على قـــواعد فى علوم الحديث للتهانونى ص ٢٤٢ .

(١٢٨) ابن أبى حاكم : الجرح والتعديل جـ ١ ص ٥ .

(١٢٩) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٣٦ .

(١٣٠) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٣٦ — ١٣٩ .

(١٣١) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٤ .

ورحلته من الأسانيد وغير ذلك من غفلته وتهاونه بنفسه وعلمه وأصوله»
وهما[١٣٢] فى الأصل نوعان ، كل نوع منهما علم برأسه ، غير ان حاجى خليفة يعتبرهما علما واحدا ، ويعرفه بقوله[١٣٣] «هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة ، وعن مراتب تلك الألفاظ» .

وقد أوضح ابن الصلاح الغاية من الجرح والتعديل ، وبين الواجب على من يقول فيهما . قال[١٣٤] : «الكلام فى الرجال جرحا وتعديلا متقدم ثابت عن رسول الله (ﷺ) ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وجوز ذلك صونا للشريعة ، ونضبا للخطأ والكذب عنها ، وكما جاز الجرح فى الشهود جاز فى الرواة ... ثم ان على الآخذ فى ذلك أن يتقى الله تبارك وتعالى ، ويتثبت ، ويتوقى التساهل كيلا يجرح سليما ، ويسم بريئا بسمعة سوء يبقى عليه الدهر عارها .

وقد دفعهم ذلك الى وضع معايير يستهدون بها فى معرفة الثقات والضعفاء من رواة الحديث . وقد تمثلت هذه المعايير فى مجموعة من الضوابط تفترق فيما بينها الى فروق دقيقة ، غير أننا يجب أن ننبه الى أنهم فيما أصدروا من أحكام قد اصطنعوا ألفاظا تخصصت دلالاتها بينهم . وتحددت مقاصدها فى مجال درس الحديث ونقده .

---

(١٣٢) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٥٢ .
(١٣٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٥٨٢ مكتبة المثنى ــ بغداد .
(١٣٤) مقدمة ابن الصلاح : تحقيق الدكتوره عائشه عبد الرحمن ص ٥٨٩ .

وقد قسم يحيى بن معين [١٣٥] مراتب الرواة الى ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : مرتبة الثقات الذين يحتج بحديثهم ، وتقبل روايتهم، ويعمل بها ؛ وهى أعلى المراتب ، ومن العبارات التى ترد فيها ثبت ، ثقة ، ليس به بأس ، صدوق •

المرتبة الثانية : من تقبل روايتهم على ضعف فيهم ، فيكتب حديثهم ، ولا يحتج به ، ولكن ينظر ويعتبر •

ومن العبارات التى ترد فيها : ثقة ، ليس بحجه ، صدوق ليس بحجه ليس يحتج بحديثه ، صالح الحديث ، ليس بالقوى ولكنه يكتب ، شيخ ، ضعيف •

المرتبة الثالثة : من يرد حديثهم ولا يكتب ، وهؤلاء ممن عرفوا بالكذب تخرصا وعمدا ، أو توهما وغفلة ، فيترك حديثهم •

ومن العبارات التى ترد فيها : ليس بشىء ، ليس بثقة ، لايكتب عنه متروك الحديث ، كذاب — ليس بثقة ، يسرق الحديث — يضع للحديث •

فالمراتب عند يحيى بن معين ثلاث : مرتبتان للتعديل ، ومرتبة للتجريح ؛ وقيل ليحيى بن معين : انك تقول [١٣٦] : فلان ليس به بأس «وفلان» ضعيف قال : اذا قلت لك : ليس به بأس فهو ثقة ، واذا قلت لك هو «ضعيف» فليس هو بثقة ، لايكتب حديثه •

---

(١٣٥) انظر مراتب الرواة عند يحيى بن معين عند الدكتور أحمد محمد نور يوسف : يحيى بن معين وكتابه التاريخ ص ٩٠ — ٩٢ •

(١٣٦) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٣٩ تحقيق الدكتور أحمد هاشم •

فأرفع مراتب التعديل عند السخاوى توفى ٩٠٢ هـ أتى بصيغة افعل كأن يقال [١٣٧] : أوثق الخلق ، وأثبت الناس. فمثل قول هشام بن حسان[١٣٨] : حدثنى أصدق من أدركت من البشر محمد بن سيرين لما تدل عليه هذه الصيغة من الزيادة ، ثم يلى ذلك : فلان لا يسأل عن مثله ، ونحو ذلك ، ويليهما تكرر فيه الوصف مع تباين الألفاظ «كثقة ثبت» أو «ثبت حجة ، كقول ابن سعد فى شعبة[١٣٩] ثقة مأمون ، ثبت حجة ، صاحب حديث ثم ما تكرر فيه الوصف مع اتفاق الألفاظ «كثقة ثقة ، أو ثبت ثبت» من ذلك قول ابن عيينه [١٤٠] : حدثنا عمرو ابن دينار وكان ثقة ثقة تسع مرات ، وكأنه سكت لانقطاع نفسه ، ثم يلى ذلك ثقة أو ثبت ، ومن هذه المرتبة قولهم حافظ أو ضابط ، ويليها قولهم «ليس به بأس» أو لا بأس به ، أو صدوق ، ثم يجىء قولهم محله الصدق ، أو روى الناس عنه أو هو مقارب الحديث .

وأسوأ مراتب التجريح [١٤١] الوصف بما دل على المبالغة فيه :

— مثل أكذب الناس .

---

(١٣٧) السخاوى : فتح المغيث جـ ١ ص ٣٦٢ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ ط . دار الكتب العلمية .

(١٣٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦٢ .

(١٣٩) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦٣ .

(١٤٠) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦٣ .

— راجع مراتب التعديل فى ألفية الحديث للعراقى .
انظر : السخاوى : فتح المغيث شرح ألفيه الحديث العراقى جـ ١ ص ٣٦١ .

(١٤١) راجع فى مراتب التجريح : ألفية الحديث للعراقى : انظر السخاوى : فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى جـ ١ ص ٣٦٩ .

ـ ثم يليها كذاب أو يضع الحديث على رســول الله ﷺ ؛ أو يكذب أو وضاع ، وكذا دجال .

ـ ويليها فلان[١٤٢] «يسرق الحديث » ، وفلان «متهم بالكذب» أو بالوضع ، وفلان «ساقط ، وفلان «ذاهب» أو «ذاهب الحديث» ؛ وفلان «متروك» أو «متروك الحديث» .

قال ابن مهدى [١٤٣] : سئل شعبة : من الذى يترك حديثه ؟ قال : من يتهم بالكذب ، ومن يكثر الغلط ،ومن يخطىء فى حديث يجمع عليه فلا يتهم نفسه ، ويقيم على غلطه ، ورجل روى عن المعروفين مالا يعرفه المعروفون ، ومن هذه المرتبة فلان «لايعتبر بحــديثه» وفلان «ليس بالثقة» .

ـ ويليها فلان «مردود الحديث» وكذلك فلان « ضعيف جدا» وفلان «مطرح الحديث» ، وفلان «لا يكتب حديثه» ثم فلان «ليس بشىء » .

ـ ويليها فلان «ضعيف» وفلان «منكر الحديث » وفلان «لايحتج بـــه » .

ـ ويليها فلان «فيه مقال» ، وفلان «فى حديثه ضعف» وفلان «ليس بذاك القوى» ، وفلان «ليس بحجه» .

وقد ذكر السخاوى[١٤٤] أنه لايحتج بواحــد من أهل المــراتب الأربع ، ولا يستشهد به ، ولا يعتبر به ، وما عداها فان حديثه يخرج

---

(١٤٢) سرقة الحديث أن يكون الحديث عرف براو فيضيفه لراو غيره ممن شاركه فى طبقته .

(١٤٣) انظر السخاوى : فتح المغيث جـ ١ ص ٣٧٠ .

(١٤٤) فتح المغيث جـ ١ ص ٣٧٢ .

للاعتبار ، وقد جعل أبو حاتم[١٤٥] صيغ التجريح ستا أيضا وهى : كذاب ، ذاهب ، متروك ، ضعيف الحديث ، ليس بقوى ، لين الحديث .

ومن يتمعن هذه المصطلحات يجد أنها لا تخلو [١٤٦] من دقة وضبط لتحديد مستوى الراوى ودرجته فى العداله ، غير أنها مع ذلك لا تصل الى الدقة التى يجب أن تتوفر فى المصطلح بعامة ، وقد أحس القدماء بهذا الأمر ، ولمسوا الصعوبة البالغة فى ضبط تلك المراتب ، وتحديد دلالات هذه الألفاظ ، فقـــد أورد ابن كثير ماذكـــره البغدادى من أن أعلى[١٤٧] العبارات فى التعديل والتجريح أن يقال «حجة» أو «ثقة» وأدناها أن يقال «كذاب» ثم عقب على ذلك بقوله « وبين ذلك أمور كثيرةيعسر ضبطها » .

ثم ان علماء الحديث لم يجمعوا على مفهوم موحد لكل مصطلح ، وانما كان كل منهم يصدر فى حكمه عن ذاتية مطلقة لا يحكمها الا ما عليه الموقف ، ويفرضه الحال وقد أدى ذلك الى مانراه من تداخل بينها ، وتغاير بين القوم فى الوقوف على معناها ، ولذلك علينا ألا نعجل فى معرفة مقاصدها ، والا نقتطعها من السياق الذى وردت فيه ، والواجب

---

(١٤٥) انظر : السخاوى : فتح المغيث جـ ١ ص ٣٧٣ .

(١٤٦) أبو لبابة حسين : الجرح والتعديل ص ٩٩ الطبة الثانية سنة ١٩٨٣ .

(١٤٧) ابن كثير : الباعث الحديث فى اختصـــار علوم الحديث ص ٤٣ ط . دار التراث العربى للطباعة .

— راجع البغدادى : الكفاية فى علم الرواية تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٣٨ .

راجع فى مراتب الرواة وألفاظ الجرح والتعديل .

— ابن حجر : تقريب التهذيب ص ٤ .

— التهانوى : قواعد فى علوم الحديث ص ٢٤٢ — ٢٦٣ .

يفرض أن نردها الى موقفها ، ونفهمها من خلاله اذ أن الاعتبار الذى وردت فيه ، ربما كان أصــلح مقياس لتحديد مــرادها ؛ كذلك فان الواقف[١٤٨] على عبارات القوم يفهم مقاصدهم بما عرف من عباراتهم فى غالب الأحوال ، وبقرائن ترشد الى ذلك .

يقول السخاوى [١٤٩] : « وما ينبه عليه أن ينبغى أن نتأمل أقوال المزكين ومخارجها ، فقد يقولون : فلان ثقة أو ضعيف ، ولا يريدون به أنه ممن يحتج بحديثه ، ولا ممن يرد ، وانما ذلك بالنسبة لمن قرن معه على وفق ماوجه الى القائل من السؤال كأن يسأل عن الفاضــل المتوسط فى حديثه ، ويقرن بالضعفاء ، فيقال : ما تقول فى فلان وفلان ، فيقول : فلان ثقة يريد أنه ليس من نمط من قرن به ، فاذا سئل عنه بمفرده بين حاله .

وقد حدد الذهبى المصطلحات التى أجمع العلماء عليها ، وكانت دلالاتها عندهم سواء ، ثم بين ما اختلفوا فيه منها ، قال[١٥٠] : «ان قولهم ثبت وحجة وامام وثقة ، ومتقن من عبارات التعديل التى لا نزاع فيها ؛ وأما صدوق وما بعده (أى : مأمون ، وخيار ؛ ومحله الصدق ، ورووا عنه ، وشيخ ، وصــالح الحديث ، ومقــارب الحديث ، وجيد الحديث) فمختلف فيها بين الحفاظ هل هى توثيق أو تليين ، وبــكل حــال فهى متحفظه عن كمــال رتبة التــوثيق ا ومرتفعــه عن رتبة التجريح » .

---

(١٤٨) ابن كثير : البــاعث الحثيث فى اختصــار علوم الحديث ص ٤٧ .

(١٤٩) السخاوى : فتح المغيث جـ ١ ص ٣٧٤ .

(١٥٠) السخاوى : فتح المغيث جـ ١ ص ٣٦٧ .

لذلك فان مانهجه العراقى فى الفية الحديث : وفى شرح السخاوى لها ما يقتضى[151] أن الوصف بثقة أرفع من ليس به بأس ، غير أن بن معين سوى بينهما فقد سأله أحمد بن أبى خيثمة [152] : انك تقول : فلان «ليس به بأس» وفلان «ضعيف» قال : اذا قلت لك «ليس به بأس» فهو ثقة ، واذا قلت لك هو ضعيف فليس هو بثقة ، لايكتب حديثه .

وقال أبو زرعه الدمشقي[153] : قلت لعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم : ما تقول فى على بن حوشب الفزارى ، قال لا بأس به ، قال : فقلت ، ولم لا تقول ثقة : ولا نعلم الاخيرا ، قال : قد قلت لك انه ثقـــة .

ومن أجل استقامة الأحكام . والبعد بها عما يؤثر فيها ، أو ينال منها ، اتخذوا بعض القواعد التى تضمن لهم السلامة فى الرأى فمن ثبتت عدالته وغلبت طاعته لا يقبل الجرح فى حقه الا بقرينة قاطعة بـــذلك .

يقول أحمد بن حنبل[154] كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه .

وقال الطبرى[155] : لو كان كل من ادعى عليه مذهب من المذاهب

---

(١٥١) السخاوى : فتح المغيث جا ص ٣٦٧ .

(١٥٢) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية دار الكتاب العربى .
— ابن كثير : البـــاعث الحثيث فى اختصار عـــلوم الحديث ص ٤٦ دار التراث العربى .

(١٥٣) السخاوى : فتح المغيث جـ ١ ص ٣٦٧ .

(١٥٤) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٢٧٣ حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥ .

(١٥٥) ان حجر العسقلانى : هدى الســـرى الى فتح البارى المنيرية سنة ١٣٤٧ هـ .

الرديئة ثبت عليه ما ادعى عليه ، وسقطت عدالته ، وبطلت شهادته بذلك للزم ترك أكثر مجرئى الأحصار لأنه ما منهم — أحد — الا وقد نسه قوم الى مارغب به عنه ؛ ومن ثبتت عدالته لم يقبل فيه الجرح ، وما تسقط العدالة بالظن •

وقال أبو عمر[١٥٦] : الصحيح فى هذا الباب أن من صحت عدالته وثبتت فى العلم أمانته ، وبانت ثقته وعانيته بالعلم لم يلتفت فيه الى قول أحد الا أن يأتى فى جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات •

وقال تاج الدين السبكى[١٥٧] : ان من ثبتت امامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه ، وندر جارحوه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أو غيره فانا لا نلتفت الى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة •

وخلاصة هذه الأقوال :

— أن التعديل سبق الجرح عند نقاد الحديث •

— أن من ثبتت لهم العدالة وعرفوا بها ، وامتدحهم الناس لصفاتها لايقبل تجريحهم الا بشواهد قاطعة على التجريح ، ودلائل عادلة يصح بها الجرح •

---

(١٥٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٨٦ مطبعة العاصم •

(١٥٧) السبكى : قاعدة فى الجرح والتعديل مطباع دار الشعب بالقاهرة •

ـب أن الجرح لايقبل فيمن ثبتت عدالته الا بدلائل تفسره ، وتشهد له وتقوم عليه •

ـ حين يكون الجارح مبرءا مما يوجب سقوط قول الجارح أو كان المجروح قد ثبت جرحه ، وعرف بالضعف والترك ؛ فلا موجب لمطالبته الجارح بالتفسير •

هذا وقد قدم العلماء الجرح[١٥٨] ان كان عدد الجارح أكثر من المعدل اجماعا وكذا تساويا أو كان الجارح أقل •

---

(١٥٨) تاج الدين السبكى : قاعدة فى الجرح والتعديل ص ٥٨ •

الفصل الثاني

ضوابط التوثيق

تعضيد الحديث بالقرآن

اتجه المسلمون منذ وقت مبكر الى تعضيد الحديث بالقرآن ، فكان أبو سعيد الخدرى ، وهو يروى حديث «اخراج عصـاة المؤمنين من النار» يقول[1]: «ان لم يصدقونى بهذا الحديث ، فاقرأوا ان شئتم[2] «ان الله لايظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجرا عظيما» •

وكان المغيرة بن شعبه وهو يحدث الناس[3] عن سؤال موسى عن أعلى أهل الجنة منزلة ، وأنهم « أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدى ، وختمت عليها ، فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قرب بشر» يقول : ومصداقه فى كتاب الله عز وجل[4] «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون» •

وكان مقصد القوم من ذلك أن يدللوا[5] على صحة الحديث وسلامته ببيان تصديق القرآن لما ورد فيه •

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال[6] «ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله» ، غير أن الشافعى عرض لهذه الرواية ، وقال فى شأنها[7] :

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ كتاب الايمان ص ٣٢ •
(٢) سورة النساء : آية ٤٠ •
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ كتاب الايمان ص ٤٦ •
(٤) سورة السجدة : آية ١٧ •
(٥) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٣ ص ٤٦ •
(٦) الشافعى : الرسالة ص ٢٢٤ •
(٧) الشافعى : الرسالة ص ٤٢٥ •

«ماروى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء صغر ولاكبر ، وهذه أيضا رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية فى شىء .

وقال ابن حزم [8] فى الحسين بن عبد الله أحد رواة هذا الحديث من بعض الطرق «الحسين بن عبد الله ساقط متهم بالزندقة» .

وقال عبد الرحمن بن مهدى [9] : الزنادقة والخوارج ، وضعوا ذلك الحديث ، وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه .

وقد قال بهذا الرأى من المحدثين أحمد محمد شاكر[10] فقرر أن «هذا المعنى لم يرد فيه حديث صحيح ، ولا حسن ، بل وردت فيه ألفاظ كثيره ، كلها موضوع أو بالغ الغاية فى الضعف حتى لا يصلح شىء منها للاحتجاج أو الاستشهاد :

ونحن فى موقفنا من هذا الحديث نتناوله من جهتين ، جهة السند ، وجهة المتن : فاذا كان رده من جهة السند فلا تعقيب على أقوال العلماء فيه ، واذا كان من جهة المتن فالرأى فيه قول الدكتور مصطفى السباعى[11] : «ان هذا الحديث قد روى بألفاظ مختلفة ، ففى أكثر الروايات » فما وافق فأقبلوه : وما خالف أو لم يوافق فردوه ، وهذا النص ليس فيه ما يقتضى الحكم بالضعف فضلا عن أن يقول عبد الرحمن ابن مهدى انه من وضع الخوارج والزنادقة ، ذلك أن من المتفق عليه

---

(٨) ابن حزم : الاحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ٧٦ .

(٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ص ٢٢٣ .

(١٠) انظر هامش الرسالة للشافعى ص ٢٢٤ .

(١١) الدكتور مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٦٢ .

بين العلماء أن من علائم وضع الحديث أن يكون مخالفا للكتـــاب [١٣] والسنة القطعية ، فاذا جاءنا حديث بحكم يخالف أو لا يوافق ما فى كتاب الله من أحكام ولا مجال للتأويل حكمنا بوضعه باتفاق ، وهل قال الحديث الذى نحن بصدده أكثر من هذا .

وأضيف أن السنة الصحيحة لا تخالف القرآن ؛ واذا جاءت روايات فيها مخالفة لاتقبل ، وترد ، يقول ابن حزم[١٣] : «لاسبيل الى وجود خبر صحيح مخالف لمـــا فى القرآن أصلا ؛ ويقول الشاطبى[١٤] : ان الحديث وحى من الله لايمكن فيه التناقض مع كتاب الله .

---

(١٣) راجع حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : قال : سيأتيكم أحاديث مختلفة ، فما جاءكم موافقا لكتاب الله ، وسنتى فهو منى ، وما جاءكم مخـــالفا لكتـــاب الله تعالى وسنتى فليس منى » البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٧ دار الكتاب العربى .

(١٣) ابن حزم : الاحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ٨ .

(١٤) الشاطبى : الموافقات جـ ٤ ص ٢١ .

التحرج من الرواية والاقلال منها

وكان ثمة تحرج من الاكثار من رواية الحديث ، وقد التزم القوم فى ذلك ما وجههم الرسول اليه ، فقد حذرهم من كثرة الحديث عنه خشية أن يتقولوا عليه مالم يقله •

قال قتادة[١٥] : سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر اياكم وكثرة الحديث عنى ، فمن قال على فليقل حقا أو صدقا ، ومن تقول على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار •

وعن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ قال[١٦] : من حـــدث عنى حديثا وهو يرى انه كذب ، فهو أحد الكذابين - والمراد أن الراوى يشارك الواضع فى الاثم •

وأخرج الحاكم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال[١٧] : سمعت النبى ﷺ يقول : ويل للذى يحدث فيكذب ويضحك به القوم ويل له ، ويل له •••

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال[١٨] : من قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار •

لا غرابة اذا فى أن تشدد المسلمون فى رواية الحديث حتى تنقطع الأسباب أمام المتزيدين فى الحديث ، والمتنقضين فيه ، وخشية أن

---

(١٥) ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ١ ص ١٤ •
(١٦) ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ١ ص ١٥ •
(١٧) الحاكم النيسابورى : المستدرك على الصحيحين جـ ١ ص ٤٦ •
(١٨) الشافعى : الرسالة ص ٣٩٦ •

تفضى الكثرة فى روايته الى السهو والخطأ ، ولكى يكشف أمر الذين يتعمدون الكذب على رسول الله ﷺ •

وكان الحرج من الرواية يكون شعورا عاما ، قال عبد الرحمن بن أبى ليلى[١٩] أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ أراه قال فى المسجد ، فما كان منهم محدث الا ود أن أخاه كفاه •

وبلغ من حرج أبى بكر فى الرواية عن النبى ﷺ أنه جمع الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال[٢٠] : انكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث يختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله ، وحرموا حرامه» •

يقول الذهبى[٢١] : «ان مراد الصديق التثبت فى الأخبار والتحرى ، لاسد باب الرواية ، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ، ولم يجده فى الكتاب كيف سأل عنه فى السنة ، فلما أخبره الثقة ، ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ، ولم يقل حسبنا كتاب الله » •

وكان عمر من أكثر الصحابة حرصا على حجية الحديث ، وقد دفعه ذلك الى أن يشدد عليهم ، فأمرهم بأن يقلوا الرواية عن النبى ﷺ حتى لا تعرضهم وفرة الرواية الى الخطأ •

قال ابن قتيبة[٢٢] : كان عمر شديدا على من أكثر الرواية ، أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية •

---

(١٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٠٠ •
(٢٠) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٣ •
(٢١) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٣ •
(٢٢) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٣٠ •

يريد بذلك أن لايتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس ، والكذب من المنافق والفاجر والأعرابى» •

كذلك كان من أسباب لتجاه عمر الى الاعتدال فى الرواية ألا يشتغل الناس بالأحاديث عن القرآن ، والمسلمون فى الأمصار بخاصة محتاجون الى درس القرآن وحفظه •

قال قرظة بن كعب[٢٣] : « لما سيرنا عمر الى العراق ، مشى معنا وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم ، تكرمة لنا ، قال : ومع ذلك ، انكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله ، وأنا شريككم [٢٤] ، فلما قدم قرظة بن كعب ، قالوا : حدثنا ، فقال : نهانا عمر رضى الله عنه •

لقد أمر عمر الوفد بالاقلال من الرواية نظرا لأنه أدرك أن أهل الكوفة سيكثرون فى الطلب ، ويلحون فى التلقى تعظيما لأمر الرواية عن الرسول ﷺ ، وربما لئلا يشتغلوا بذلك عن العظة •

(٢٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ١ ص ٧ •
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٤٧ •
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ ص ٢ •
البغدادى : شرف رجال الحديث ص ٤٨ •
والحديث أخرجه ابن ماجة فى سنن المصطفى جـ ١ ص ١٢ •
وانظر سنن الدارمى جـ ١ ص ٨٥ •
وسنن البيهقى جـ ١ ص ١٢ •
(٢٤) مقصده أنه يشاركهم ما يأمرهم به من الاقلال من الرواية ، وأنه يلزم نفسه بما ينصحهم به •

وقال عمر بن الخطاب[٢٥] لعبد الله بن مسعود : ولأبى ذر ، ماهذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، قال : أحسبه قال . ولم يدعهم يخرجون من المدينة حتى مات •

وفى رواية أنه حبس ثلاثة : ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصارى ، فقال : أكثرتم الحديث عن رسول الله •

وكان يقول[٢٧] ان الحديث عن رسول الله ﷺ شديد •

وقد عرض ابن عبد البر لموقف عمر من النهى من الكثر فى رواية الحديث ، وناقشه باستفاضة ، وبين مقصده منه ، والحكمة التى توخاها فيه •

قال[٢٨] : احتج بعض من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع ، وغيرهم الطاعنين فى السنين بحديث عمر ، وجعلوا ذلك ذريعة الى الزهد فى سنن رسول الله ﷺ التى لايوصل الى مراد كتاب الله الا بها ، والطعن على أهلها ، ولاحجة فى هذا الحديث ، ولا دليل على شيء مما ذهبوا اليه من وجوه منها •

---

(٢٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٦٣٦ •
— الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ٧ •
(٢٦) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٤٨ •
— الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ٧ •
(٢٧) السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٣٩ •
— وفى سنن ابن ماجة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : قلنا لزيد بن أرقم : حدثنا عن رسول الله ﷺ ، قال : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله شديد جـ ١ ص ١١ •
(٢٨) انظر : ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٤٨ — ١٥٢ •

— أن وجه قول عمر انما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن ، فخشى عليهم الاشتغال بغيره عنه اذ هو الأصل لكل علم .

— أو أن عمر انما نهى عن الحديث عما لا يفيد حكما ، ولا يكون سـنة .

— وطعن بعضهم فى حديث قرظة هذا وردوه لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافة .

فقد خطب يوم جمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فانى أريد أن أقول مقالة قد قدر لى أن أقولها[٢٩] ، من وعاها وعقلها . وحفظها فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فانى لا أحل له أن يكذب على، ان الله بعث محمدا ﷺ بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان مما أنزل معه الرجم .... وذكر الحديث .

— والآثار الصحاح عنه من رواية أهل المـدينة بخـلاف حديث قرظة ، وانما يدور على بيان عن الشعبى ، وليس مثله حجة فى هذا الباب لأنه يعارض السنن والكتاب .

— فقد قال الله تعالى : «**وما أتاكم الرسول فخذوه**» :

— وقال رسول الله ﷺ : نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ثم أداها الى من لم يسمعها .

— وقال قيس بن عباد : سمعت عمر بن الخطاب يقول : من سمع حديثا فأداه — كما علم فقد سلم .

---

(٢٩) تزيد رواية البغدادى «لعلها بين يدى أجلى» الكفاية فى علم الرواية تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ١٩٨ .

وقال مورق العجلى : كتب عمر تعلموا السنة والفرائض واللدن [٣٠] كما تتعلمون القرآن •

وقال عمر : «سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله» •

ــ وثمة احتمال أن تكون الآثـــار كلها عن عمر صحيحة متفقة ، ويخرج معناها على أن من شك فى شىء تركه ، ومن حفظ شيئا وأتقنه جاز له أن يحـــدث به ، وان كان الاكثار يحمل الانسان على التقحم فى أن يحدث بكل ما سمع من جيد وردى وغث وسمين وقد قال رسول الله ﷺ [٣١] : «كفى بالمرء أن يحدث بكل ما سمع» •

وقال [٣٢] : « اياكم وكثرة الحـــديث ، ومن قال عنى فلا يقولن الا حقا» •

وقد انتهى ابن عبد البر الى القول بأن «الذى عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذم الاكثار دون تفقه ولا تدبر والمكثر لا يأمن موافقة الكذب على رسول الله ﷺ لروايته عمن يؤمن وعمن لا يؤمن» •

وواضح أن ابن عبد البر فى هذه المناقشة قد اعتمد النقل والعقل ؛ فمن حيث النقل استشهاده بما ورد فى القرآن والسنة مما يخالف نهى عمر ثم ايراده أقوالا لعمر نفسه ترد قوله بالنهى ، ومن حيث العقل حمله هذا الحديث على أنه كان من باب الحيطة حتى لايتساهل المسلمون فى رواية الحديث ويرووه بلا تدبر مما يعرضهم للتزيد فيه ، ثم انه قدم الأدلة العقلية التى تساند رأيه وتظاهره •

---

(٣٠) اللحن هو معرفة وجوه الكلام ، وتصرفه والحجة به •

(٣١) رواه مسلم •

(٣٢) رواه الامام أحمد •

ويرى البغدادى[٣٣] أن وجه انكار عمر على الصحابة روايتهم عن رسول الله ﷺ ، وتشديده عليهم يرجع الى أنه فعـل ذلك احتياطا للدين ، ولأنه خاف [٣٤] أن يتكلوا عن الأعمال ، ويتكلوا على ظاهر الأخبار ، وليس حكم جمع الأحاديث على ظاهرها ، ولاكل من سمعها عرف فقهها ، فقد يرد الحديث مجملا ، ويستنبط معناه وتفسيره من غيره فخشى عمر أن يحمل حديث على غير وجهه أو يؤخذ بظاهر لفظه ، والحكم بخلاف ما أخذ به» •

كذلك رأى البغدادى أن فى تشديد عمر على الصحابة فى روايتهم[٣٥] حفظ لحديث رسول الله ﷺ ، وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل فى السنن ماليس منها لأنه اذا رأى الصحابى المقبول القـول المشهود بصحبة النبى ﷺ قد تشدد عليه فى روايته ، كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب ، ولمـا يلقى الشـيطان فى النفس من تحسين الكذب أرهب •

وهكذا فرع البغدادى مقصد عمر الى اتجاهين :

فأما الأول : فهو صالح المسلمين فى ألا يتكلوا على ظاهر الأخبار فربما كان الحكم على خلافها •

---

(٣٣) البغدادى : شرف أصحاب الحديث : ص ٤٨ •

(٣٤) راجع حديث معاذ بن جبل ، فى ذلك ، قال : كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير ، فقال : يامعاذ أترى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ، فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لايشرك به ، قلت : أفلا أبشر به الناس ، قال: لا فيتكلوا •

البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٤٩ •

(٣٥) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٤٨ •

وأما الثانى : فهو حجية الحديث وصيانته . حتى لا يشوبه شوب •

وأيا ما كان الأمر فان توجيهات ابن عبد البر والبغدادى لحديث عمر لا تتناقض ، ويمكن أن تكون جميعها محتملة وواردة ، فموقع عمر من المسلمين ، واضطلاعه بالمسئولية فى حماية الدين وصيانة الشرع ربما أتاح له أن يرى أمورا لا يراها غيره ، فجعله ذلك أشدهم حرصا على صيانة القرآن والحديث •

وليس لأحد أن يحمل هذا القول من عمر على الزهد فى سنة الرسول ﷺ ، والطعن على أهلها : فلا سبيل الى المراد من كتاب الله الا بها وليس فى الحديث مايحتج به على ذلك •

وقد طعن ابن حزم [٣٦] فيما روى عن عمر بشأن حبس ابن مسعود، وأبى الدرداء ، وأبى ذر لاكثارهم من الحديث بالانقطاع لأن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف راويه عن عمر لم يسمع منه فانه مات سنة ٩٩ أو سنة ٩٥ وعمره (٧٥ سنة) فيكون قد ولد سنة ٢٠ من الهجرة فى أواخر خلافة عمر ، فلا يتصور سماعه منه فى مثل تلك السن ، وعلى ذلك فلا تكون الرواية حجة ولا يؤخذ بها ، ثم قال ابن حزم : ان الخبر فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد لأنه لايخلو عن أن يكون اتهم الصحابة ، وفى هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نشر الحديث وعن تبليغ السنة ، وألزمهم كتمانها وحجرها ، وهذا خروج عن الاسلام ، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين قد ظلمهم ، فليختر المحتج لمذهب الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أى الطريقين الخبيثين شاء •

وأخذ عثمان بن عفان نفسه بمنهج عمر فتشدد فى الرواية ، وشدد

---

(٣٦) ابن حزم : الاحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ١٩٣ •

على الناس فيها قال[٣٧] : لايحل لأحد يروى حديثا عن رسول الله ﷺ لم أسمع به فى عهد أبى بكر ، ولا عهد عمر ، فانه لم يمنعنا أن نحدث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أدعى لأصحابه عنه ، ألا انى سمعته يقول : من قال على ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار ، وخطب عثمان يوما فقال[٣٨] : ياأيها الناس انى سمعت حديثا من رسول الله ﷺ لم يمنعنى أن أحدثكم به الا الضن بكم وبصحابتكم •

وأخرج مسلم بسنده عن حمران «مولى عثمان» قال[٣٩] : سمعت عثمان بن عفان وهو بفناء المسجد فجاءه المؤذن عند العصر ، فدعا بوضوء فتوضأ ، ثم قال : والله لأحدثنكم حديثا لولا آية [٤٠] فى كتاب الله ما حدثتكم ، انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلى صلاة الا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التى يلها •

لم يرد عثمان أن يتكثر بالتحديث ، ولكنه صنع ماصنع استجابة لما أمر الله به من نشر العلم ، وابلاغه ، وعدم كتمه •

وقال على[٤١] : اذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا فوالله لأن أخر من السماء أحب الى من أن أكذب عليه •

---

(٣٧) راجع مسند أحمد بن حنبل جـ ١ ص ٣٦٣ •

(٣٨) ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ٢ ص ٩٢٤ •

(٣٩) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٣ كتاب الطهاره ص ١١٠ •

(٤٠) انظر قوله تعالى : «ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات» الآية : سورة البقره : آية ١٥٩ •

(٤١) صحيح البخارى : جـ ٩ كتاب استتابة المرتدين ص ٢١ وانظر جـ ٤ باب علامات النبوة ص ٢٤٤ •
— أحمد بن حنبل : المسند جـ ٢ ص ٤٥ •
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٢٨ تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ط • دار الكتاب العربى •

وكان معاوية يتقدم الى الناس ينهاهم عن الاكثار على رسول الله ﷺ حتى أنه كان يقول [٤٢] : «اتقوا الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما كان يذكر منها فى زمن عمر فان عمر كان يخوف الناس فى الله تعالى» .

وكان يقول[٤٣] «ما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا منى» .

وقال مجاهد[٤٤] : صحبت ابن عمر الى المدينة . فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ الا حديثا واحدا .

وقال الشعبى[٤٥] : قاعدت ابن عمر قريبا من سنتين أو سنة ونصف فلم أسمعه روى عن النبى ﷺ غير هذا «يعنى حديث اباحة الضب ». وانما كثرت أحاديث ابن عمر مع ذلك لكثرة من كان يسأله ويستفتيه [٤٦] ويخطىء من يزعم أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من

---

(٤٢) الدارمى : الرد على المريسى : نشر ضمن كتاب «عقائد السلف ص ٤٩٢ .

(٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٢٣ المطبعة المصرية .

(٤٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ كتاب العلم ص ١٣٤ .

— صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٤٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٣ كتاب الصيد والذبائح ص ٩٨ .

ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ١ ص ١٥ .

وسنن الدارمى جـ ١ ص ٨٤ والسنن الكبرى للبيهى جـ ١ ص ١١ .

(٤٦) الدارمى : الرد على المريسى : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٤٩٣ .

كتب أهل الكتاب ، وكان يرويهما للناس عن النبى ﷺ ، لقد كان أمينا عند الأمة على حديث النبى ﷺ ، ألا يجعل ما وجد فى الزاملتين عن رسول الله ﷺ ، ولكن كان يحكى عن الزاملتين ماوجد فيهما ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم ماسمع منه ، لا يجعل ذلك على هذا ، ولا هذا على ذاك .

وقال أنس[٤٧] : انه ليمنعنى أن أحدثكم حديثا كثيرا أن النبى ﷺ قال : من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار .

ولا فرق[٤٨] فى تدريم الكذب عليه بين ما كان فى الأحكام ، وما لاحكم فيه كالترغيب ، والترهيب ، والمواعظ وغير ذلك ، فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح باجماع المسلمين الذين يعتد بهم فى الاجماع .

وروى عن أنس قوله[٤٩] : لولا أنى أخشى ان أخطىء لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول ﷺ .

وكان عبد الله بن عباس لا يستمع الى من يشك فى روايته ، جاءه بشير العدوى فجعل يحدثه ويقول[٥٠] : قال رسول الله ﷺ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر اليه ، فقال يابن عباس : مالى لا أراك تسمع حديثى ؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : انا كنامرة اذا سمعنا

---

(٤٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ ص ١٦٣ .

(٤٨) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٦٦ المطبعة المصرية .

(٤٩) شرح النووى على صديح مسلم جـ ١ ص ٧٠ المطبعة المصرية .

(٥٠) مسلم : مقدمة الصحيح جـ ١ ص ٨٠ — ٨٢ .

رجلا يقول . قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا اليه بآذاننا ؛ فلما ركب الناس الصعب والذلول ؛ لم نأخذ من الناس الا ما نعرف •

وعن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال[٥١] : قلت للزبير ابن العوام مالى لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما أسمع ابن مسعود ، وفلانا ، وفلانا ، قال : أما أنى لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنى سمعت منه كلمة ، يقول : من كذب على متعمــدا فليتبوأ مقعده من النــار •

وكان كل صحابى يخشى أن يقصر فى الرواية ، فيتزيد فيها أو ينتقص منها ، ولذلك كان يود لو أن غيره كفاه مؤونتها : قيل لرجل من أصحاب النبى ﷺ[٥٢] : مالك لاتحدث كما يحدث فلان وفلان ؟ فقال : مابى ألا أكون سمعت مثل ماسمعوا ؛ أو حضرت مثل ما حضروا ، ولكن لم يدرس الأمر بعد ، والناس متماسكون ، فأنا أجــد من يكفينى ، وأكره التزيد والنقصان فى حديث رسول الله ﷺ •

وقد بلغ الأمر أن بعض الخاصة من الصحابة لم يكد يروى شيئا كسعيد ابن زيد[٥٣] ابن عمرو بن نفيل ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة •

وهكذا أصبح التحرج من الرواية . والاقلال منها أحد أصول المنهج الاسلامى فى توثيق الحديث ، والمحافظة على سلامة نصه ، وكان اعتماد

(٥١) ابن ماجة : سنن المصطفى جـ ١ ص ١٨ •
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٢٨ دار الكتــاب العربى •

(٥٢) البغدادى : الكفاية فى علم الروانة ص ٢٠٦ دار الكتاب العربى •

(٥٣) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحــدىث ص ٤٨ — ٤٩ ط • كردستان •

القوم على هدا الأضل لأنهم رأوا أن كثرة الرواية تسوق الى الخطأ ، وتوقع فى الغلط ، وتؤدى الى النسيان ، ولا تدع للقوم متسعا للتروى فيما يروى واعمال العقل فيه ٠

وقد أدت أسباب معينـــة الى أن يكثر بعض الصـــحابة من رواية الحديث ، قال أحمد بن حنبل [٥٤] : ستة من أصحاب النبى ﷺ أكثروا الرواية عنه وعمرو : أبو هريرة ، وابن عمرو ، وعائشة ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأنس ٠

ويرجع أكثار هؤلاء فى الرواية اما لقدم اسلامهم ، وطول ملازمتهم للرسول ﷺ كأنس بن مالك ، واما لوقوفهم على أحواله ، وبصرهم بطرائقه فى المعايش كعائشة ، واما لاهتمامهم بالحديث بعامة ، ورغبتهم فى كتابته أو حفظه كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو وأبى هريرة ٠

وكان أبو هريرة أكثر هؤلاء الصحابة حديثا ، فقد قصد الى تلقى الحديث ، وفرغ لذلك ، قـال[٥٥] : صحبت النبى ﷺ ثـلاث سنين ماكنت سنوات قط أعقل منى ، ولا أحب أن أعى مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فيهن » ٠

وقد بلغت مرويات أبى هريرة خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا ، اتفق الشيخان منها على ثلثمائة وخمسة وعشرين ، وانفرد البخارى بثلاثة وتسعين ، ومسلم بمائة وتسعة وثمانين ٠

وكان بعض الصحابة يبدون تحفظات على منهـج أبى هريرة فى

---

(٥٤) مقدمة ابن الصلاح ص ٤٢٩ ٠

— النواوى : التقريب ص ٤٠١ ، ٤٠٣ ٠

— ابن كثير الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث ص ٩٨ ٠

(٥٥) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٢٧ ط ٠ دار صادر ٠

الرواية ، ذلك لأن تشـــددهم فيها جعلهم يتخـــوفون من الاكثار من التحديث لمـــا فى ذلك من المزالق . ففى صحيح مسلم نقرأ أنه كان يحدث الى جوار حجرة عائشة ، ويقول[٥٦] اسمعى ياربة الدجرة ، اسمعى ياربة الحجرة ، وعائشة تصلى ، فلما قضت صلاتها ، قالت لعروة ، ألا تسمع الى هذا ومقالته آنفا ، انما كان النبى ﷺ يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه .

ويقول النووى[٥٧] : ان مراده بذلك تقوية الدديث باقرارها ذلك وسكوتها عليه ، ولم تنكر عليه شيئا من ذلك سوى الاكثار من الرواية فى المجلس الواحد لخوفها أن يحصل بسببه سهو ونحوه .

وقد برر أبو هريرة اكثاره من الحديث بأنه لزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يعى منه ما يقول ، فى حين كان غيره من المهاجرين والأنصار تشغله أمور الحياة ، وشئون الدنيا ، وأكد أنه ما

---

(٥٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١٢٩ .

(٥٧) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٨ ص ١٢٩ .

— شرح الأبى على صحيح مسلم كمـــال اكمال المعلم جـ ٧ ص ٣٠٥ .

— شرح السنوسى على صديح مسلم المسمى مكمل اكمـــال الأكمال جـ ٧ ص ٣٠٥ .

— راجع قول عائشة لأبى هريرة « انك لتحدث بأشياء سمعناها عن رسول الله ﷺ فقال لها أبو هريرة » كان يشغلك عنها المرآة والمكحلة ولم يكن يشغلى عنها شىء .

راجع ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٦٤ ط دار صادق .

الرامهرمزى: المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٥٥٥

وراجع ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ١٠٨ .

حدث الا بما كان على يقين منه ، وأنه لولا الخشية من الكتمان ما سمع الناس منه شيئا ، قال [٥٨] : ان الناس يقولون : أكثر أبو هريرة (من الحديث) ، والله لولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا ثم تلا : « ان الذين يكتمون [٥٩] ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون » « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ، ويشترون به ثمنا قليلا ما يأكلون فى بطونهم الا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » وان اخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق .

---

(٥٨) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ١١٦ .
وانظر المرجع نفسه جـ٦ ص ٦ .
— وراجع : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ؛ ط. دار صادر .
وراجع شواهد أخرى فى هذا الصدد جـ٤ ص ٣٣٠ ط. دار صادر .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٥٥١ .
— صحيح البخارى جـ٥ باب مناقب جعفر بن أبى طالب ص ٢٤ ط. الشعب .
— شرح النووى على صحيح مسلم جـ١ ص ٦٧ المطبعة المصرية .
— الدارمى : الرد على المريسى : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٤٩١ .
لم يكن هذا مسلك أبى هريرة وحده ، وانما وضح لى أنه كان وراء ما حدث به كثير من الصحابة : أنظر موقف عثمان من رواية الحديث .

(٥٩) قال الراغب : الكتمان : ستر الحديث : يقال كتمته كتما وكتمانا المفردات للراغب الأصفهانى ص ٤٢٨ .
— راجع سنن ابن ماجة جـ١ ص ٩٧ .

وإخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم ، وان أبا هريرة كان يلزم رســـول الله صلى الله عليه وسلم ليشبع بطنـــه ويحضر ما لا يحضرون » •

وحذا التابعون حذو الصـــحابة ، فألزموا أنفسهم بالاقلال من الرواية قال الشعبى [٦٠] : « كره الصالحون الأولون الاكثار من الحديث، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما حدثت الا بما أجمع عليه أهل الحديث » •

وقال سفيان الثورى [٦١] : « ما من شىء أخوف عندى من الحديث وما من شىء أفضل منه لمن أراد به الله عز وجل » •

وقال خالد الحذاء [٦٢] : « كنا نأتى أبا قلابة فاذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال : قد أكثرت خشية أن يرتفع الفهم والتدبر » •

يمكننا أن نقول أن التشدد فى الرواية ، والاحتياط فيها ، والرغبة فى الاقلال منها ترجع الى الرغبة فى المحافظة على حجيـــة القـــرآن والحديث معا ، فأما عن القرآن ، فقد كانت الخشية عليه أن يتشاغل الناس عنه ، فيقل ضبطه ، وأما عن الحديث فقد كان الخوف من أن كثرة الرواية تؤدى الى الخطأ ، وتفضى الى الكذب •

ولا يعنى ذلك المنهج أن الصحابة توانوا عن أمر الحديث ، وأرادوا

---

(٦٠) الذهبى : تذكرة الحفاظ : جا ص ٧٧ •
(٦١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جا ص ٧٠ •
(٦٢) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٤٥ •

الانصراف عنه ، ذلك لأن الصحابة بعامة كانوا حين تقع لهم حادثة [٦٣]
شرعية من حلال أو حرام يفزعون الى القرآن ، فان وجدوا فيه
ما يريدون تمسكوا به ، وأجروا على مقتضاه ، وان لم يجدوا ما يطلبون
فزعوا الى السنة ، فان روى لهم خبر أخذوا به ، ونزلوا على حكمه ،
وان لم يجدوا الخبر فزعوا الى الاجتهاد بالرأى .

(٦٣) الشهرستانى : الملل والنحل ص ٤٤٦ .

الرحلة فى طلب الحديث

وجد الصحابة أنفسهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أمام ضرورة ملحة توجب عليهم أن يحافظوا على أصـــول الشريعة ، فتحركت عزائمهم للسؤال عن الحديث ، وتتبعه عند من يحـــدث به ، فرحلوا الى البلاد البعيدة ، وتحملوا عناء الشقة ، وآلام المشقة ليقفوا على سند رابهم شىء فيه أو يتحروا متنا غاب عنهم شىء منه •

وكان يحدوهم الى ذلك قوله تعالى (٦٤) : « فلولا نفرٌ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » •

وقد سلك غير واحد من الصحابة هذه الطريقة فى الرحلة للسماع حتى قال عبد الله بن مسعود (٦٥) : « لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله تعالى منى تبلغه الابل لأتيته •

ويمكننا أن نتبين أن الصحابة وضعوا للرحلة أهدافا سامية جعلوها نصب أعينهم ، وسعوا الى تحقيقها ، وقد برز من بين هذه الأهداف تعلم الحديث وتحصيله ، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وجد الصحابة أنفسهم قد تفرقوا فى البـــلاد ، فتوزع العـــلم الذى كانوا يحملونه ، فوجد كل منهم فى نفسه حاجة الى أن يستكمل ما لديه من الحديث وأن يحصل ما ليس عنده منه ، وبذلك كانت الرحلة فى طلب الحديث تمثل احدى الخطوات فى منهج التحصيل العلمى عند المحدثين ، فكان المحدث عندما يفرغ من تحصيل ما فى بلده يبرحه الى غيره ليضيف الى ما عنده ما لا يعلمه من العلم •

---

(٦٤) سورة التوبة : آية ١٢٢ •

(٦٥) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٤٢ دار الكتاب العربى•

قال يحيى بن معين (٦٦) : « الرجل الذى يكتب فى بلده ولا يرحل فى طلب الحديث ممن لا تؤنس منهم رشدا » •

وقال ابن قتيبة (٦٧) : « فأما أصحاب الحديث فانهـم التمسوا الحق من وجهته وتتبعوه من مظانه ، وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلبهم لآثاره وأخباره برا وبحرا وشرقا وغربا ، يرحل الواحد منهم راجلا مقويا فى طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة ، ثم لم يزالوا فى التنقير عن الأخبار والبحث لها حتى فهموا صحيحيها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها •

وقال ابن الصلاح (٦٨) : « واذا فرغ من سماع العوالى والمهمات التى ببلده فليرحل الى غيره » •

وكان ابن عباس ممن سبقوا الى الرحلة فى طلب الحديث للسؤال عنه وتحصيله ، قال (٦٩) : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا شاب ، قلت لشاب من الأنصار : يافلان ، هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولنتعلم منهم فانهم كثير ، قال :

---

(٦٦) مقدمة ابن الصلاح : تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمـن ص ٣٦٩ •
— البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ٨٩ •
(٦٧) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص٥١ ط• دار الكتاب العربى•
(٦٨) مقدمة ابن الصلاح : تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمـن ص ٣٦٩ •
(٦٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ١٠٣ •
— راجع ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ط• دار صادر •

العجب لك يا ابن عباس : أترى الناس يحتاجون اليك . وفى الأرض من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فتركت ذلك ، وأقبلت على المسألة ، وتتبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان كنت لآتى الرجل فى الحديث يبلغنى أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجده قائلا ، فأتوسد ردائى على بابه . تسفى الريح على وجهى حتى يخرج ، فاذا خرج قال : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مالك ؟ فأقول : بلغنى حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأحببت أن أسمعه منك ، قال : فيقول : فهلا بعثت الى حتى آتيك ، فأقول : أنا أحق أن آتيك .

كذلك كان أصحاب عبد الله بن مسعود [٧٠] يرحلون من الكوفة الى المدينة ، فيتعلمون من عمر ، ويسمعون منه .

وكان الأنصار بعامة مقصد طلاب الحديث لأن عامة علم الرسول صلى الله عليه وسلم كان عندهم ، ومن أجل ذلك رحل زر بن حبيش من العراق الى المدينة ليفيد مما عند أبى بن كعب من الحديث . قال [٧١] : وفدت (من الكوفة) فى خلافة عثمان بن عفان ، وانما حملنى على الوفادة لقى أبى بن كعب وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يقف القصد من الرحلة عند طلب الحديث وتحصيله ، وانما تعدى ذلك الى الرغبة فى التثبت مما عند اصحابه من الأحاديث ، والتأكد من جيتها ، فقد رحل بعضهم الى الأمصـــار المختلفة كالشام ومصر ليلقوا هناك رجلا سمع حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عندهم أو يصححوا ما لديهم على ما عنده .

---

(٧٠) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص٣٥٩ .
(٧١) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ٩٢ .

يقول جابر بن عبد الله [٧٢] : بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه ، فابتعت بعيرا ، فشددت عليه رحلى ، وسرت شهرا ، حتى قدمت الشام ، فأتيت عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له جابر على الباب، فأتاه ، فقال له : جابر بن عبد الله ؟ ؛ فأتانى فقال لى ، فقلت : نعم ، فرجع فأخبره ، فقام يطأ ثوبه حتى لقينى ، فاعتنقنى واعتنقته ، فقلت : حديث بلغنى عنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القصاص ، لم أسمعه فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد — أو قال الناس — عراة غرلا بهما ، قلنا ما بهما ؟ قال : ليس معهم شىء ، ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولا أحد من أهل النار عنده مظلمة حتى أقصه منه ، حتى اللطمة ، قلنا كيف وانما نأتى الله عراة غرلا بهما ، قال بالحسنات والسيئات .

وكانت لجابر بن عبد الله رحلة ثانية الى مصر [٧٣] ، خرج فيها

(٧٢) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٢٤٥ ؛ ص ٢٤٦ .
— راجع ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص ١٤١ .
— النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٩ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ١١١ ، ١١٢ .
— البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١١٠ — ١١٢ .
— البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١١٣ — ١١٦ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٢٢٣ .
(٧٣) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ٤٤٢ ط. دار الكتاب العربى.

لقاء مسلمة بن مخلد ، وسؤاله عن حديث بلغــه عنه فلما أخبره به رجع .

وخرج أبو أيوب الأنصارى الى عقبة بن عامر بمصر يساله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره وغير عقبة ، فلما قدم مصــر أخبروا عقبة فخرج اليه ، فعانقه ، فقال [٧٤] : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله غيرى وغيرك فى ستر المؤمن ، قال عقبة : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ستر مؤمنا فى الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة ، فقال له أبو أيوب : صدقت ، ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها راجعا الى المدينة .

وقد رحل أبو بشر عبد الله بن فيروز الديلمى الى المدينة ليلقى عمرو بن العاص من أجل حديث بلغه عنه ، فوجده قد خرج الى مكة فتبعه اليهــا ، وفى أرضه المســماه «الوهط» قابله ، وقال له يا عبد الله ، ما هذا الحديث الذى بلغنا عنك ، قال : ما هو ؟ قال :

---

(٧٤) النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص٨ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ١١٢ .
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٤٢ ط. دار الكتاب العربى .
— البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١١٨ .

(٧٥) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١٣٧ — ١٣٨ نشر دار الكتب العلمية .
— الحاكم النيسابورى : المستدرك على الصحيحين جـ١ ص ٣٠ ، ٣١ نشر دار الفكر — بيروت .
— أحمد بن حنبل : المسند جـ٢ ص ١٧٦ .

انك تقول : « صلاة فى بيت المقدس خير من ألف صلاة فى غيرها الا الكعبة ، قال : اللهم انى لا أحل لهم أن يقولوا على ما لم أقل » ثم ذكر له ثبت مقالته ، وأعادها عليه ، وبين له خطأ الناقلين .

وعن عبد الله بن بريدة [76] أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحل الى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه وهو يمد ناقة له ، فقال : انى لم آتك زائرا ، انما أتيتك لحديث بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت أن يكون عندك منه علم » .

وكان المحدثون من الصحابة يشجعون من يفد اليهم من عامة المسلمين على المجيء اليهم ، والسماع منهم .

قال كثير بن قيس [77] : « كنت جالسا مع أبى الدرداء ، فأتى رجل ، فقال : يا أبا الدرداء جئتك من المدينة ، من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وما جئت لحاجة ؟ قال : لا ، قال : ولا لتجارة ؟ قا : لا ، قال : ولا جئت الا لهذا ؟ قال : نعم ، قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ، ومن فى الأرض ، وكل شىء حتى الحيتان فى جوف الماء ، وان العلماء ورثة الأنبياء ، ان الأنبياء لم

---

(٧٦) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٦ ص ٢٢ ط . المكتب الاسلامى للطباعة والنشر .

(٧٧) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .
— البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ٨١ .

يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن اخذ به ، أخذ بحظ وافر » .

وكان طلاب العلم اذا اتوا ابا سعيد الخدرى قال لهم [78] : « مرحبا بوصيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه سيأتيكم اناس من اقطار الارض يتفقهون فى الدين ، فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا » .

لقد حاول العلماء من الصحابه ان يثيروا فى نفوس طلاب العلم الحوافز اليه لكى يتحملوا وعثاء الطريق ، ومشاق السفر ، فلا تثنيهم عن غاياتهم صعوبه ، ولا يردهم عن قصدهم عائق . ومما يلحظ ان ما حفزوهم به لم يكن مالا ا وجاها ، ولم يتصل بشىء من متاع الحياه الدنيا ، وانما تعلقت أسبابه بعالم الاخره ، وقام على تحريك الاحساس الدينى ، والاعتماد عليه فى كسب المعرفه .

وفى عهد التابعين والخالفين اشتدت الحاجة الى الرحلة فى طلب الحديث ، فقد دعت التغيرات التى طرأت على وجه الحياة الاسلامية الى أن ينتقل الصحابة الى الأقاليم المختلفة ليعلموا أهلها شرائع الدين وأحكامه فيتوزع العلم بتوزعهم ، وكان على الطالب أن يترسم خطاهم ويلاحقهم فى مهاجرهم ليحصل الحديث من صدورهم ، ويقف على ما ليس لديه من السنة ، قال سعيد بن المسيب [79] «توفى سنة ٩٤هـ»

(٧٨) ابن أبى حاتم الرازى : الجرح والتعديل جـ٢ ص ١٢ طـ الهند .
(٧٩) النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٨ .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص١٢٠ طـ دار صادر بيروت .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٢٢٣ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ١١٣ .
— الدارمى : السنن جـ١ ص ١٣٦ .
— ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ١ ص ٣٤٨ .
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص٤٤٢ دار الكتاب العربى .
— البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ٦٣ ، ١٢٧ .

« ان كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد » .

وقال أبو العالية[٨٠] : «كنت أرحل الى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه فأول ما أفتقد منه صلاته ، فان أجده يقيمها أقمت وسمعت منه ، وان أجده يضيعها رجعت ولم أسمع منه ، وقلت : هو لغير الصلاة أضيع » .

وقال الشعبى [٨١] : « لو أن رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لايضيع» .

وقال الحسن [٨٢] : «رحلت الى كعب بن عجرة من البصرة الى الكوفة فقلت : ما كان فداؤك حين أصابك الأذى ؟ » قال : « شاة » .

قال مكحول الدمشقى [٨٣] توفى سنة ١١٢هـ : « كنت عبدا بمصر

---

(٨٠) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ٩٣ .

(٨١) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ٩٦ .

(٨٢) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١٤٣ .

— كعب بن عجرة هو الذى خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم محرما بالعمرة عام الحديبية ، فاصابه القمل فى رأسه ، فأذاه فاذن له النبى أن يحلق ويفتدى وفيه نزل قوله تعالى « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك .

والحديث أخرجه البخارى فى الحج « باب جواز حلق الرأس للمحرم اذا كان به أذى جـ٤ ص ٢٠ ومن طريق عن كعب عند النسائى جـ٥ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٨٣) انظر ترجمته : السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٤٢ .

— ابن معين : التاريخ جـ٢ ص ٥٨٤ .

— وراجع سنن أبى داود جـ٣ ص ٨٠ .

— والنفل : هو الزيادة على الحق المفروض للجندى .

لامرأة من بنى هذيل فأعتقتنى . فما خرجت من مصر وبها علم الا حويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم الا حويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم الا حويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت الشام فغربلتها ، كل ذلك أسأل عن النفل فلم أجد أحدا يخبرنى فيه بشىء حتى أتيت شيخا يقال له زياد بن جارية التميمى فقلت له : هل سمعت فى النفل شيئا ؟ قال : نعم : سمعت حبيب ابن مسلمة الفهرى يقول : شهدت النبى صلى الله عليه وسلم نفل الربع فى البدأة والثلث فى الرجعة .

وكان من أهداف الرحلة فى عصر التابعين أنهم ظلوا على ما كان الصحابة عليه من الرغبة فى التثبت بما لديهم من الحديث . ومن ذلك أن يكون [٨٤] عند المحدث أحاديث يرويها فيسمع فى رحلته بعض هذه الأحاديث بأسانيد تلتقى مع اسناده ، وتتفق فى صيغة المتن المروى أو معناه ، أو يسمع أحاديث أخرى فى معنى ما يرويه ، فيطمئن المحدث ، ويتقوى الحديث حتى يحتج به ان كان فيه ضعف من قبل ، أو يزداد صحة ان كان من قبل صحيحا ، كما أن تتبع الروايات والأسانيد قد يسفر عن علة تسقط حديثا كان يظن من قبل صحيحا .

قال أبو العالية [٨٥] : « كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالبصرة ، فما نرضى حتى نركب الى المدينة ، فنسمعها من أفواههم » .

---

(٨٤) نور الدين عتر : مقدمه « الرحلة فى طلب الحديث » ص ١٩ .
(٨٥) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٤٢ دار الكتاب العربى .
— البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ٩٣ .

وقال عبيد الله بن عدى بن الخيار [٨٦] : « بلغنى حديث عن على خفت ان مات ألا أجده عند غيره ، فرحلت حتى قدمت العراق ، فسألته عن الحديث ، فحدثنى ، وأخذ على عهدا ألا أخبر به أحدا ، ولوددت لو لم يفعل فأحدثكموه » .

وقال سعيد بن جبير [٨٧] : اختلف أهل الكوفة فى قوله تعالى [٨٨] : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها » فرحلت فيها الى ابن عباس فسألته عنها ، فقال : نزلت هذه الآية « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » فى آخر ما نزل ، ما نسخها شىء » .

وعن أبى عثمان الفهرى (توفى سنة مائة) قال [٨٩] : بلغنى عن أبى هريرة حديث أنه قال : « ان الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فحججت ذلك العام ولم أكن أريد الحج الا للقائه فى هذا الحديث ، فأتيت أبا هريرة فقلت : يا أبا هريرة : بلغنى عنك حديث فحججت العام ولم أكن أريد الحج الا لألقاك قال : فما هو ؟

قلت : « ان الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة » فقال أبو هريرة « ليس هكذا قلت ، ولم يحفظ الذى حدثك » .
قال أبو عثمان : « فظننت أن الحديث قد سقط » .

فقال : انما قلت : « ان الله ليعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفى ألف حسنة » ثم قال : « أوليس فى كتاب الله تعالى ذلك » ؟

---

(٨٦) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١٣٠ .
(٨٧) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١٣٩ .
(٨٨) سورة النساء : الآية ٩٣ .
(٨٩) البغدادى : الرحلة فى طلب الحديث ص ١٣٣ .

قلت : «كيف» قال : لأن الله يقول « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » والكثيرة عند الله أكثر من ألفى ألف وألفى ألف .

وكان طلب العلو فى الاسناد من المقاصد ذات الأهمية لرجال الحديث ولذلك استحبت الرحلة فيه ، فكان [٩٠] علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضى الله عنه ، فلا يقنعهما حتى يخرجا الى عمر فيسمعانه منه .

وقال أبو العالية [٩١] : كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالبصرة ، فما نرضى حتى نركب بالمدينة ، فنسمعها من أفواههم .

وخرج الشعبى [٩٢] الى مكة فى ثلاثة أحاديث ذكرت له فقال : لعى ألقى رجلا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن على بن المدينى قال [٩٣] : قيل للشعبى : من أين لك هذا العلم كله ؟ قال : بنفى الاعتماد ، والسير فى البلاد ، وصبر كصبر الجماد .

ولم يكن هؤلاء الذين ذكرناهم هم وحدهم الذين قاموا بالرحلات من أجل طلب الحديث ، والاستبثاق منه ، وانما كان هناك غيرهم تحملوا

---

(٩٠) ابن الصلاح : المقدمة : تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٣٦٩ .
(٩١) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٤٤٢ .
(٩٢) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٢٢٤ .
(٩٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ٨١ .

المشاق ، وقطعوا المسافات رغبة فى سماع حديث ، أو لقاء صحابى للأخذ عنه •

كذلك اتجه بعض الرجال الى البحث فى أحوال الرواة ليواجهوا بذلك تيار الوضع ، ويقفوا أمام الوضاعين ، فبذلوا جهدهم فى الرحلة اليهم ليعرفوا أخبارهم ، ووضعوا الضوابط التى تحكم عدالتهم ، وعمدوا الى اختيار حفظهم •

الرواية تبين اللفظ والمعنى

التزم كثير من الصحابة رواية الحديث بلفظه كما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد استند أصحاب هذا الاتجاه الى ما أخرجه مسلم عن البراء بن عازب ، قال [٩٤] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أخذت مضجعك ، فتوضأ وضوء الصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل: «اللهم انى أسلمت وجهى اليك، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ، ولا منجا منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت» ، واجعلهن من آخر كلماتك ، فان مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة » ، قال : فرددتهن لأستذكرهن ، فقلت : آمنت برسولك الذى أرسلت ، قال : قل : آمنت بنبيك الذى أرسلت .

وكان مما قيل سبب انكاره صلى الله عليه وسلم ، ورده اللفظ أن قوله [٩٥] : آمنت برسولك يحتمل غير النبى صلى الله عليه وسلم من حيث اللفظ ، أو أن سبب الانكار أن هذا ذكر ودعاء ، فينبغى فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه ، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، فيتعين أداؤها بحروفها .

وقد لفت السنوسى الى ما فى قوله [٩٦] : « ونبيك الذى أرسلت »

---

(٩٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٧ ص ٢٢ ، ص ٢٣ .
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٠٩ ، ٢٣٦ تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم دار الكتاب العربى .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٥٣١ .
(٩٥) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٧ ص ٣٣ .
(٩٦) شرح السنوسى على صحيح مسلم جـ٧ ص ١٣٥ .
— وراجع شرح الأبى على صحيح مسلم جـ٧ ص ١٣٥ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٥٣٢ .

من الجزالة لما فيه من الجمع بين وصفى النبوة والرسالة ، والأمن من التكرار الذى يعيبه أرباب البلاغة •

وتمسك أصحاب الرواية باللفظ بحديث عبد الله بن مسعود ، قال [٩٧] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله من سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فان رب مبلغ أوعى من سامع •

ودللوا على صواب رأيهم بأن الشرع [٩٨] قد ورد بأشياء كثيرة قصد فيها الاتيان باللفظ والمعنى جميعا مثل التكبير ، والتشهد ، والأذان ، والشهادة ، واذا كان ذلك كذلك لم ينكر أن يكون المطلوب بالحديث لفظه بعينه ، ومعناه جميعا ، ومن أجل ذلك كان كل صحابى يخشى أن يقصر فى الرواية فيتزيد فيها أو ينتقص منها ، وكان يود لو أن غيره كفاه مؤونتها •

وكان عمر ممن يتمسكون بلفظ الحديث ، ولم يكن يجيز أن تستبدل كلمه بأخرى أو حرف بآخر •

قال [٩٩] : « من سمع حديثا فحدث به كما سمع فقد سلم » •

وكان أبو أمامة [١٠٠] يحدث بالحديث كالرجل الذى يؤدى ما سمع•

---

(٩٧) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٢٠٧ ط• دار الكتاب العربى •

(٩٨) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٢٣٦ دار الكتاب العربى •

(٩٩) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٢٠٧ ط• دار الكتاب العربى •

— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٥٣٨ •

(١٠٠) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص ٢٠٦ ط• دار الكتاب العربى •

وكان عبد الله بن عمر اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزيد فيه ولا ينقص منه ، ولا يقدم موضع لألفاظ ولا يؤخرها .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [101] : « بني الاسلام على خمس ، على أن تعبد الله ، وتكفر بما دونه ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصيام رمضان » فقال الرجل : تعبد الله ، وتكفر بما دونه ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، قال: لا ، لا ، اجعل صيام رمضان آخرهن كما سمعت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد بلغ حرص عبد الله بن عمر على توثيق نص الحديث ، وروايته باللفظ الذى سمعه أنه كان لا يجيز زيادة حرف واحد ولا حذفه وان كان لا يغير المعنى ، قال [102] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا على القوم المعذبين — يعنى حجر ثمود — الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين ، فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم أو قال يصيبكم مثل ما أصابهم » .

وقال سفيان [104] فى شأن ما حدث به على عن الظعينة التى حملت كتاب حاطب بن أبى بلتعة الى المشركين : لقد حفظته من عمرو بن دينار ، وما تركت منه حرفا .

وروى سفيان عن الزهرى [103] أنه سمع أنس بن مالك يقول :

---

(101) المصدر نفسه ص 210 .

(102) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، ص 212 ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ط . دار الكتاب العربى .

(103) البخارى : الصحيح : كتاب التفسير حـ 6 ص 186 .

(104) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم ص 212 ط . دار الكتاب العربى .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزباء والمزفت أن ينتبذ غيه ، فقيل لسفيان أن ينبذ فيه ، فقال : لا ، هكذا ، قاله لنا الزهرى ، ينتبد فيه •

وقال ابن عون [١٠٥] : « أدركت ثلاثة يشددون فى الحـــروف ، وثلاثة يرخصون فى المعانى، فأما الذين يشددون فى الحروف فالقاسم [١٠٦] ورجاء [١٠٧] وابن سيرين [١٠٨] ، وكان أصحاب المعانى الحسن والشعبى وابراهيم » •

كذلك كان [١٠٩] ابراهيم بن ميسرة ، وابن طاووس يحدثان كما سمعا •

وكان القوم يتبعون المحدث على لفظه وان خالف اللغة الفصيحة •

قال كعب بن عاصم الأشعرى [١١٠] : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر » يريد ليس من البر الصيام فى السفر ، وهذه لغة الأشعريين يقلبون اللام ميما ،

---

(١٠٥)ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جا ص ٩٧ •
ـــ البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٣٠ ط• دار الكتاب •
ـــ السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٣ •
(١٠٦)هو القاسم بن محمد بالحجاز •
(١٠٧)هو رجاء بن حيوة بالشام •
(١٠٨)هو محمد بن سيرين بالبصرة •
(١٠٩)البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ، تحقيق الدكتور أحمـــد هاشم ص ٢٤٢ ط• دار الكتاب العربى •
(١١٠) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية : ص ٢١٧ ، دار الكتاب العــربى •

فيقولون : « رأينا أولئك أمرجال » يريدون : الرجال ، ومررنا بامقوم : أى بالقوم ، وهى لغة مستفيضة الى الآن باليمن •

وعن أبى هريرة قال (١١١) : قلت لعثمان وهو محصور فى الدار : طاب أمضرب يا أمير المؤمنين ، (يريد : طاب الضرب) ، قال : عزمت عليك لتخرجن ، فأطعت أمير المؤمنين فخرجت •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال (١١٢) : اذا قلت لأخيك يوم الجمعة والامام يخطب أنصت فقد لغيت » وهذه لغة أبى هريرة ، انما هو لغوت وسأل (١١٣) الأسود ابن عمر كيف أصنع بيدى اذا سجدت ؟ فقال : ام بهما حوت وقعتا » و «حوث» لغة تميم •

وقد أجاز بعض الصحابة رواية الحديث بالمعنى ، وذلك اذا علموا المعنى وتحققوه ، وعرفوا القائم من اللفظ مقام غيره ، فتوفر (١١٤) لهم عندئذ القطع بأدائه •

ويتحتم هنا أن يقول المحدث عقب الحديث أو كما قال ، أو نحوه ، أو شبهه ، فكان أنس بن مالك اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١١١)البغدادى : الكفاية فى علم الرواية : ص ٢١٧ ، دار الكتاب العـــربى •

(١١٢)البغدادى : الكفاية فى علم الرواية : ص ٢١٨ ، دار الكتاب العـــربى •

(١١٣)البغدادى : الكفاية فى علم الرواية : ص ٢١٧ ، دار الكتاب العـــربى •

(١١٤)النواوى : التقريب ص ٣١١ •

وسلم ففرغ منه قال [١١٥] : أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو الدرداء اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فرغ منه قال [١١٦] : اللهم إن لم يكن هذا فكشكله .

وكان عبد الله بن مسعود اذا حدث حديثا أرعد وأرعدت ثيابه ، فقال [١١٧] : أو شبه ذا أو نحو ذا .

وكان مقصدهم من ذلك أن ينبهوا على أن ما ذكروه نقل بالمعنى ، وأما اللفظ فيحتمل أن يكون هو اللفظ المذكور ، ويحتمل أن يكون لفظا آخر ، ولم يكونوا يقولون [١١٨] ذلك الا تخوفا من الزلل لمعرفتهم بما في الرواية على المعنى من خطر ، وقد نبه البلقينى [١١٩] الى أنه ليس

---

(١١٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٩٥ .
— السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٤ ، ص ٣١٥ .
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٤١ .
— ابن ماجة : سنن المصطفى جـ١ ص ١١ .

(١١٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٩٥ .
— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٤١ .
— السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٤ .

(١١٧) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٤١ .
— البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (مخطوط) ص ١٠٩ .

(١١٨) ابن الصلاح : المقدمة : تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٣٣٤ .
— البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (مخطوط) ص ١٠٩ .

(١١٩) محاسن الاصطلاح فى ذيل مقدمة ابن الصلاح ص ٣٣٣ .

فى ذلك النقل عن هؤلاء أنهم جوزوا نقل الحديث بالمعنى كما فهم بعض ما لا يصح فهمه •

وقد أيد هؤلاء رأيهم بمجموعة من الأحاديث من ذلك :

ــ حديث عبد الله بن سليمان بن أكتمه الليثى ، قال (١٢٠) : قلت يارسول الله : انى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمع منك ، يزيد حرفا ، أو ينقص حرفا : قال : اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا ، وأصبتم المعنى فلا بأس ، غير أنه (١٢١) اعترض عليهم بأن هذا الحديث مضطرب لا يصح ، بل رواه الجوزجانى فى الموضوعات •

ــ وحدث واثلة بن الأسقع (١٢٢) : اذا حدثناكم بالحديث على معناه فحسبكم •

ــ وحديث أبى سعيد الخدرى ، قال (١٢٣) : كنا نجلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، عسى أن نكون عشرة نفر . نسمع الحديث ، فما منا اثنان يؤديانه ، غير أن المعنى واحد •

---

(١٢٠) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص٣١٣ •

ــ البلقينى : محاسن الاصلاح فى ذيل مقدمة ابن الصلاح تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٣٣٣ •

ــ البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٣٤ ط• دار الكتاب العربى • وجاء فيها أن الحديث لعبد الله بن سليمان بن أكيمة الليثى •

(١٢١) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص٣١٢•

(١٢٢) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٤٠ ط• دار الكتاب العربى •

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٢٤٠ •

ـ وحديث عروة عن أبيه قال [١٢٤] : قالت عائشة رضى الله عنها : يا بنى : يبلغنى أنك تكتب عنى الحديث ، ثم تعود فتكتبه ، فقلت لها : أسمعه منك على شىء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافا ؟ قلت لنا ، قالت : لا بأس بذلك .

وممن حدثوا بالمعنى من التابعين الحسن البصرى ، قال جرير بن حازم [١٢٥] : « سمعت الحسن يحدث بالأحاديث ، الأصل واحد ، والكلام مختلف ، وقيل له : يا أبا سعيد ، انك تحدثنا بالحديث اليوم ، وتحدث من الغد بكلام آخر ؟ فقال : لا بأس بالحديث اذا أصبت المعنى » .

وعن مالك بن أنس قال ، سمعت الزهرى يقول [١٢٦] : « اذا أصبت المعنى فلا بأس » .

وقال سفيان الثورى [١٢٧] : « لو أردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ، ما حدثناكم بحديث واحد » وقيل له [١٢٨] : حدثنا كما سمعت، فقال : لا والله ما اليه سبيل ، وما هو الا المعنى .

كذلك كان [١٢٩] عمرو بن دينار يحدث بالحديث على المعنى ؛

---

(١٢٤) المصدر نفسه ص ٢٤٠ .

(١٢٥) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

ـ السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٣ .

(١٢٦) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٨ «مخطوط» .

(١٢٧) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٨ «مخطوط» .

(١٢٨) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٤٥ .

(١٢٩) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص٣١٣ .

وذكروا أن ممن حدث بالمعنى عامر الشعبى وابراهيم النخفى وسفيان ابن عينيه .

وقد خصص بعضهم جواز الرواية بالمعنى بالصحابة دون غيرهم ، ومن هؤلاء ابن العربى فى أحكام القرآن قال (١٣٠) : « اننا لو جوزنا لكل أحد لما كنا على ثقة من الأخذ بالحديث ، والصحابة اجتمع فيهم أمران : الفصاحة والبلاغة جبلة ، ومشاهدة أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، فأفادتهم المشاهدة عقل المعنى جملة ، واستيفاء المقصود جملة » .

ونود أن ننبه أن الذكن أجازوا الرواية بالمعنى بعامة قد وضعوا شروطا نقيدها ، ولم يبيحوها لكل فرد ، وانما قصروها على من يكون « ثقة فى (١٣١) دينه ، معروفا بالصدق فى حديثه . عاقلا لما يحدث به ، عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ ، وأن يكون ممن يؤدى الحديث بحروفه كما سمع ، لا يحدث به على المعنى لأنه اذا حدث به على المعنى، وهو غير عالم بما يحيل معناه لم يدر لعله يحيل الحلال الى الحرام ، واذا أداه بحروفه ، فلم يبق وجه يخاف فيه احالته الحديث » .

وثمة شروط أخرى فرضها العلماء فيمن تجوز له الرواية بالمعنى . قال الماوردى (١٣٢) : انه ان نسى اللفظ جاز لأنه تحمل اللفظ والمعنى ؛

---

(١٣٠) السيواطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص٣١٣ .

(١٣١) الشافعى : الرسالة ص ٣٧٠ الفقرة ١٠٠١ .

— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٤٠ ط. دار الكتاب العربى .

— ابن الصلاح : المقدمة تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٣٣١ .

(١٣٢) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٣ .

وعجز عن أداء أحدهما ، فيلزمه أداء الآخر ، لا سيما أن تركه قد يكون كتما للأحكام ، فان لم ينسه لم يجز أن يورده لأن فى كلامه صلى الله عليه وسلم من الفصاحة ما ليس فى غيره ٠

وذكر السيوطى [١٣٣] أن ما تجوز روايته بالمعنى يجب ألا يكون مما تعبد بلفظه ، وألا يكون من جوامع الكلم ٠

وقد حددوا أدوات يجب أن يحوزها من تجوز له الرواية ، وهى العلم بالألفاظ ومقاصدها ، والخبرة بما يحيل معانيها ، والبصر بمقادير التفاوت بينها ٠

يقول الرامهرمزى [١٣٤] : « يسوغ للمحدث أن يأتى بالمعنى دون اللفظ اذا كان عالما بلغات العرب ، ووجوه خطابها ، بصيرا بالمعانى والفقه ، عالما بما يحيل المعنى وما لا يحيله ، فانه اذا كان بهذه الصفة جاز له نقل اللفظ ، فانه اذا كان بهذه الصفة جاز له نقل اللفظ ، فانه يحترز بالفهم عن تغيير المعانى ، وازالة أحكامها » ٠

وذكر البغدادى أن الروايه بالمعنى تباح [١٣٥] « اذا علم المعنى وتحققه ، وعرف القائم من اللفظ مقام غيره » ، وقال جمهور الفقهاء [١٣٦] : « يجوز للعالم بمواقع الخطاب ، ومعانى الألفاظ رواية الحديث على المعنى » ٠

وأيا ما كان الأمر فان رواية الحديث بالمعنى تجر الى مزالق نها

---

(١٣٣) السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٤ ٠

(١٣٤) الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٥٣٠ ٠
البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٩ «مخطوط» ٠

(١٣٥) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٣٣ ٠

(١٣٦) البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٢٣٣ ٠

خطورتها ، ذلك لأن كل لفظ له دلالته . والمترادفات متفاوتة فيما بينها، فضلا عن أن الاستعمال اللغـوى ، والسياق الذى ينتظم الكلمة قد يكسبها معنى محددا لم تذكره المعاجم • ، والمسلمون يتفاوت علمهم بالعربية ؛ وقد يقصر جهدهم عن التعبـير عن المعنى بأسلوبهم وقد يخطئهم الكلام فيما يمس العبادات ، ويختص بالأحكام ، فينبنى على خطئهم تحريم حلال ، أو تحليل حرام •

ولئن تجوز بعض السلف فى هذا الأمر ، فان ذلك كان عن علم بالمعنى المراد والبصر به ، ودراية بالألفاظ ، ومعرفة بدلالتها ، ولم يكن تساهلا منهم بشأن الحديث ، لقد كان القوم يجلونه ويعظمونه فخشوا أن تسبق الى ألسنتهم كلمة ليست منه ، أو يغلبهم السهو فلا يذكرون حرفا كان فيه ، وبذلك لا يذكرون الألفاظ بذواتها ، وهم فيما يصنعون يثقون أنهم على الجادة ؛ لا يغيرون حكما ، ولا يبدلون سنة ؛ لأن قرب العهد بعصر النبى صلى الله عليه وسلم ونقاء العقيدة يحولان دون التزيد فى الحديث وبخاصة ممن عمرت قلوبهم بالإيمان •

ثم ان هناك من نبه الى أن ما كان الصحابة يلتزمونه فى عقب تحديثهم من عبارات مثل « أو كما قال » ، « أو شبه هذا » ، « أو نحو هذا » لا يجيز الرواية بالمعنى ، وانما هو محمول على الخشية من التقصير فى حق الحديث ، والخوف من عدم اصابة اللفظ النبوى نفسه، يقول البلقينى : « ليس فى ذلك النقل عن هؤلاء أنهم جوزوا نقـل الحديث بالمعنى كما فهمه بعض ما لا يصح فهمه » •

وكان من يتصدون للرواية يحذرون اللحن فيها لأنهم حين يلحنون يكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم .•

ولم يكن يقصد باللحن مخالفة صواب الاعراب فقط . وانما كان

يقصد به أيضا النطق بكلمة على وجه لا يثبت عند العرب ، وان لم يكن خطأ فى الاعراب •

ومن المؤرخين (١٣٧) ما يعود بظهور اللحن الى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قالوا ان رجلا لحن بحضرته ، فقال : أرشـــدوا أخاكم فقد ضل » ، وكذلك روى الزهرى عن سالم عن أبيه قال (١٣٨) : مر عمر بن الخطاب على قوم يرمون رشقا ، فقا ل: بئس ما رميتم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين : انا قوم متعلمين ، فقـــال : والله لذنبكم فى لحنكم أشد على من خطئكم فى رميكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رحم الله رجلا أصلح من لسانه •

وقد تنبه المسلمون الى خطر اللحن على النص القرآنى منذ وقت مبكر ، فاتجه عبد الله بن عباس «توفى سنة ٦٧هـ» الى فهـــم غريب القرآن ، فى ضوء الدلالة اللغوية للألفاظ ، كما يحددها استعمالها فى الشعر الجاهلى ، ووضع أبو الأسود قـــواعد يستن بهـــا القوم فى ضبط الكلمات ، كذلك تنبهوا الى خطره على الحديث ، فكانوا على حذر من أن يشوبه شىء منه ، كذلك توقف القوم عن رواية أى حديث بقراءة لحان أو مصحف ، قال على بن الحسن لابن المبارك : « يكون فى الحديث لحن أقومه ، قال : نعم ، لأن القوم لم يكونوا يلحنون ، اللحن منا »•

وشكا سيبويه حماد بن سلمه الى الخليل فقال له : « سألته عن حديث هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف «بضم العين» ، فانتهرنى ،

---

(١٣٧) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ٢ ص ١٥٥ •
— ابن جنى : الخصائص جـ٢ ص ٨ •
(١٣٨) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٩٩ «مخطوط» •

وقال : أخطأت ، انما هو رعف بفتح العين . فقال الخليل : صدق ، أتلقى بهذا الكدم أبا أسامة » •

وكذلك أوجبوا على طالب الحديث أن يدرس النحو . ويتعلم اللغة ، روى الخطيب عن شعبة قال : من طلب الحديث ، ولم يبصر العربية كمثل رجل عليه برنس ، وليس له رأس •

والذى يجب أن يكون عليه المسلمون هو أن [139] الحديث ان كان مشتركا أو مجملا أو متشابها أو من جوامع الكلم لم يجز نقله بالمعنى •

---

(١٣٩)التهانوى : قواعد فى علوم الحديث ص ٤٧ •

الفصل الثالث

حفظ الحديث وكتابته

تذاكر الحديث وحفظه

درج الصحابة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يروى بعضهم عن بعض فكانوا يسمعون ، ويسمع منهم ، ليحافظوا على السنة ، ويصونوا الحديث ، كما حفزوا على درسهما .

قال عمر [1] : تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن وكانوا يرون أن تذاكر الحديث فيه أحياء له ، قال على بن أبى طالب[2]: أكثروا ذكر الحديث فانكم ان لم تفعلوا يندرس الحديث ، وقال عبد الله ابن مسعود [3] : « تذاكروا الحديث فان ذكر الحديث حياته » ، وقال أبو سعيد الخدرى [4] : تذاكروا الحديث ، فان مذاكرة الحديث تهيج الحديث .

---

(١) الحاكم : المستدرك : كتاب العلم جـ١ ص ٩٥ .
— سنن الدارمى : المقدمة : باب مذاكرة العلم جـ١ ص ١٤٦ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ٢ ص ٤٢ ، مطبعة العاصمة .

(٢) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ١٤١ .
— البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص٥٠ ، ٥١ . «مخطوط» .
وفى رواية «تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس» .
— البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٦ ،

(٣) الحاكم : المستدرك على الصحيحين جـ١ ص ٩٥ .
— البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٥١ .

(٤) الحاكم : المستدرك على الصحيحين جـ١ ص ٩٤ .
وفى رواية «تحدثوا وتذاكروا فان الحديث يذكر بعضه بعضا».
— البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٦ .

ووقف عمرو بن لعاص على حلقة من قريش فقال [٥] : « مالكم قد طرحتم هذه الأغيلمة ؟ لا تفعلوا ، وأوسعوا لهم فى المجلس ، وأسمعوهم الحديث ، وأفهموهم اياه ، فانهم صغار قوم أوشكوا أن يكونوا كبار قوم ، وقد كنتم صغار قوم ، فأنتم اليوم كبار قوم » .

وقال ابن عباس [٦] : « تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم ، فانه ليس بمنزلة القرآن ، القرآن مجموع محفوظ ، وانكم ان لم تذاكروا هذا الحديث تفلت منكم ، ولا يقل أحدكم حدثت أمس لا أحدث اليوم ، بل حدث أمس ، وحدث اليوم ، وحدث غدا » كما كان يقول [٧]: « اذا سمعتم منا شيئا فتذاكروه بينكم » .

وكان من يجلس للتحدث عليه أن يراعى قدرة من يستمعون اليه ، ويأخذون عنه ، قال : عبد الله بن مسعود [٨] : ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم .

وحث على التحديث بالمشهور ، وزجر عن رواية غير المعروف فقال [٩] : حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

وقد جعل الصحابة من صدورهم أوعية للحديث ، واتخذوا من رءوسهم خزائن له ، فعمدوا الى حفظه ، وقصدوا الى استظهاره ، وهم

---

(٥) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٣٦ .
(٦) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٥١ .
(٧) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٥١ .
(٨) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٦ «مخطوط» .
(٩) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ١ ص ١٢ .

من قوة الذاكرة على قدر . ومن القدره على الحفظ على مستوى قد لا يدلنون فيه .

قال ابن عباس [10] : « انا كنا نحفظ الحديث ، والحديث يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأما اذا ركبتم الصعب والذلول فهيهات » .

ومقصد ابن عباس أنهم كانوا يحفظون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنايتهم به . فلما حدث الافراط فى الرواية بعد الاعتماد على النقل .

وكان حفظ الحديث مما يرفع المنزلة . ويعلى المكانة :

يقول القسطلانى [11] : كان لا يشرف بينهم أحد بعد حفظ التنزيل الا بقدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم فى النفوس الا بحسب ما سمع من الحديث عنه ، كان اعتمادهم أولا على الحفظ والضبط فى القلوب والخواطر .

وقد جاء فى حق أصحاب الحديث وحملته أنهم أمناء [12] الله تعالى على دينه وحفاظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما عملوا وعلموا، وفى رواية عن عبد الله بن مسعود [13] أنهم انما يجتمعون على ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسمونه .

وكان كل صحابى يتمسك [14] بما حفظ عن رسول الله صلى الله

---

(10) ابن ماجة : سنن المصطفى جا ص ١٢ .
(11) القسطلانى : ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى جا ص ٧ .
(12) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٤
(13) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٣٦

عليه وسلم ، ويجعل درجة حفظه هى مقياس التثبت ممـا يحدث به لتخرجه من الرواية ، ولحرصه أن يكون ما يرويه هو عين ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم .

قال شداد بن أوس [١٥] : ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته .

وكان من يروى حديثا يبالغ فى أظهار حفظه له ، والتثبت منه ، وأنه لم يأخذه بواسطة ، قال أبو شريح [١٦] لعمرو بن سعيد ، وهو يبعث البعوث الى مكة : « ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبى صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ، ووعاه قلبى وأبصرته عيناى ... الحديث » .

وكان تخوفهم من ألا يكونوا حفظوا الحديث على وجهه يمنعهم من روايته خشية أن يخطئوا فى أدائه فيقعوا بذلك فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان [١٧] : ما تمنعنى أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون أوعى أصحابه عنه ، ولكنى أشـهد لسمعته يقول : من قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار .

---

(١٤) انظر صحيح مسلم : جا كتاب الايمان ص ١٦٦ .
(١٥) صحيح مسلم بشرح النـووى ج ١٣ كتاب الصيد والذبائح ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ .
(١٦) ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جا ص ١٦٠ .
— النسائى : سنن النسائى جه كتاب مناسك الحج ص ٢٠٥ .
(١٧) مسند أحمد بن حنبل جا ص ٦٥ .

وكان جابر بن عبد الله لكثرة ورعه يقول [١٨] وهو يحدث : وأخاف ألا أكون أحفظ ذاك .

وكان بعض الصحابة يحبون أن يؤخذ عنهم الحديث حفظا ، كما أخذوا حفظا ، ليضيف الى فضيلة السماع فضل الحفظ . قال أبو سعيد الخدرى [١٩] : خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم .

وكان سؤال من حفظ الحديث عن مصادره التى حفظ منها لمعرفة عمن حفظ سببا فى الاطمئنان اليه ، والوثوق بما يحدث به ، فقد سئل [٢٠] أنس بن مالك عن التكبير فى الصلاة ، فقال يكبر اذا ركع ، واذا سجد ، واذا رفع رأسه من السجود ، واذا قام من الركعتين . فقال حطيم (وهو شيخ كان يجالس أنس بن مالك) عمن تحفظ هذا ؟ فقال : عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم سكت فقال له حطيم : وعثمان ، قال : وعثمان وكان عمر يعجبه الرجل بشدة حفظه فيثنى عليه ، سأل مرة أصحابه [٢١] : أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتن ، فقال له حذيفة : أنا ، قال : أنت لله أبوك .

---

(١٨) صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان ص ١٧٩ .

(١٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٦ .

(٢٠) النسائى : السنن جـ٣ كتاب السهو ص ٢ .

(٢١) صحيح مسلم : جـ١ كتاب الايمان ص ١٣٠ .

— وانظر ابن ماجة : سنن المصطفى جـ٢ كتاب الفتن ص ١٣٠٥ .

— « لله أبوك » كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها ، فاذا وجد من الولد ما يحمد ، قيل له لله أبوك حيث أتى بمثلك » .
انظر شرح النووى على صحيح مسلم جـ٢ ص١٧٢ .

وكانت عائشة [٢٢] تعقد ما يشبه الاختبار لتتأكد من ضبط الراوى للحديث ، فقد روى عنها أنها قالت لعروة بن الزبير ، يا ابن أختى بلغنى أن عبد الله بن عمرو مار بنا الى الحج فالقه ، فاسأله فانه قد حمل عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا ، قال : فلقيته ، فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال عروة ، فكان فيما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعا ، ولكن يقبض العلماء ، فيرفع العلم معهم ، ويبقى فى الناس رءوسا جهالا ، يفتونهم بغير علم ، فيضلون ويضلون : قال عروة ، فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته ، قالت : أحدثك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة : نعم . حتى اذا كان عام قابل ، قالت لى : ان ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكره لك فى العلم ، قال : فلقيته ، فسألته فذكره لى نحو ما حدثنى به فى مرته الأولى ، قال عروة ، فلما أخبرتها بذلك ، قالت : ما أحسبه الا قد صدق، أراه لم يزد عليه ولم ينقص » .

وروى البخارى [٢٣] فى بعض طرقه ، **فقالت عائشة : والله** . لحفظ عبد الله بن عمرو وقال النووى : ليس معنى ذلك أنها اتهمته ، لكنها خافت أن يكون اشتبه عليه . أو قرأه من كتب الحكمة ، فتوهمه

---

(٢٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ١ ص٥٢ .
— وانظر صحيح مسلم بشرح النووى : جـ١٦ ص ٣٣٥ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ٢ ص ٢٦٣ .
(٢٣) البخارى : الصحيح جـ٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ص ١٣٣ ط. الشعب .

عن النبى صلى الله عليه وسلم . فلما كرره مرة أخرى ، وثبت عليه غب على ظنها أنه سمع من النبى صلى الله عليه وسلم [٢٤] .

وقد دأب الخلفاء على التثبت من حفظ الحديث وضبطه .

يقول أبو الزعيزعة [٢٥] .. دعا مروان أبا هريرة فجعل يسأله ، وأجلسني خلف السرير ، وجعلت أكتب عنه حتى اذا كان رأس الحول، دعا به فأقعده من وراء الحجا ب، فجعل يسأله عن ذلك الكا ب فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا أخر .

وكان بعض الصحابة يحبون أن يؤخذ منهم الحديث حفظا . كما أخذوا حفظا ، ليضيف الى فضيلة السماع فضل الحفظ .

قال أبو سعيد الخدرى : « خذوا عنا كما أخذنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم » .

وقد التزم التابعون والخالفون نهج الصحابة [أ] كان سعيد بن المسيب يحضر مجالس المحدثين ولا يتكلم حتى يقوم لكى يحفظ ما يتحدثون به ، فكان عروة [٢٧] يوصى بنيه وطلابه بمذاكرة الحديث ؛

---

(٢٤) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٦ ص ٢٢٥ .
— وانظر شرح الأبى على صحيح مسلم جـ٧ ص ١٠٩ .
— وشرح السنوسى على صحيح مسلم ص ١٠٩ .
(٢٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٨ ص ١٠٦ .
— الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ٢ ص ٤٣١ .
(٢٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٦ .
(أ) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٦ ص ١٧٩ .
(٢٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى قسم٢ جـ٢ ص ١٣٤ — ١٣٥ .

وحضور مجالسه ، وكان علقمة [٢٨] يشجع تلاميذه على درس الحديث .
وكان من رأى الأعمش [٢٩] أن اضاعة الحديث التحديث به عند غير أهله ، وكان الأعمش يرى أن طلب الحديث يجب أن يسبقه حفظ القرآن يقول حفص بن عياش [٣٠] : أتيت الاعمش فقلت : حدثنى ، قال : أتحفظ القرآن ؟ قلت : لا ، قال : اذهب فاحفظ القــرآن ، ثم هلم أحدثك : قــال : فذهبت فحفظت القــرآن ، ثم جئته ، فاستقرأنى ، فقرأته ، فحدثنى . وقال عكرمة [٣١] : ان لهذا الحديث ثمنا ، قالوا : وما ثمنه ، قال : أن يوضع عند من يحسن حفظه ولا يضيعه .

ولم يكن حفظ الحديث يقف عند حد استظهاره واختزانه ، وانما كان يعنى أن يصبح سلوكا متبعا ، وعملا نافذا .

قال وكيع [٣٢] : اذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به .

وقد كان القوم يدركون أثر العوامل التى تعرض للمرء فتحول دون ضبطه وحفظه مما يجعل الخطأ يجوز عليه .

قال عبد الرحمن بن أبى ليلى [٣٣] : قلنا لزيد بن أرقم ، حدثنا

---

(٢٨) الرامهرمزى : المحدث الفاصل .
(٢٩) الرامهرمزى : المحدث الفاصل .
(٣٠) الرامهرمزى : المحدث الفاصل .
(٣١) البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٧٣ « مخطوط » .
(٣٢) السيوطى : تدريب الراوى على شرح تقريب النواوى ص٣٤٧ .
(٣٣) من كبار التابعين (مات سنة ٨٦هـ فى وقعة الحجاجم) :
— السيوطى : طبقات الحفاظ ص ١٩ .
— راجع أخباره عند يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ٢٥٦ .
— ابن ماجة : سنن المصطفى جـ١ ص ١١ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كبرنا ونسينا . والحديث عن رسول الله شديد ولأهمية الضبط اشترطوه فى توثيق الراوى ، فقد عرفوا الحديث الصحيح [٣٤] بأنه الذى اتصل سنده بنقل العدل الضابط من أوله الى منتهاه ، وسلم من شذوذ وعلة قادحة . ولما كان الغلط لايسلم منه أحد فقد أطلقوا الضابط على الرجل حين يغلب الحفظ عليه .

يقول الترمذى [٣٥] : « وانما تفاضل أهل العلم بالحفظ والاتقان والتثبت عند السماع ، مع أنه لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة مع حفظهم ، ولذلك احترز المحدثون . ثم يمنبوا فى ال حيح كل روايات الثقة ، وانما اختاروا ما كانت تغلب عندهم سلامته من الخطأ » .

كتـــابة الحـديث

ان قضية كتابة الحديث فى عصر الصحابة والتابعين قد تعرضت للنقاش فى القديم والحديث ، وأدلى فيها كثيرون بآرائهم .

وفى رأيى أن البحث فى هذه القضية ، واصدار حكم قاطع فيهـا لا يتأتى للمرء الا اذا استطاع أن يعود الى الوراء ليعايش هذا العصر فكرا ووجدانا ، وليكون على مقربة من الأحداث . فالصحابة قد أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أخذ بعضهم عن بعض بقدر ما سمحت به ظروفهم على ما بينهم من تفاوت ، كذلك كتبوه فى زمنه وزمنهم حسب ما وسعتهم امكاناتهم وقدراتهم ، فكان الحديث فى عهدهم محفوظا وان كان فى أكثر من صدر ، كما كان مكتوبا لكن موزعا فى أكثر من صحيفة ، والبحث المتأنى المنصف يمكن أن يدلل على ذلك ،

---

(٣٤) أنظر فى تعريف الحديث الصحيح : ابن كثير : انباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث ص ٥ ، ٦ .

(٣٥) الترمذى : السنن جـ١٣ ص ٣٢١ .

وما علينا اذا وقفنا على أقوال من يخالفون هذا الرأى . للنظر الى الأمور من موقعهم ، ولنجعل هذا أساسا لفهم آرائهم ، ومعرفة مقاصدهم وغاياتهم .

يقول الذهبى (ـ ٧٤٨هـ) [٣٦] : « ان علم الصحابة والتابعين فى الصدور ، فهى كانت خزائن العلم لهم » .

ويقول ابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ) [٣٧] : « والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا عن التعليم والتأليف والتدوين ، ولا رجعوا اليه ، ولا دعتهم اليه حاجة وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين » .

وقد تداول المؤرخون هذه الفكرة ، وأنت تجدها واضحة عندهم ، وهم يسرفون فى القول فيها ، فى حين يأتى كلامهم عما يناقضها موجزا مقتضبا مما يكاد يصرف الأنظار عن التوقف عنده .

يقول المقريزى (ـ ٨٤٥هـ) [٣٨] : « ثم كثر الترحال الى الآفاق ، وتداخل الناس ، والتقوا ، وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوى وتقييده » وهو بذلك يريد أن ينفى الكتابة عن الحديث قبل ذلك .

ويقول ابن حجر العسقلانى (ـ ٨٥٢هـ) [٣٩] : « اعلم أن آثار النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن فى عصر أصحابه ، وكبار تبعهم مدونة فى الجوامع ، ولا مرتبة لأمرين : أحدهما أنهم كانوا فى ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك ، وثانيا : لسعة حفظهم ، وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة ، ثم حدث فى أواخر عصر التابعين تدوين الآثار ، وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء فى الأمصار » .

---

(٣٦) تذكرة الحفاظ جـ١ ص ١٥١ .
(٣٧) المقدمة : ص ٤٨٠ ط ١٣٨٤ .
(٣٨) الخطط جـ٢ ص ٣٣٣ .
(٣٩) مقدمة فتح البارى ص ٤ .

فأما عن الذهبى فهو يؤكد فضيلة الحفظ للصحابة ، وأنهم جعلوا من صدورهم أوعية للعلم ، وهذا لا ينفى عنهم كتابة الحديث ، وهو يقرر فى موضع آخر « أنهم كانوا يروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة » .

وأما ابن خلدون فهو يصدر فى رأيه عن معتقد خاص له فى العرب. فهو يرى أنهم ليسوا أهل صنايع . كما أنهم ليسوا أهل تعليم وتأليف وتدوين وعبارة المقريزى توضح الأسباب التى دعت الى جمع الحديث فى نظـره ، وهى خروج الصـحابة والتابعين الى الأمطار المفتوحة واحتياجهم الى الحديث ، ودخول كثير من غير العرب فى الاسـلام ، وهؤلاء يلزمهم أن يكون القرآن والحديث مكتوبا بين أيديهم

وأما ابن حجر فيرى أن الصحابة لم يدونوا الحديث فى جوامع ، وهو يقدم لذلك ثلاثة أسباب هى على التوالى ما يذكره من حديث النهى عن كتابة غير القرآن ، ثم قوة الذاكرة عند القوم . وعدم معرفة أكثرهم الكتابة .

وربما وجد المدقق فى هذه الآثار ما ينفى عن أصحابها الظن الذى نأخذهم به ، فهم يستخدمون كلمات تجعل المرء يحار عند التعـرض لآرائهم ، ومحاولة الوقوف منها على وجهة نظرهم فى هذه القضية . فابن خلدون يستخدم كلمة التدوين والمقريزى يستعمل « جمع الحديث وتقييده » ، وابن حجر يجرى عنده لفظ « مدونة فى الجوامع » ، كما يرد فى كلامه لفظ مرتبة .

والدلالات اللغوية لهذه الكلمات قد تبرىء القوم مما حمل عليهم . وأخذوا به ، وفى الوقت ذاته تضيق شقة الخلاف بيننا وبينهم ان لم تمحه ، ولا تجعل لأحد سبيله الى الاحتجاج بكلامهم ليدلل به على أن الحديث لم يكتب فى عهد الصحابة .

فالتدوين يعنى الجمع فى كتاب ، وهو أوسع من التقييد اذ التقييد يعنى الكتابة .

هذا أمر قد يفهمه المختصون الذين يعرفون الفروق الدقيقة بين الكلمات ، وما تؤديه كل كلمة منها ، ولكن ان جاز لنا القول بأن ذلك ربما خفى على العامة ففهموا منه أن الحديث لم يكتب الا فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، فهل لنا من سبيل الى تلمس الأعذار لذوى الاختصاص حين يقولون به ، وبعضهم ممن لا يشك فى طويته . ربما كان السياق الذى وردت فيه الكلمات حمل على الايحاء بما يثبت فى الأذهان عند سماعها أو قراءتها من أن الحديث لم يكتب الا حين دونه ابن شهاب الزهرى[4] . وربما كانت طريقة المعالجة للفكرة والتوسعة فيها، وعدم التعرض لنقيضها الا بقدر ، هو الذى مهد السبيل الى القول بذلك .

وسبب آخر لا نستطيع أن نغفله فى هذا الصدد ، وهو أن المستشرقين قد جروا على القول بعدم كتابة نصوص الاسلام الوحيية فى حينها ، ليرتبوا على ذلك أنها ليست قطعية فى ثبوتها ، فالذاكرة مهما غالينا فى قدرتها على الحفظ ، يجوز عليها الخطأ ، كما يجوز عليها النسيان ، مما يحمل على الظنية فى ثبوت النصوص التى تترك لحوزية التقاليد الشفوية .

ومهما كان الأمر ، فان الباحث من موقعه الذى حدده لنفسه من العصر وأحداثه يستطيع أن يقدم رؤية جديدة ، فيها من التجرد والانصاف ، ما يعين على ايضاح الحقيقة .

لقد بادر المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى جمع القرآن ، فقد نبهتهم حرب الردة ، وما استشهد فيها من القراء الى المحافظة على أصول الشريعة ذلك لأن المرتدين استهدفوا بحركتهم

الاصطدام مع النص القرآنى . وقد شرح الله صدر أبى بكــر لذلك فاستجاب لما أشار عمر به . وكلف زيد بن ثابت بهذه المهمة فاضطلع بمسئوليتها على خير وجه .

ونود أن نلفت الى أن جمع الحديث قد شغل أولى الامر منذ وقت مبكر من حياة الجماعة الاسلامية ، لكن الخشية على حجية النص القرآنى ، والخوف من اختلاطه بما ليس فيه حجبت هذه الرغبة الى حين ، فقد جمع [٤٠] أبو بكر الصديق خمسمائة حديث ثم أحرقها .

ولو أن أبا بكر كان يرى كراهة الكتابة ما أقدم على ذلك مطلقا ، ولذلك فهذا الخبر يؤكد احساس الدولة ممثلة فى الخليفة بضرورة التوجه الى كتابة الحديث وجمعه فى هذا الوقت المبكر من حياة الاسلام .

ويرجح عندى أن هذا الخبر كان فى أول خلافة أبى بكر ، وربما عاصر حركة الردة ، وربما حدث فى أعقابها على أكثر تقدير ، اذ لم لا تكون الخشية على النص القرآنى ابان حركة الردة قد ولدت الخشية على نص الحديث ؟ ولم لا تكون الهمة التى توجهت الى حرب المرتدين من أجل تثبيت الاسلام ، وصيانة كتابه ، قد توجست شرا بالحديث ، فبادرت الى توثيق نصه بكتابته وجمعه .

وكما حدث فى جمع القرآن حدث فى جمع الحديث ، وبعد انجاز مرحلة من الجمع توقف العمل لأن القائمين عليه تبينوا أنه ليس خيرا خالصا ، ففى هذه الفترة ، كان جمع القرآن هو الذى يشغل القوم ، وكانت المحافظة على حجيته تستحوذ على اهتمامهم ، ومن هنا فان توقف أبى بكر يمكن حمله على ذلك ؛ فربما خشى أن تلتبس نصوص

---

(٤٠) الذهبى : تذكرة الحفاظ جا ص ٥ .

القرآن ونصوص الحديث على بعض المسلمين . ممن يكونون من غير أصحاب السابقة فى الاسلام .

ولذلك أبادر فأقول ان كتابة الحديث يجب النظر اليها فى ضوء المتغيرات التى صاحبتها ، ومن التعسف أن نقفه عند بعض الأقوال التى وردت بشأنها دون بعضها الآخر ، ونحكم حكما عاما ، وانما علينا أن نضع فى حسابنا منذ البدء كل ما ورد فى هذا الشأن ؛ ولئن كانت النظرة العجلى ترى بين الروايات شيئا من التناقض يتمسك بأطرافه بعض الباحثين حين يثبتون الكتابة أو ينفونها ، فان أصحاب البصر المتأنى ممن لا تخدعهم الظواهر لا يرون فى هذه الروايات ما يقلق بالهم أو يزعزع ثقتهم فى أن الحديث لقى من الدولة عناية بالغة منذ عهد أبى بكر .

ولئن وجدنا فى الخبر السابق ما يفيد توقف أبى بكر عن جمع الحديث ، فان ذلك يرتبط بالظروف التى سادت الدولة عندئذ .

ألا يمكن أن يكون أبو بكر قد وجد أن الوسائل القائمة على نص الحديث تحقق له السلامة حقا ، وبخاصة أننا نعود فنؤكد أن الحديث كان محفوظا ومكتوبا فى صدور المسلمين ، وصحفهم منذ عهد النبوة على درجات متفاوتة ، فقد حفظ الحافظون ما استطاعوا منه ، كما كتب الكاتبون ما قدروا على كتابته من نصوصه ؛ وما على الدولة الا أن تفرغ للقرآن ، وترجىء جمع الحديث الى حين .

ويقوى هذا الرأى أن الأسباب التى دعت الى جمع القرآن فى عهد أبى بكر ، وفى عهد عثمان حركت الخوف عليه . فى حين أن أسباب جمع الحديث لم تكن قد بلغت من الحدة درجة توجب الاستجابة الفورية لهـا .

والواقع يؤكد ما نقول ، فحين ظهرت الحاجة الى ذلك لم يظهر

ما يقف فى وجهها أو ما يعارضها ، وانما رأينا الاستجابة العاجلة لها ، فقد كتب[41] أبو بكر لأنس بن مالك فرائض الصدقة التى سنها الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذا ما كان من شأن أبى بكر . فأما عن عمر بن الخطاب ، فقد وجدنا أن فكرة جمع الحديث مازالت قائمة عنده ، بل اننا نجدها قد أصبحت تلح عليه ، وتفرض نفسها . دون أن تجد ما يدفعها أو يسد الباب امامها . وتحدثنا الأخبار أنه أقدم على تنفيذها . فاستشار فيها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . ولم ينازعه أحد فيها . وانما أشار عليه عامتهم بها . ثم انه لبث شهرا يستخير الله تعالى فى هذا الأمر حتى أصبح يوما وقد عزم الله تعالى له . فقال [42] : « انى كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم . ثم تذكرت فاذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا ، فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا » . وترك كتابة السنن .

---

(41) انظر تقييد العلم ص ٨٧ .
— راجع رد الدارمى على بشر المريسى د ص١٣١ .
(42) السيوطى : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك : المقدمة ص ٤ .
— السيوطى : تدريب الراوى ص ٢٨٧ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٧ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ .
— الخطيب البغدادى : تقييد العلم ص ٥٠ .
— طبقات ابن سعد : جـ٣ قسم ١ ص ٣٠٦ .
— راجع قول عمر : لا كتاب مع كتاب الله :
ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٧ .

لقد أراد عمر أن يقوم بجمع السنن لأنه رأى فى ذلك خيرا ، وكان رأى الصحابة من رأيه ، ولئن رأيناه قد انثنى عن اتمام هذا العمل فاننا نقدر العذر الذى أبداه . والانصاف يقتضى ربط الحوادث بعصرها ودراستها فى ضوء المتغيرات من حولها ، فالقرآن كان عندئذ [٤٣] «غضا طريا ، وكانت الأمم تدخل فى دين الله أفواجا ، فلابد من توفرهم على كتاب الله حفظا ودراسة وتلاوة حتى يكون الأساس لعقيدتهم والحامى لها من كل لبس وتغيير » .

لذلك كان للمدينة سابقة فى الدين والتدين ، فقد كان اليهود يسكنونها ، وكان لهم كتابهم ، وقد تحدث القرآن عنه فى قوله تعالى : « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » ولكن هؤلاء لم يصونوا كتابهم ولم يحفظوا قداسته ، وحجيته ، وانصرفوا عنه الى كتب كتبتها أيديهم . وقد لمس المسلمون ذلك ، ووقفوا عليه ، وعمر وهو فى موضع المسئولية من المسلمين ، يحضره مسلك القوم مع كتابهم فيخلص منه الى عبرة ، فيتوقف عما كان قد بدأ لأنه يخشى أن هو فعل حدث ، فاحجام عمر اذن لم يكن [٤٤] لكراهة الكتابة ، بل المانع يقتضى أن يتريث فى التدوين الجمع لمصلحة أخطر وأعظم ، ولذلك رأيناه يكتب بنفسه لمن يأمن عليه اللبس ، ويثق به ، وربما سمح عمر رضى الله عنه بالكتابة بعد أن رأى حفظ الأمة لكتاب الله تعالى بجمعه فى المصحف الشريف .

ويقوى هذا ما يروى عن عمرو بن أبى سفيان من أنه سمع عمر

---

(٤٣) مصطفى السباعى : السنة ومكانتها من التشريع ص ١١٤ .
(٤٤) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٣١٦ .

ابن الخطاب يقول « قيدوا العلم بالكتاب » [٤٥] ، كذلك كتب [٤٦] الى عتبة بن فرقد بأشياء يحدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم فكان فيه كتب اليه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يلبس الحرير فى الدنيا الا من ليس له فى الآخرة منه شىء الا هكذا ، وقال باصبعيه السبابة والوسطى ، قال أبو عثمان : فرأيت أنها أزرار الطيالسة حين رأينا الطيالسة .

ظلت كتابة الحديث وجمعه اذن مسئولية شخصية ، يقوم بها الصحابة منفردين بما أتيح لهم من وسائل ، وما توفر لهم من جهد ، وكان من يكتب يحتفظ لنفسه بما يكتب .

وكان أنس بن مالك يأمر [٤٧] بنيه بكتابة الحديث والاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلمهما ، وقال : كنا لا نعد علم من لا يكتب علمه علما ، وكان يقول [٤٨] لبنيه يا بنى قيدوا العلم بالكتاب ، وكان اذا كثر الناس فى مجلسه أتى بمجال من كتب فألقاها ، ثم قال : هـذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه .

وكان من يحضرون مجالس البراء بن عازب ، وهو يحدث يكتبون ما يحدثهم به ، قال عبد الله بن حنيس [٤٩] : رأيتهم عن البراء يكتبون

---

(٤٥) تقييد العلم ص ٨٨ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٣٧ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٣ .
— البغدادى : الكفاية ص ٣٥٤ .
(٤٦) مسند الامام أحمد جـ١ ص ٢٦١ .
(٤٧) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٥٢ .
(٤٨) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٧ .
(٤٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٧ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٥ وفيه انه عبد الله بن حنش .

على أيديهم بالقصب . وقال أبو سلمه [٥٠] بن عبد الرحمن بن عوف ان فاطمة بنت قيس أملت عليها أنها حين أخبرت رسول الله بتطليقها الثالثة قال لها ، ليس لها نفقة ولا سكنى ؛ وليس لزوجها فيها ردة ؛ وعليها العدة ، فكتبه أبو سلمة بيده .

وكان واثلة بن الأسقع [٥١] (توفى سنة ٨٣هـ) يملى [٥٢] على الناس وهم يكتبونها بين يديه .

واذا كان بعضهم قد وردت عنهم أقوال تشير الى كراهتهم كتابة الحديث فان لدينا فى المقابل أقوالا لهم تؤكد اباحتهم لها ، بل وحثهم عليها مما يجعلنا لا نقف عند أقوالهم فى الكراهة ، ونحكم بهـا على موقفهم من هذه القضية .

وأعود فأنبه الى أن اختلاف ما روى عن الصحابة فى شأن كتابة الحديث ليس تضادا كما يسبق الى الوهم ، فهـم لم يقولوا بالشىء وضده ، وانما بيان الأمر أنه عندما انتفت علة كراهة الكتابة ، وهى الخوف على القرآن من أن يختلط بغيره ، أو يشغل المسلمون عنه بسواه أو تتسرب اليه مرويات أهل الكتاب ، وفيها يلتبس الصواب بالخطأ ــ زال الحرج منها ، وبدت أهمية تقييد الحديث .

وقد عرض البغدادى لبيان العلة فى كراهة الكتابة فى قوله [٥٣] :
« ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول ، انما هى لئلا يضاهى

---

(٥٠) أحمد بن حنبل : المسند : جـ٦ ص ٤١٤ .
(٥١) وفى قول انه توفى عن مائة سنة وخمس سنين . يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ٦٢٧ .
(٥٢) السيوطى : تدريب الراوى ٣٣٨ .
(٥٣) البغدادى : تقييد العلم . ص ٥٧ .

بكتاب الله تعالى غيره ، أو يشتغل عن القرآن بسواه ، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ ، لأنه لا يعرف حقها من باطلها ، وصحيحها من فاسدها، مع أن القرآن كفى منها ، وصار مهيمنا عليها . ونهى عن كتب العلم فى صدر الاسلام وجدته لقلة الفقهاء فى ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحى وغيره ، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا فى الدين ، ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن •

ويتفق ابن عبد البر مع البغدادى فى أن النهى عن كتابة الحديث يرجع الى الخوف من أن يتخذ القرآن كتاب يضاهى به ، ولكنه يضيف سببا آخر هو الخشية من الاعتماد على الكتابة ، فيقل الحفظ والحفاظ، وثقة القوم فى ذاكرتهم لا تحد قال [٥٤] : من كره كتابة العلم انما كرهه لوجهين : أحدهما ألا يتخذ مع القرآن كتابا يضاهى به ، ولئلا يتكل الكاتب على ما كتب ، فلا يحفظ ، فيقل الحفظ •

عن أبى بردة قال [٥٥] : كان لأبى موسى تابع فقذفه فى الاسلام فقال لى : يوشك أبو موسى أن يذهب ولا يحفظ حديثه ، فاكتب عنه ، قال : قلت : نعم ما رأيت ، قال : فجعلت أكتب حديثه ، قال فحدث حديثا فذهبت أكتبه كما كنت أكتب فارتاب بى وقال : لعلك تكتب حديثى، قال ، قلت : نعم ، قال : فأتنى بكل شىء كتبته ، قال فأتيته به فمحاه ثم قال : احفظ كما حفظت •

فأبو سعيد الخدرى وهو من علماء الصحابة (توفى سنة ٧٤هـ) الذى احتج القائلون بعدم كتابة الحديث بحديثه فى النهى عن كتـــابة غـــير

---

(٥٤) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جا ص ٨٢ •
(٥٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٤ ص ١١٢ ط• دار صادر •

القرآن ، وعدم الاذن له فى كتابة الحديث وبما رواه أبو نضرة قال : قلنا لأبى سعيد « لو كتبتم لنا فانا لا نحفـظ » قال : « لا نكتبكم ، ولا نجعلها مصاحف ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا عنا كما كنا نحفظ عن نبيكم » روى عنه قوله (٥٦) كنا لا نكتب الا القرآن والتشهد . وقد علق البغدادى على ذلك بقوله (٥٧) : « وفى ذلك دليل ان النهى عن كتب ما سوى القرآن ، انما كان (خشية) من أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره ، وأن يشتغل عن القرآن بسواه ، فلما أمن ذلك ، ودعت الحاجة الى كتب العلم لم يكره كتبه ، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد ، ولافرق بين التشهد وبين غيره من العلوم ، فى أن الجميع ليس بقرآن ، ولن يكون كتب الصحابة ما كتبوه من العلوم ، وأمروا بكتبه الا احتياطا ، كما كان كراهتهم لكتبه احتياطا » .

وعبد بن مسعود (توفى سنة ٣٢هـ) قيل عنه انه (٥٨) نهى من كانوا يكتبون كلامه عن أن يكتبوا ما سوى القرآن ، كما روى فى شأنه أنه (٥٩) ماث صحيفة تحوى بعض الأحاديث فيما ذكره عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال (٦٠) : أصبت أنا وعلقمة صحيفة ، فانطلقنا بها الى عبد الله ، فجلسنا بالباب ، وقد زالت الشمس أو كادت أن تزول ، فاستيقظ ، فأرسل الجارية ، فقال : « انظرى من بالباب » ، فرجعت اليه ، فقالت علقمة الأسود ، فقال : « ائذنى لهما » فدخلنا ، قال :

— البغدادى : تقييد العلم ص ٣٦ .

(٥٦) البغدادى : تقييد العلم ص ٩٣ .

(٥٧) البغدادى : تقييد العلم ص ٩٣ .

(٥٨) تقييد العلم ص ٣٨ ، ٣٩ .

— سنن الدارمى جـ ١ ص ١٢٥ .

(٥٩) تقييد العلم ص ٥٤ .

(٦٠) تقييد العلم ص ٥٤ .

« كأنكم قد أطلتم الجلوس فى الباب ؟ » قالا : « أجل » قال : « ما أحب أن تظنوا بى هذا ، ان هذه ساعة كنا نقيسها بصلاة الليل » ، قلنا : « هذه صحيفة فيها حديث عجيب » فقال : « هاتها ياجارية ، هاتى الطست ، اسكبى فيه ماء » ، فجعل يمحوها بيده ، ويقول : « نحن نقص عليك أحسن القصص » قلنا : « انظر اليها فان فيها حديثا حسنا » فجعل يمحوها ، ثم قال : «انما هذه القلوب أوعية ، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره » •

وفى الوقت نفسه جاء فى شأن هذه الصحيفة انها كانت [٦١] من كلام أبى الدرداء وقصصه ، وفى رواية أنها كانت [٦٢] تحوى قصصا وقرآنا ، كما ورد أنها ربما كانت من أهل الكتاب ، ويرجح ذلك قول عبد الله [٦٣] : « ألا ان ما فى هذه الصحيفة فتنة ، وضلالة وبدعة وانما هلك من كان قبلكم من أهل الكتاب باتباعهم الكتب ، وتركهم كتاب الله ، وانى أحرج على رجل يعلم منها شيئا الا دلنى عليه ، والذى نفس عبد الله بيده ، لو أعلم منها صحيفة بدير هند لأتيتها ولو مشيا على رجلى ، فدعا بماء فغسل تلك الصحيفة » ، وربما كره عبد الله لذلك النظر فيها •

وفضلا عن هذا كله فان لدينا من الأخبار ما يؤكد أن عبد الله كان يكتب الحديث ، فعن مسعر عن معين قال [٦٤] : «أخرج الى عبد الرحمن

---

(٦١) البغدادى : تقييد العلم ص ٥٤ •
(٦٢) البغدادى : تقييد العلم ص ٥٥ •
(٦٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جا ص ٦٦ •
— البغدادى : تقييد العلم ص ٥٥ ، ٥٦ •
ونحو هذا فى سنن الدارمى جا ص ١٢٤ •
(٦٤) جامع بيان العلم وفضله جا ص ٨٦ •

ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لى أن خط أبيه بيده » .

وعلى بن أبى طالب الذى قال [٦٥] : « أعزم على كل من كان عنده كتاب الا رجع فمحاه ، فانما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم، وتركوا كتاب ربهم» ، هو الذى قال : قيدوا [أ] العلم بالكتاب، وهو الذى حث على طلب العلم ، وحض على كتابته ، قال [٦٦] : من يشترى منى علما بدرهم ؟ قال أبو خيثمة ، يقول : يشترى صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم .

وأبو هريرة (توفى سنة ٥٨هـ) ، ورد عنه أنه كان يأبى أن يكتب عنه كاتب مروان بن الحكم قال سعيد بن أبى الحسن [٦٧] : « لم يكن من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من أبى هريرة حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان مروان — زمن هو على المدينة — أراد أن يكتبه حديثه ، فأبى ، وقال : « ارووا كما روينا » فلما أبى

---

(٦٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٦ .
(أ) البغدادى : تقييد العلم ص ٩٠ .
الأمين العاملى : معادن الجوهر جـ١ ص ٣ .
(٦٦) البغدادى : تقييد العلم ص ٩٠ .
وانظر طبقات ابن سعد جـ٦ ص ١١٦ .
تاريخ بغداد : جـ٨ ص ٣٥٧ .
(٦٧) البغدادى : تقييد العلم ص ٤١ .
ورد نظير لهذه القصة عن زيد بن ثابت مع مروان — وتنتهى قصته عند اخبار مروان له بكتابتهم عنه .
انظر الدارمى : السنن جـ١ ص ١٣٢ — ١٣٣ .
وانظر الاصابة جـ٧ ص ٢٠٢ .

عليه ، تغفله ، فأقعد له كاتبا لقنا ثقفا ، ودعاه ، فجعل أبو هريرة يحدثه ، ويكتب الكاتب ، حتى استفرغ حديثه أجمع ، قال ، ثم قال مروان : « تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع ؟ » قال : « وقد فعلتم ؟ » قال «نعم» قال « فاقرأوه على اذا » قال : فقرأه عليه ، فقال أبو هريرة : « أما انكم قد حفظتم وإن تطعنى تمحه » قال : فمحاه .

وكان أبو هريرة يقول : (٦٨) : « ان أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب » وفى رواية (٦٩) : « نحن لا نكتب ، ولا نكتب » .

وفى مقابل هذه الأخبار يجد الباحث أخبارا أخرى مفـادها أن أبا هريرة يرخص فى الكتابة فقد ذكر الرامهرمزى (٧٠) أنه سمح لبشير ابن نهيك أن يكتب عنه ، ويجيزه بالرواية عنه ، وفى رواية يقول بشير (٧١): أتيت أبا هريرة بكتابى الذى كتبته ، فقرأته عليه فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم .

وروى عمرو بن أمية الضمرى أنه رأى كتبا كثيرة عند أبى هريرة قال (٧٢) : تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت انى قد سمعته

---

(٦٨) البغدادى : تقييد العلم ص ٤٢ .
(٦٩) جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٩ .
(٧٠) المحدل الفاصل : ص ١٢٨ .
(٧١) طبقات ابن سعد : جـ٧ ص ١٦٢ .
— وفى رواية ابن عبـد البر أنه قال : كنت أكتب ما أسـمع من أبى هريرة فلما أردت أن أفارقه أتيته بكتابى ، فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم . جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص٨٧.
(٧٢) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٩ .
— طبقات ابن سعد جـ٧ ص ١٦٢ .
— الكفاية ص ٢٥٥ ، ٢٨٣ .

منك ، فقال : ان كنت سمعته منى ، فهو مكتوب عندى فأخذ بيدى الى بيته ، فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك أنى ان كنت حدثتك به فهو مكتـــوب عنـــدى .

وكان ابن عباس (توفى سنة ٦٨هـ) ممن يكرهون كتابة الحديث فى البدء ، قال [٧٣] : « انا لا نكتب العـــلم ولا نكتبه » وكان ينهى عن كتابته : [٧٤] « انما أضل من كان قبلكم الكتب » .

وفى الوقت ذاته روى عنه أنه كان يسأل أبا رافع ومعه ألواح يكتب فيها ، قال فايد مولى عبيد الله بن رافع [٧٥] : « كان ابن عباس يأتى أبا رافع فيقول : ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيهـــا » ، وكان يحض على التعلم والكتابة ، ويقول [٧٦] : « قيدوا العلم بالكتاب » ، وقد أملى [٧٧] تفسيره على مجاهد بن جبير وكان يقول له : « اكتب » .

وكان عبد الله بن عمر ممن يكرهون كتابة الحديث ، قال سعيد بن جبير [٧٨] : « كنا اذا اختلفنا فى الشىء كتبته حتى ألقى به ابن عمر ،

(٧٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٧ .
ـــ البغدادى : تقييد العم ص ٤٢ .
(٧٤) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٨ .
ـــ البغدادى : تقييد العلم ص ٤٣ .
(٧٥) البغدادى : تقييد العلم ص ٩٢ .
(٧٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٦ .
ـــ البغدادى : تقييد العلم ص ٩٢ .
(٧٧) الطبرى : تفسير الطبرى جـ١ ص ٣١ .
(٧٨) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٦ ص ١٨٠ ط. الشعب .

ولو يعلم [٧٩] بالصحيفة معى لكان الفيصل بينى وبينه » .

وروى عنه أنه كان [٨٠] لا يخرج من بيته غدوة حتى ينظر فى كتبــه .

وقد أشرت قبل ذلك الى الصحف التى كتبها الصحابة حين عرصت لكتابة الحديث فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأضيف هنا أن هذه الصحف ظلت معتمد أصحابها فى التحديث .

وتقصر بنا الوسائل فلا نستطيع أن نقف على صحف أخرى كتبها الصحابة بعد وفاته ، ولكن الذى نجزم به أن كتابة الحديث نشطت فى جيل الصحابة ، وعظم دورها فى المحافظة على سلامته ذلك لأنه عندما زالت أسباب الكراهة ، واستقر النص القــرآنى فى صـــدور القوم ومصاحفهم وصارت كل آية معــروفة كفلق الصبح ، تركوا ما كانوا عليه من الكراهة ورأو أن الخير فى الكتابة ، بل ان التغيرات الجديدة فى حياة المسلمين وتفرق الصحابة فى الأمصار ، وصعوبة اللقاء بينهم وجه القوم الى تحمل الحديث عن طريق المكاتبة ، والتثبت مما عندهم منه من خلال الكتابة فى شأنه للمتثبتين منهم .

قال عامر بن سعد بن أبى وقاص [٨١] : كتبت الى جابر بن سمرة [٨٢]

(٧٩) البغدادى : تقييد العلم ص ٤٤ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٩ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٧٩ .

(٨٠) الآداب الشرعية جـ٢ ص ١٢٥ .

(٨١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٥ كتاب الفضائل ص ٦٦ .
السيوطى : تدريب الراوى ص ٢٧٨ .

(٨٢) هو صحابى بن صحابى : أنظر يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ٧٣.

مع غلامي نافع أخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : فكتب الى أني سمعته يقول : أنا الفرط على الحوض .

وروى ابن ماجة (٨٣) عن الحسن ، قال : قال سمرة (٨٤) : حفظت حفظت سكتتين في الصلاة ، سكتة قبل القراءة ، وسكتة عند الركوع ، فأنكر ذلك عليه عمران (٨٥) بن الحصين ، فكتبوا الى المدينة الى أبي بن كعب فصدق سمرة .

وكتب معاوية (٨٦) الى المغيرة بن شعبة (٨٧) أن يكتب اليه ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب اليه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة : « لا اله الا الله ، وحده لا شريك

---

(٨٣) ابن ماجة : السنن جـ١ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٨٤) هو سمرة بن معير وكنيته أبو محذورة ، صحابي مشهور بمكة
انظر ابن معين : التاريخ جـ٢ ص ٧٢٤ .

(٨٥) هو أبو نجيد الخزاعي كان ممن بعثهم عمر بن الخطاب الى أهل البصرة ليفقههم . مات سنة اثنتين وخمسين .
انظر : ابن معين : التاريخ جـ٢ ص ٤٣٦ .
والسيوطي : طبقات الحفاظ ص ٨ .

(٨٦) البخاري : الجامع الصحيح جـ٨ كتاب الرقاق ص ١٢٤ .
— وانظر جـ٨ باب في القدر ص ١٥٧ .
— النسائي : السنن جـ٣ ص ٧٠ ، ٧١ .
— البغدادي : الرحلة في طلب الحديث ص ١٦٣ .
— البغدادي : الكفاية في علم الرواية ص ٣٧٤ ط. دار الكتاب العربي .

(٨٧) صحابي مشهور أسلم قبل الحديبية ، وولي البصرة والكوفة .
يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ٥٧٩ .

له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

وكتب اليه[88] أنه كان ينهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات ، ووأد البنات .

وعن سالم أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله ، وكان كاتبا له ، قال[89] : كتب اليه عبد الله بن أبى أوفى [90] رضى الله عنهما فقرأته : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقى فيها ، انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام فى الناس خطيبا قال : أيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم .

كتابة الحديث فى عهد التابعين

عنى التابعون بكتابة الحديث ، ليحفظوا له السلامة ، ويضمنوا له الحجية ، فكان الاباء يوجهون أبناءهم الى كتابة ما يبلغهم منه حرصا على توثيقه ، قال معتمر بن سليمان [91] «توفى سنة ٨٧هـ» كتب أبى

---

(٨٨) الحاكم النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ١٠٠ .

(٨٩) البخارى : الجامع الصحيح ج٤ كتاب فضل الجهاد والسير ص ٦٢ .

— وانظر ص ٣٠ ، و ص ٧٠ ط. دار الشعب .

— البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ٣٧٣ ط. دار الكتاب العربى .

(٩٠) وكنيته أبو معاوية : صحابى شهد الحديبية ، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة . ابن معين : التاريخ ج٢ ص ٢٩٧.

(٩١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٦٩ .

— توفى معتمر بن سليمان سنة سبع وثمانين فى المحرم . انظر يحيى بن معين : التاريخ ج٢ ص ٥٧٥ .

أبى وأنا بالكوفة : يابنى ، اشتر الورق ، واكتب الحديث ، فانه العلم يبقى ، والدنانير تذهب ، وكان سعيد بن جبير [٩٢] «قتل سنة ٩٢هـ» يستمع الحديث من ابن عباس ، فيكتبه فى واسطة الرحل ، فاذا نزل نسخه ، وفى رواية [٩٣] كنت أكتب عن ابن عباس فى صحيفتى حتى أملأها ، ثم أكتب فى ظهر نعلى ، ثم أكتب فى كتبى ، وكان سعيد بن المسيب «توفى سنة ٩٤هـ» اذا مر بالمكتب ، قال للصبيان [٩٤] : « هؤلاء الناس بعدنا » ، وكان مجاهد «توفى سنة ١٠٠هـ» يحتفظ بكتب عنده ، يرجع اليها عندما يسأل فى شىء من العلم ، ويخرجها لمن يريد أن يفيد منها ، قال أبو يحيى الكناس [٩٥] : « كان مجاهد يصعد بى الى غرفته فيخرج الى كتبه ، فأنسخ منها » .

وقال بشر بن نهيك [٩٦] : كنت أكتب ما أسمع من أبى هريرة ، فلما أردت أن أفارقه أتيته بكتابى ، فقلت : هذا سمعته منك ، قال : نعـــم .

---

(٩٢) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٧ .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٦ ص ٢٥٧ ط. دار صادر .
(٩٣) البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٣ .
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٧٢ .
— راجع رواية ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٦ ص١٧٩ ط. الشعب.
(٩٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ١٤١ ط. دار صادر .
(٩٥) سنن الدارمى : جـ١ ص ١٣٨ .
(٩٦) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٧ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ١٠١ .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٧ قسم ٣ ص ١٦٣ .
الدارمى : السنن جـ١ ص ١٣٧ .

وكان الضحاك بن مزاحم [٩٧] «توفى سنة ١٠٥»، يقول : اذا سمعت شيئا فاكتبه ولو فى حائط ٠

وكان الحسن بن دينار [٩٨] يحمل كتبه الى بيوت الناس ، ويخرجوا من يده ثم يحدث منها ٠

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال[٩٩]: «كنت أذهب أنا وأبو جعفر الى جابر بن عبد الله ، ومعنا ألواح صغار نكتب فيها الحديث» وقال الحسن البصرى (توفى سنة ١١٠هـ) : « ان لنا كتبا نتعاهدها » ٠ وقيل لقتادة [١٠٠] «توفى سنة ١١٨هـ» نكتب ما نسمع منك ؟ ، قال : وما يمنعك أن تكتب ، وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب ، فقال : علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ، ولا ينسى ٠

وكانت مجالس العلماء من التابعين تضم تلاميذهم الذين يأخذون عنهم العلم وكانت الكتابة هى مدار تسجيل الدرس الدينى ، فكان

---

(٩٧) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٧ ٠

(٩٨) الحاكم النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ١٣٧ ٠
: المستدرك على الصحيحين فى الحديث جـ١ ص٥٧٠
— الحسن بن دينار : كان دينار زوج أمه ، وهو الحسن بن واصل ٠ انظر فى ترجمته : اللسان جـ٢ ص ٢١٣ وانظر الجرح جـ١ القسم ٢ ص ١١ ٠
انظر يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ١١٣ ٠

(٩٩) البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٤ ٠
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٧٠ ٠

(١٠٠) البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٣ ٠
— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٧٢ ٠

طلاب [101] مجاهد يكتبون التفسير عنده ، وكذلك كان تلاميذ البراء يكتبون [102] بالقصب كما كان تلاميذ جابر [103] بن عبد الله يكتبون على ألواح لهم .

وكثر استخدام الكتابة فى تحمل الحديث ، فقد أخرج أحمد بن حنبل [104] فى مسنده عن عروة «مات سنة ٩١هـ» أن عبد الله بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء ، فكتب إليه عروة : « سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد ، فانك كتبت الى تسألنى عن أشياء ، قال : أخبرتنى عائشة .. وذكر الحديث » .

ومع هذا ظل بعض التابعين على كراهة كتابة الحديث اعتمادا على قوة الذاكرة ودربتها على الاحتفاظ بما يريدون له أن يعيش فى نفوسهم، وخشية أن يعتمدوا على الكراريس ، ويهملوا الحفظ .

وكان من هؤلاء : عبيدة بن عمرو السلمانى «توفى سنة ٧٢هـ»[105]، فقد روى [106] أيوب عن محمد قال ، قلت لعبيدة : « أكتب مثلك ما أسمع ؟ » قال : «لا» ، قلت : « وجدت كتابا أنظر فيه ؟ » ، قال : « لا » .

---

(١٠١)البغدادى : تقييد العلم ص١٠٥ .
(١٠٢)البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٥ .
(١٠٣)البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٤ .
(١٠٤)أحمد بن حنبل : المسند جـ٦ ص ٢١٢ .
(١٠٥)بلام ساكنة فى السلمانى ، وكان بعضهم يأتى بها مفتوحة :
يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ٣٨٨ .
— السيوطى : طبقات الحفاظ ص ١٤ .
(١٠٦)البغدادى : تقييد العلم ص ٤٥ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٠ .

وجابر بن زيد [١٠٧] « توفى سنة ٩٣ هـ » [١٠٨] : قيل له [١٠٩] انهم يكتبون ما يسمعون منك ، قال : « ان لله وانا اليه راجعون ، يكتبون رأيا أرجع عنه غدا » .

وأبو العالية الرياحى [١١٠] «توفى سنة ٩٢هـ» : وقد ذكر البغدادى [١١١] أن حميدان بكر بن عبد الله بعث اليه أن يكتب له حديثا، قال : فجاء أبو العالية ، فقال : « مرحبا بك » فقال : لو كنت أكتب لأحد لكتبته لك ، فحدثه حتى حفظه .

والشعبى : « عامر بن شرجبيل توفى سنة ١٠٣هـ» قال [١١٢] : ما كتبت سوداء فى بيضاء قط ، ومن حدثنى أحد بحديث فأحببت أن يعيده على ــ ولا حدثنى رجل بحديث الا حفظته .

وابراهيم بن يزيد النخعى «توفى سنة ٩٦هـ» قال [١١٣] : « ما

---

(١٠٧) وكنيته أبو الشعثاء وقد روى عنه قتادة وهو ثقة : يحيى ابن معين : التاريخ جـ٢ ص ٧٣ .

(١٠٨) السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٢٨ .

(١٠٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ٢ ص ١٧٦ .

(١١٠) اسمه : رفيع بن مهران : يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص١٦٦ .
ــ السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٢٣ ، وقيل توفى سنة ٩٠هـ : يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ١٦٦ .

(١١١) البغدادى : تقييد العلم ص ٤٧ .

(١١٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٦ ص ١٧٤ .
ــ البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٠ .
ــ وراجع السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٣٣ .

(١١٣) طبقات ابن سعد جـ٦ ص ٢٧٤ .

كتبت شيئا » ، وكان لا يسمح لتلاميذه بأن يكتبوا عنه ، قال عبد الله ابن عوف [١١٤] : « دخلت على ابراهيم ، قال : فدخل عليه حماد ، فجعل يسأله ومعه أطراف — وهى أوائل الحديث — فقال : ما هذا ؟ قال : انما هى أطراف ، قال : ألم أنهك عن هذا ؟ » .

وسعيد بن المسيب توفى سنة ١٠٥هـ ، وقد خرق صحيفة كتبت عنه لأن فيها رأيا ، قال يحيى بن سعيد [١١٥] . « جاء رجل الى سعيد ابن المسيب ، فسأله عن شىء ، فأملاه عليه ، ثم سأله عن رأيه فأجابه ، فكتب الرجل ، فقال رجل من جلساء سعيد : « أيكتب يا أبا محمد رأيك؟ فقال سعيد للرجل : ناولنيها ، فناوله الصحيفة فخرقها » .

والضحاك ، توفى سنة ١٠٥هـ ، قال [١١٦] : لا تتخذوا للحديث كراريس المصاحف ، وقال [١١٧] : يأتى على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغباره لا ينظر فيه .

ويمكن تعليل كراهة من امتنعوا عن الكتابة من جيل التابعين بأن ذلك كان منهم فى صدر حياتهم حين تكون الثقة بالذاكرة شديدة « وهم [١١٨] قوم طبعوا على الحفظ » فلما كبروا أدركوا أن الاعتماد

---

(١١٤)طبقات ابن سعد جـ٦ ص ٢٧٢ وسنن الدارمى جـ١ ص ١٢٠ .

(١١٥)ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ٢ ص ١٧٧ .

(١١٦)البغدادى : تقييد العلم ص ٤٧ .

(١١٧)ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٧٨ .

— وممن كرهوا كتابة العلم من التابعين القاسم بن محمد (توفى سنة ١٠١هـ) وابراهيم بن يزيد التيمى (توفى سنة ٩٢هـ) . انظر البغدادى : تقييد العلم ص ٤٦ ، ٤٨ ومنصور ، ومغيره ، والأعمش .

(١١٨)ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٣ .

على الذاكرة وحدها فيه كثير من المزالق ، متوجهوا الى الكتابة .

ومما يرجح ذلك أن [119] عبيدة كان له كتب . فلما حضره الموت دعا بها فمحاها ، وأن أبا العالية روى عنه خبر يفيد أنه حض عى الكتابة ، وأن الشعبى [120] قال لتلاميذه : اكتبوا ما سمعتم منى ولو فى جدار . ومن أقواله [121] : « لا تدعن شيئا من العلم الا كتبته — الكتاب قيد العلم » ، ووجد [122] له بعد موته كتاب فى الفرائض والجراحات .

وقد أفصح ابراهيم النخعى عن هذا المعنى عندما قال فضيل له [123] : « انى أجيئك ، وقد جمعت مسائل ، فكأنما تخلسها الله منى ، وأراك تكره الكتاب ، فقال : انه قلما كتب انسان كتابا الا اتكل عليه ؛ وقلما طلب انسان علما الا آتاه الله منه ما يكفيه » وكان هذا فى مطلع حياته العلمية ، ولكن [124] ما ان تقدمت به السن حتى علمته التجارب أن الانسان لا يبقى على حال واحدة ، فدخل عليه شىء فى حفظه ، قال منصور : كان [125] ابراهيم يحذف الحديث ؛ فقلت له : ان سالم بن أبى الجعد يتم الجديث ، قال له : ان سالما كتب ، وأنا لم أكتب .

---

(١١٩) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٠ .

(١٢٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٦ ص ٧٤ .

— الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٧٣٦ .

(١٢١) البغدادى : تقييد العلم ص ٩٩ ، ١١٠ .

(١٢٢) البغدادى : تاريخ بغداد جـ١١ ص ٣٢٣ .

(١٢٣) ابن سعد : الطبقات جـ٦ ص ١٨٩ طـ الشعب .

(١٢٤) الدكتور محمد رواس قلعجى : ابراهيم النخعى ص ١٤٦ .

(١٢٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٤ .

وقد أقر النخعي بفضل كتابة الحديث . وندم على تركها ، وتمنى لو أنه كان قد كتب ، وقال [126] : « لأ أكون كتبت أحب الى من كذا ، وكذا » .

وقد رخص [127] سعيد بن المسيب لعبد الرحمن بن جرملة فى الكتابة لأنه كان سيء الحفظ .

وثمة وجه آخر يمكن تعليل كراهة كتابة من امتنعوا عن الكتـــابة به ، ذلك أنه قد غلب على أصحاب هذا الاتجاه أنهم فقهاء ، والفقيه [128] يجمع بين الحديث والرأى ، فيخاف تقييد رأيه واجتهاده ، الى جانب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد ظلت كتابة الحديث مسئولية شخصية يقوم بها بعض العلماء ممن توفرت لديهم قناعة بهذا الأمر ، كل على قدر عزمه وطاقته ، ووفقا لامكاناته وقدراته الا أن التدوين [129] اذ ذاك كان جزئيا وفرديا ، يعنى أنهم لم يدونوا كل ما سمعوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما لم يكن التدوين سوى عمل قام به أفراد لأنفسهم وليس عمـــلا تشرف عليه الدولة وجماعة المسلمين .

ثم تجمعت أسباب عدة ألحت بأن يغير ولاة الأمر موقفهـــم ،

---

(١٢٦)ابن سعد : الطبقات جـ٦ ص ١٨٩ ط. الشعب .
— وممن قالوا بذلك يحيى بن سعيد قال : لأن أكون كتبت كل ما كنت أسمع أحب الى من أن يكون لى مثل مالى .
— انظر ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٩ .
(١٢٧)ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٨ .
— البغدادي : تقييد العلم ص ٩٩ .
(١٢٨)يوسف العش : تصدير تقييد العلم ص ٣٠ .
(١٢٩)الدكتور صلاح الدين الأدلبى : منهج نقد المتن ص ٤٧ .

فينفذوا ما توقف عنه عمر ، ولم يعد ثمة سبيل الى الاعتماد على الحفظ كوسيلة لصيانة الحديث وتوثيقه ، فلقد تغيرت الظروف بعد موت كثير من العلماء .

يقول الرامهرمزى [١٣٠] وانما كره الكتاب من كره فى الصدر الأول لقرب العهد ، وتقارب الاسناد ، ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله أو يرغب عن تحفظه والعمل به ، فأما والوقت متباعد ، والاسناد غير متقارب . والطرق مختلفة ، والنقلة متشابهون ، وآفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون ، فان تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى والدليل على وجوبه أقوى .

ويقول القسطلانى [١٣١] : لما انتشر الاسلام ، واتسعت الأمصار، وتفرقت الصحابة فى الأقطار ، وكثرت الفتوحات ، ومات معظم الصحابة، وتفرق أصحابهم وأتباعهم ، وقل الضبط ، واتسع للخرق ، وكاد الباطل أن يلتبس بالحق ، احتاج العلماء الى تدوين الحديث ، وتقييده بالكتابة » .

وقد دفع ذلك عمر بن عبد العزيز وهو وال على مصر (من سنة ٦٥هـ الى سنة ٨٥هـ) الى أن يفكر فى جمع الحديث وتدوينه ، فكتب [١٣٢] الى كثير بن مرة الحضرمى أن يكتب له ما وسعه من أحاديث الصحابة سوى أبى هريرة لأن حديثه كان مجموعا عنده ، وعندما تولى الخلافة

---

(١٣٠)الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٨٦ .
(١٣١)القسطلانى : ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى جـ١ ص ٧ .
(١٣٢)ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٧ ص ٤٤٨ .
ـ ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ٨ ص ٤٢٩ .
(١٣٣)البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٣٦ .

ضاعف من الاهتمـــام بالحديث ، فجعل فى بيت المال نصيبا للمحدثين وكتب الى والى حمص [١٣٣] : مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يعنيهم لئلا يشغلهم عن تلاوة القرآن وما حملوا من الحديث •

وكتب الى أبى بكر بن حزم [١٣٤] : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانى خفت دروس [١٣٥] العلم ، وذهب العلماء ، ولا تقبل الا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » •

وهناك من [١٣٦] يرى أن أبا بكر بن حزم كتب لعمر شيئا من السنة

---

(١٣٤)ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جا ص ١٥٧ •

القسطلانى : ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى جا ص ٧ •

السيوطى : تنوير الحوالك • شرح على موطأ مالك : المقدمة ص ٤ •

الدارمى : السنن جا ص ١٢٦ •

البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٦

الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٧٣ : ص ٣٧٤ •

(١٣٥)أى ذهاب أثره •

انظر : ابن منظور : لسان العرب : مادة درس •

راجع البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٦ •

(١٣٦)انظر أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٢٢١ •

وبخاصة ما كان منها عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية «توفيت سنة ٩٨هـ» والقاسم بن محمد بن أبى بكر «توفى سنة ١٠٦هـ» .

ويرجح عندنا أن عمر توفى [١٣٧] قبل أن يرسل اليه أبو بكر بن حزم بما كتبه ، وربما كان ذلك هو السبب فى أن هذا الأمر لم يبق له أثر . ولم يأبه له من بعده .

وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصفهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى أهل الآفاق [١٣٨] « انظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » .

وكان فى مقدمة من اضطلع بهذه المسئولية محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى «ولد سنة ٥٨هـ ، وتوفى سنة ١٢٤هـ» وهو أبرز أعلام الطبقة الرابعة من صغار التابعين ، روى [١٣٩] عن سهل بن سعد ، وابن عمر ، وجابر ، وأنس ، وغيرهم من الصحابة ، وخلق من التابعين ، وكان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار .

وقد قام بجمع الحديث ممن كانوا يحملونه فى الدفاتر والصحف ،

---

(١٣٧)أما الأحاديث التى جمعها أبو بكر بن حزم فقد ضاعت منه . لذلك لم يشتهر شهرة الزهرى . راجع ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ١٢ ص ٣٩ . وراجع عبد الموجود عبد اللطيف : كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام جـ١ ص ٦٠ .

(١٣٨)القسطلانى : ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى جـ١ ص ٧ .

— السيوطى : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ص ٥ .

(١٣٩)السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٤٢ ، ٤٣ .

قال مالك بن أنس «توفى سنة ١٧٩هـ» ، وهو أثبت أصحاب الزهرى [١٤٠]: « أول من دون العلم ابن شهاب » ، وقال سعيد بن زياد مولى الزبير سمعت ابن شهاب يحدث سعد بن ابراهيم : « أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمـــع السنن فكتبناها دفترا دفترا ، فبعث الى كل أرض له عليهـــا سلطان دفترا » .

وكان السبب فى اختياره أنه كان [١٤١] على ذكاء حاد ، وحافظة قوية مستوعبة تجعله لا ينسى شيئًا مما استوعبه فى قلبه ، وكان على تجربة بهذا العمل ، فقد سبق الى كتابة الحديث منذ حداثته أو قبل شبابه .

روى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال [١٤٢] : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج اليه، علمت أنه أعلم الناس .

وقال صالح بن كيسان [١٤٣] (توفى بعد سنة ١٤٠هـ) : « اجتمعت أنا والزهرى ، ونحن نطلب العلم ، فقلنا : نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء

---

(١٤٠) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٩١ ، وانظر ص ٨٨ .
— السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٩٠ .
(١٤١) عبد الموجود عبد اللطيف : كشف اللثام عن أسرار تخـــريج حديث سيد الأنام جـ١ ص ٦٠ .
(١٤٢) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٨٨ .
(١٤٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص ٩٢ ، جـ٢ ص ٢٢٨ .
— البغدادى : تقييد العلم ص ١٠٧ .

عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : نكتب ما جاء عن الصحابة ، فانه سنة ، وقلت أنا : ليس بسنة ، فلا نكتبه ، فكتب ، ولم أكتب ، فأنجح ، وضيعت » .

وكان عمر بن عبد العزيز يشير الى الراغبين فى تعلم الحديث ان يقصدوه ويقول لهم [١٤٤] : « عليكم بابن شهاب هذا ، فانكم لا تلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه » .

ولمالك عن الزهرى فى الموطأ رواية يحيى من حديث النبى صلى الله عليه وسلم [١٤٥] مائة واثنان وثلاثون حديثا منها اثنان وتسعون مسنده ، وسائرها منقطعة ومرسلة .

وقد اتجه بعض الخالفين ممن كانوا يكتبون الحديث الى تدوينه فى صحف ، بقيت لنا أجزاء منها ، وهى تشير الى أن كتابة الحديث حظيت باهتمام بالغ ومن هؤلاء : أبو الزبير [١٤٦] محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى المكى «توفى سنة ١٢٨هـ» ومن آثاره أحاديث أبى الزبير عن غير جابر ، وزيد [١٤٧] بن أبى أنيسة «توفى سنة ١٢٤هـ» ، وأبو أسامة الرهاوى « توفى سنة ١٢٤ هـ » وقد وصلتنا أوراق مما كتبه ويونس ابن عبيد [١٤٨] بن دينار الكوفى العبدى «توفى سنة ١٤٠هـ» وقد وصل

---

(١٤٤)ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ٢ ص ١٨ .

(١٤٥)ابن عبد البر : التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ص ١١٦ .

(١٤٦)سزكين : تاريخ التراث العربى ص ٢٥٧ .
— وراجع : السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٥٠ : ٥١ .

(١٤٧)السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٥٨ .
— يحيى بن معين : التاريخ جـ٢ ص ١٨٣ .

(١٤٨)السيوطى : ترجمة الحفاظ ص ٦٢ .

الينا بعض حديثه ، وسليمان [149] بن مهران الأعمش «توفى سنة ١٤٨هـ». وكان يقول : « اذا رأيت الشيخ لم يقرأ القرآن ، ولم يكتب الحديث فاصفع له » .

ثم فشت الكتابة ، وتوسع الخالفون فى كتابة الحديث [150] « وعولوا على تدوينه فى الصحف بعد الكراهة فى ذلك لأن الروايات انتشرت والأسانيد طالت ، وأسماء الرجال ، وكناهم وأنسابهم كثرت ، والعبارات بالألفاظ اختلفت ، فعجزت القلوب عن الحفظ .

يقول القسطلانى [151] : « وأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح «توفى سنة ١٦٠هـ بالمدينة» وسعيد بن أبى عروبة «توفى سنة ١٥٦ بالمدينة» ، وكانوا يصنفون كل باب على حدة الى أن انتهى الأمر الى كبار الطبقة الثالثة ، وصنف الامام مالك بن أنس [152] «توفى سنة ١٧٩هـ بالمدينة» الموطأ ، وتوخى فيه القوى من حديث أهل الحجاز ، ومزجه بأقوال الصحابة ، وفتاوى التابعين ومن بعدهم ، وعبد الملك ابن جريج بمكة «توفى سنة ١٥٠هـ» ، وعبد الرحمن الأوزاعى بالشام «توفى سنة ١٥٦هـ» ، وسفيان الثورى بالكوفة «توفى سنة ١٦١هـ» ، وحماد بن سلمة بن دينار بالبصرة «توفى سنة ١٧٦هـ» ، وهشيم بواسط «توفى سنة ١٨٨هـ» ، ومعمر باليمن «توفى سنة ١٥٣هـ» ، وابن المبارك

---

(١٤٩) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٣٨ .

(١٥٠) البغدادى : تقييد العلم ص ٦٤ .

(١٥١) القسطلانى : ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى جـ١ ص ٧ .

(١٥٢) راجع السيوطى : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ص ٥ .

بخراســان «توفى سنة ١٨١هـ» . وجرير بن عبد الحميد بانرى «توفى سنة ١٨٨هـ» .

وقد اجتمع هؤلاء فى جيل واحد ، ومن العسير الحكم بالأسبقية لأحدهم وقد تلاهم [153] كثير من أهل عصرهم فى النسج على منوالهم .

ولما فشت الكتابة ، وغلبت الكتب ، اتجه الناس الى الاعتماد على التدوين ، وبدأ معولهم يقل على الحفظ ، فأخذ العلماء ينبهون الى ضرر هذا المنهج فى التلقى .

يقول الأوزاعى [154] : كان هذا العلم شــيئا شريفــا اذ كانوا يتلقونه ويتذاكرونه بينهم ، فلما صار الى الكتب ذهب نوره ، وصار الى غير أهله . ويقول ابن عون [155] «توفى سنة ١٥١هـ» انى أرى هذه الكتب ستضل الناس . وكان سفيان الثورى يكتب احتياطا واستيثاقا ، فكان اذا رأى الشيخ لم يكتب الحديث قال [156] : « لا جزاك الله عن الاسلام خيرا »ومع هذا فاننا نجده ذم الاتكال على الكتاب ، وأمر بالحفظ ، قال [157] بئس مستودع العلم القراطيس . وكان عاصم بن ضمرة [158] «توفى سنة ١٧٤هـ» يسمع الحديث ويكتبه ، فاذا حفظه دعا بمقراض فقرضه .

وقد عد ابن المبارك سىء الحفظ ضمن من رأى أنهم غير أكفــاء

---

(١٥٣) السيوطى : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ص ٥ .
(١٥٤) البغدادى : تقييد العلم ص ٦٤ .
(١٥٥) البغدادى : تقييد العلم ص ٤٧ .
(١٥٦) البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٣٧ .
(١٥٧) البغدادى : تقييد العلم ص ٥٨ .
(١٥٨) البغدادى : تقييد العلم ص ٥٩ .

لكتابة العلم عنهم ، قال [١٥٩] : يكتب الحديث الا عن أربعة : غــلاط لا يرجع ، وكذاب ، وصاحب بدعة وهوى يدعو الى بدعته ، ورجل لا يحفظ فيحدث من حفظه .

ولعل نشأة المذاهب والأحزاب فى الاسلام كانت ذات أثر فى هده القضية فأهل الرأى يهمهم أن يثبت أن الحديث لم يكتب [١٦٠] «ليتخذوا من ذلك حجة على عدم صحته ، وتشتت أمره ، فى حين نجد أن خصومهم وهم أهل الحديث يضر بهم هذا القول » ، غير أن الأمر لم يكن على هذا القدر من الحدة ، أو على مثل هذا النحو من القطع لأن [١٦١] من أهل الرأى من امتنع عن الكتابة كعيسى بن يونس (توفى سنة ١٨٧هـ) ، وحماد بن زيد (توفى سنة ١٧٩هـ) ، وعبد الله بن ادريس (توفى سنة ١٩٢هـ) ومنهم من أقرها كحماد بن سلمة (توفى سنة ١٦٧هـ) ، والليث ابن سعد (توفى سنة ١٧٥هـ) ، وزائدة بن قدامة (توفى سنة ١٦١هـ) ، ويحيى بن اليمان (توفى سنة ١٨٩هـ) ، ومن المحدثين من كره الكتــابة كابن علية (توفى سنة ٢٠٠هـ) وعاصم بن ضمرة ، ومنهم من أجازها كبقية الكلاعى ، وعكرمة بن عمار (توفى سنة ١٥٩هـ) ، ومالك بن أنس (توفى سنة ١٧٩هـ) .

وعلى أية حال فان من العسير الحكم بالسبق فى تدوين الحديث ، لأى من محدثى هذه الفترة ، فكلهم عاشوا فى زمن واحد ، وليس بين أيدينا شواهد ترجح كفة أحدهم ، غير أنه يمكننا أن نقول ان منهجهم

(١٥٩)البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٧٤ .
(١٦٠)أنظر القائلين بهذا الرأى ومصادرهم فيه عند يوسف العش : تصدير تقييد العلم ص ٢٦ .
(١٦١)راجع يوسف العش : تصدير تقييد العلم ص ٢١ ، ٢٢ .

فى التدوين كاد يكون واحدا فقد كانوا يضعون [١٦٣] الأحاديث المتناسبة فى باب واحد ، ثم يضمون جملة من الأبواب بعضها الى بعض . ويجعلونها فى صنف واحد ، ويخلطون الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

وقد حملت المصنفات الأولى [١٦٣] هذه عناوين مثل «مصنف» و «مسند» و «موطأ» و «جامع» ، وجمعت مادتها من الأجزاء والصحف التى دونت قبل مرحلة التصنيف .

وقد استمرت كتابة الحديث فى القرن الثالث الا أن المصنفين أخذوا يحذفون أقوال الصحابة والتابعين ، ويبقون على الأحاديث وحدها ، ويجمعون أحاديث كل صحابى رغم اختلاف مواضيعها فيما عرف بالمسانيد ، ومن أشهر من صنف فى هذه الفترة أبو داود الطيالسى [١٦٤] «توفى سنة ٢٠٣هـ» ، ومحمد بن يوسف الفريابى [١٦٥] «توفى سنة ٢١٢هـ» ، وعبد الله بن الزبير الحميدى [١٦٦] «توفى سنة

---

(١٦٢) محمد أبو زهو : الحديث والمحدثون ص ٢٤٤ .

(١٦٣) سزكين : تاريخ التراث العربى ص ٢٦٢ .

(١٦٤) هو أبو داود الطيالسى سليمان بن داود بن الجارود البصرى .
قال فيه ابن المدينى : ما رأيت أحدا أحفظ من أبى داود .
انظر ابن معين : التاريخ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
وقد طبع مصنفه فى حيدر آباد الركن سنة ١٣٢١هـ .

(١٦٥) روى عن السفيانين والأوزاعى ، وروى عنه أحمد والبخارى واسحاق الكوسج . ابن معين : التاريخ ص ٥٤٣ .

(١٦٦) روى عن ابن عيينة والدراوردى ، وروى عنه البخارى والذهلى وأبو زرعه . ابن معين : التاريخ ص ٣٠٨ .
ـ طبع المجلد الأول من مسنده فى كراتشى سنة ١٩٦٣م .

٢١٩هـ» ، ويحيى بن معين [١٦٧] «توفى سنة ٢٣٣» وأبو خيثمة زهير بن حرب [١٦٨] «توفى سنة ٢٣٤هـ» ، وابن أبى شيبة [١٦٩] «توفى سنة ٢٣٥هـ» •

(١٦٧)راجع : يحيى بن معين وكتابه التاريخ جا ص ٢٩ • دراسه وترتيب وتحقيق الدكتور أحمد محمد نور يوسف •

(١٦٨)روى عن اسماعيل بن علية وابن عيينة ، وروى عنه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة • السيوطى : طبقات الحفاظ ص ١٩١ •

(١٦٩)هو أبو بكر عبد الله بن ابراهيم بن عثمان ، روى عن شريك وهشيم وابن المبارك وابن عيينة ، وروى عنه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة ، وأبو زرعة • السيوطى : طبقات الحفاظ ص ١٨٩ •

— وقد طبع مصنفه فى مطبعة دائرة المعارف العثمانية •

المصـــــادر

١ ــ أبى بن كعب : « الرجل والمصحف » : دكتور الشحات السيد زغلول ــ الطبعة الاولى ــ دار النجاح للطباعة سنة ١٩٧٧ .

٢ ــ الاتجاهات الفكرية فى التفسير : دكتور الشحات السيد زغلول ــ الطبعة الثانية ــ دار النجاح للطباعة سنة ١٩٧٥ .

٣ ــ الاحكام فى أصول الأحكام : ابن حزم ط. سنة ١٣٤٥هـ ــ مطبعة السعادة ــ مطبعة العاصمة ــ مطبعة الامتياز سنة ١٩٧١ .

٤ ــ ارشاد السارى الى شرح صحيح البخارى : القسطلانى : أحمد ابن محمد بن أبى بكر القسطلانى ــ المطبعة المنيرية سنة ١٢٨٥هـ .

٥ ــ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ابن عبد البر ، أبو عمرو يوسف ابن عبد الله محمد بن عبد البر ــ الطبعـــة الاولى سنة ١٣١٨هـ .

٦ ــ أصول الحديث النبوى : الدكتور الحسينى هاشم : دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٢م . ــ

٧ ــ الاصابة فى تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلانى ــ الطبعة الاولى طبع دار الثقافة العربية ــ ومطبعة السعادة ســـنة ١٣٢٨هـ .

٨ ــ الاقتراح فى بيان الاصطلاح : تقى الدين بن دقيق العيـــد ــ مطبعة الارشاد ــ بغداد سنة ١٩٨٢م .

٩ ــ أضواء على السنة المحمدية : محمـــود أبو رية ــ مطابع دار المعارف سنة ١٩٨٠م .

١٠ ــ أعلام الموقعين عن رب العالين : ابن قيم الجوزية ــ طبع دار الجيل ــ بيروت سنة ١٩٧٣م .

١١ ــ الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث : ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن كثير ــ طبع دار الفكر ــ بيروت ــ طبع دار التراث العربى سنة ١٩٧٩م .

١٢ ــ الباعث الحثيث شرح اختصار علـــوم الحديث : أحمد محمـــد شاكر ــ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩م دار مصر للطباعة .

١٣ ــ التاريخ : يحيى بن معين ــ الطبعة الاولى سنة ١٩٧٩م مطابع الهيئة العامة للكتاب .

١٤ ــ تاريخ بغداد : البغدادى . أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ــ مطبعة السعادة سنة ١٩٣١ .

١٥ ــ تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة الدينورى ــ ط. دار الكتاب العـــربى .

١٦ ــ تدريب الراوى شرح تقريب النواوى : السيوطى : جلال الدين السيوطى ــ الطبعة الاولى سنة ١٩٥٩م .

١٧ ــ تذكرة الحفاظ ــ الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ــ دار احياء التراث العربى ــ بيروت .
الاولى سنة ١٩٥٩م .

١٨ ــ التقريب : النواوى ــ أبو زكريا يحيى بن شرف ــ الطبعـــه الرازى ــ ط. حيدر آباد سنة ١٩٥٢م .

١٩ ــ تقييد العلم : الخطيب البغدادى ــ دار احياء السنة النبوية ١٩٧٤م .

٢٠ ــ تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلانى ــ ط. حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٦هـ .

٢١ ــ الجامع لأحكام القرآن : القرطبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى ط. دار الكتب سنة ١٩٥٤م .

٢٢ ــ الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : البغدادى «مخطوط» .

٢٣ ــ جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر ، مطبعة العاصمة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨م .

٢٤ ــ الجرح والتعديل : الرازى : أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم

٢٥ ــ الحديث والمحدثون : محمد محمد أبو زهو ط. دار الكتاب العربى سنة ١٩٨٤م .

٢٦ ــ الحديث النبوى الشريف وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية : محمد ضارى حمادى ط. سنة ١٩٨٢م .

٢٧ ــ خلق أفعال العباد : البخارى ــ رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ــ دكتور على سامى النشار ــ عمار جمعى الطالبى . طبع منشأة المعارف سنة ١٩٧١م .

٢٨ ــ دراسات فى الشعر الجاهلى : الدكتور يوسف خليف . دار غريب للطباعة سنة ١٩٨١م .

٢٩ ــ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ــ نشر بيروت .

٣٠ ــ الرحلة فى طلب الحديث : الخطيب البغدادى : أبو بكر أحمد ابن على بن ثابت . الطبعة الاولى سنة ١٩٧٥ .

٣١ ــ الرسالة : محمد بن ادريس الشافعى . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦م ــ مطابع المختار الاسلامى .

٣٢ ــ سبل السلام : الصنعانى : محمد بن اسماعيل ــ ط. نشر دار الحديث .

٣٣ ــ سنن النسائى : النسائى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ــ المطبعة المصرية بالأزهر سنة ١٩٣٠م .

٣٤ – سنن المصطفى : ابن ماجة : أبو عبد الله محمــد بن يزيد – الطبعة الاولى .

٣٥ – سنن الدارمى : الدارمى : عبد الله بن عبد الرحمــن ، نسخة مصورة – نشر دار احياء السنة النبوية – بيروت .

٣٦ – السنة ومكانتها فى التشريع الاســلامى : مصطفى السباعى – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م .

٣٧ – السنة قبل التدوين : محمد عجــاج الخطيب – الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣م .

٣٨ – السيرة : ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ط. نبع الفكر ، و ط. الحلبى .

٣٩ – شرف أصحاب الحديث : البغدادى : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ، طبع لاهور – باكستان سنة ١٩٦٤م .

٤٠ – صحيح البخارى : الجامع الصحيح : البخارى : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل – ط. دار الطباعة العامرة – ط. دار الشعب .

٤١ – صحيح مسلم بشرح النووى : مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجاج – نشر مكتبة زهران .

٤٢ – علوم الحديث : صبحى الصالح : مطبعة دار العلم سنة ١٩٧٣.

٤٣ – عيون الأخبار : ابن قتيبة الدينورى – ط. دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥م .

٤٤ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ابن حجر العسقلانى ط. سنة ١٣١٥ ط. سنة ١٣٨٤هـ .

٤٥ – فتح المغيث : السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمــن السخاوى – الطبعة الاولى سنة ١٩٨٣م .

٤٦ـ فجر الاسلام : أحمد أمين ـ مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٨م .
٤٧ ـ الفقيه والمتفقه : البغدادى ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م .
٤٨ ـ قواعد علوم الحديث : التهانوى : ظفر أحمد العثمانى ط. سنة ١٩٧٢م .
٤٩ ـ الكفاية فى علم الرواية : البغدادى ، ط. دار الكتاب العربى سنة ١٩٨٥م ـ نسخة مصورة ـ المكتبة العلمية بالمدينة .
٥٠ ـ كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام : عبد الموجود عبد اللطيف .
٥١ ـ مجمع الزوائد : الهيثمى : نور الدين الهيثمى ـ ط. القدس سنة ١٣٥٣ .
٥٢ ـ المحدث الفاصل بين الراوى والواعى : الرامهرمزى : الحسن ابن عبد الرحمن ـ ط. بيروت سنة ١٩٧١م .
٥٣ ـ المسند : أحمد بن حنبل ـ ط. المكتب الاسلامى ـ ط. دار المعارف سنة ١٩٥٣م .
٥٤ ـ معرفة علوم الحديث : الحاكم النيسابورى ـ أبو عبد الله محمد ابن عبد الله ـ المكتب التجارى ـ سنة ١٩٧٧م .
٥٥ ـ مصادر الشعر الجاهلى : ناصر الدين الأسد ـ ط. دار المعارف سنة ١٩٦٥م .
٥٦ ـ مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهانى ـ مطبعة التقدم سنة ١٩٧٢م ـ مطبعة دار الكتاب العربى .
٥٧ ـ مقدمة فى علوم الحديث : ابن الصلاح ـ دار الكتب سنة ١٩٧٤م .
٥٨ ـ منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوى : صلاح الدين بن أحمد الأدلبى ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٨٣م ـ دار الآفاق .
٥٩ ـ نشأة الدولة الاسلامية على عهد رسول الله (ص) : عون الشريف قاسم ـ نشر دار الكتاب المصرى .

الفهرست

